
20
القراءة للجميع
حامد حسب
السويس
تجربة مدينة

السويس.. تجربة مدينة

المقاومة- الحصار- الانتصار

حامد حسب



وزارة الثقافة



• السويس.. تجربة مدينة
• حامد حسب
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2010م
17x 24 سم
• تصميم الغلاف: د.خالد سرور.
• التدقيق اللغوى: سوزان عبد العال
عادل عزت
• رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٦٤٠٧
• الترقيم الدولى: 978-977-704-244-4
• المراسلات:
باسم / المشرف العام
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامي - القصر العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947897
البريد الإلكترونى:
elnashr@yahoo.com
التجهيزات والطباعة:
شركة الأمل للطباعة والنشر

السويس.. تجربة مدينة

المحتوى

إهـــداء

إلى شهيد الواجب
المهندس/
محمد عبد العزيز حسب ..
وإلى كل الشهداء

مقدمة

هناك تجارب فى حياة شعبنا يجب التركيز عليها وإظهارها حيث يتبين من خلالها عظمة هذا الشعب وأصالته وعراقته وقوته وصلابته وأنه شعب صانع للحضارة والتاريخ على امتداد الزمان.

وأن هذا الشعب إذا ما ألمت به نازلة فسرعان ما ينبذ خلافاته ويرتفع فوق أحزانه ويسترخص تضحياته فى سبيل وطنه ليصنع ملاحم بطولية تؤكد عراقته وعمق حضارته.

تجربة السويس تجربة ثرية على مدى التاريخ، وما من بلد ارتبط اسمه بالأحداث كما ارتبط اسم السويس فقد كان اسمها علما على أروع المعارك الوطنية فى تاريخنا الحديث عام ٥٦ والمعروفة باسم حرب السويس والتى خرج منها الأسد البريطانى جريحا ولفظ أنفاسه مع أنفاس الإمبراطورية التى كانت لا تغرب عنها الشمس ومع أنفاس قيادته السياسية التى خططت لهذا العدوان.

إن للسويس فى مراحل تاريخها الحافل وموقعها الفريد المتميز مواقف بطولية سجلتها كتابات كثيرة.

سجلها المحافظ حامد محمود فى كتابه «السويس والمعركة» وسجلها أيضا حين استقدم سبعة من خيرة أساتذة الجامعات المصرية ليضعوا أول وثيقة علمية عام ١٩٥٦ عن شخصية المكان وأحداث التاريخ فى كتاب يحمل اسم «السويس» يعتبر مرجعا

أساسيا لكل من يكتب عن السويس، وسجلها حسين العشى فى كتابيه «معركة كفر أحمد عبده – وحصار السويس» وسجلها على شحاته فى كتابه «السويس وحرب الأيام الستة» كما سجل محمد الراوى قصصا رائعة فى أدب المقاومة وسجل الكابتن غزالى وكامل عيد وعطية عليان أشعارا عكست الواقع النضالى للمدينة ولايفوتنى فى هذا المقام أن أسجل الجهد الخارق الذى بذله محمد عروق فى تسجيل أحداث السويس فى حرب أكتوبر بالصوت والصورة فى أفلام وشرائط فيديو مع القادة العسكريين والمدنيين المشاركين فى الأحداث وصل بعضها إلى السويس.

أما غالبيتها فلدى تليفزيون إمارة الشارقة حيث لم يمهله القدر لإكمال مشروعه ونقل إنتاجه إلى السويس، وحسبنا أنها تذاع على موجات الفضائيات العربية.

مع تكرار الاحتفال بالرابع والعشرين من أكتوبر اعتقد البعض وخاصة جيل الشباب أن بطولة شعب السويس قد اقتصرت على هذا اليوم فقط، وهو فى الحقيقة كان ثمرة جهد وعمل بدأ قبل الخامس من يونيو وبعده وأنه لولا هذا الجهد والعمل ما تمكنت المدينة ومرافقها من الصمود حيث إن البدائل كانت معدة خاصة بالنسبة للمياه والكهرباء وغيرها.

وإذا كنا نتحدث عن بطولة شعب وتجربة مدينة فهل يمكن إغفال دور السويس فى استقبال الجنود العائدين من سيناء فى أعقاب الهزيمة وكيف وفرت لهم الإقامة والإعاشة، وكيف تطوع أبناء السويس من الشباب والصيادين والعاملين فى هيئة قناة السويس لإنقاذ الجنود التائهين والهائمين فى الصحراء؟

وكيف تحولت مدارس المدينة إلى مستشفيات ميدان لاستقبال الجرحى وأيضا إقبال الجماهير بحماس بالغ على التطوع بالدم حتى امتلأت أوعية المستشفى جميعها، وكيف كونت المقاومة الشعبية أثناء الليل من أكثر من خمسمائة متطوع من القادرين على حمل السلاح؟

ثم نأتى إلى إجبار الأهالى على الهجرة تمكينا للقوات المسلحة من أداء واجبها وكيف أدارت قيادات هذه المرحلة التنفيذية والسياسية عمليات التهجير والتسكين والمتابعة من ناحية وصمود الجبهة الداخلية من ناحية أخرى. وكيف عاشت المدينة منذ الخامس من يونيو وحتى بعد الرابع والعشرين من أكتوبر أثناء الحصار.

وهذا ما نسجله فى صفحات هذا الكتاب الذى لا ينحاز إلى أحد وإنما ينحاز إلى جماهير وعت دورها وإلى قيادات أدت واجبها من يونيو ٦٧ إلى أكتوبر ٧٣، وقد شاء قدر

هذه المدينة أن يتوافر لها فى هذه الفترة ثلاثة عناصر أساسية:

١- قيادات تنفيذية وسياسية متعاونة وتنظيم سياسى ناجح تمثل فى تنظيم الاتحاد الاشتراكى فى المدينة رغم اعتقاد البعض أنه كان فاشلا على مستوى الجمهورية ولكنه كان فى السويس منتشرا أو متغلغلا ومنضبطا وواعيا، الأمر الذى كان له أثره فى الاستجابة إلى متطلبات ونداء أى موقف.

٢- جماهير صقلتها التجارب من كثرة التعامل مع الأعداء بدءا من الاحتلال البريطانى للمنطقة ومرورا بعامى ٥١، ٥٦ ووصولا إلى يونيو ١٩٦٧م، حتى الرابع والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣.

٣- وجود قيادات طبيعية وقادة للرأى تلجأ إليهم الجماعة فى محنتها مثل الحاج حافظ سلامة الذى لعب دورا أساسيا فى التعبئة الروحية للجماهير.

بدأت السويس تستعد لمعركة طويلة واستقر الرأى على إيجاد موقع تبادلى متقدم فى مدينة نصر تنتقل إليه أجهزة الخدمات بموظفيها وسجلاتها لتستمر فى خدمة جماهير المحافظة وقابل البعض هذا الأمر بالاستهجان فى البداية ولكن أثبتت الأحداث أهميته وضرورته وكأن القدر قد أراد له أن يلعب دورا أساسيا فى صمود المدينة أثناء حصارها وتلقى أبنائها وإرسال الإمدادات إليها.

ووضع المحافظ نظاما يقضى بأن يتناوب العمل فى هذا الموقع البديل السكرتير العام ومديرو المصالح بالتناوب ليستمر كل منهم فى نوبتجية لمدة ٢٤ ساعة متواصلة.

وكانت بذلك حلقة وصل بين المهجرين وبين محافظتهم مما ساعد على حل الكثير من مشاكلهم كما كان مركزا لتلقى المعلومات وإرسال الإمدادات وقت حصار المدينة.

شاء قدرى أن أخرج من المدينة يوم ٢٠ أكتوبر تحت قصف الطائرات المعادية لطريق السويس القاهرة لاستلام نوبتجية العمل فى الموقع البديل للمحافظة بمدينة نصر وحال إغلاق الطريق دون عودتى للسويس وظللت أعمل ضمن فريق العمل الذى يتلقى الأنباء والاحتياجات وينظم إرسال الإمدادات حتى ٢٩ يناير موعد فتح الطريق وعودة الحياة إلى المدينة.

وقد أتيح لى عقب العودة أن أرى على الطبيعة آثار ومخلفات المعارك كما تحدثت إلى العناصر التى شاركت بأدوار مختلفة وكذلك استمعت مع الدكتور محمد أنيس أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة الذى قدم خصيصا من قبل مركز الوثائق لتسجيل أحداث المعركة مع القيادات العسكرية والمدنية التى شاركت فى القتال والمقاومة كما أتيح لى

الاطلاع على يوميات المعركة بمديرية أمن السويس حين كلفت من قبل مجلس المحافظة برئاسة لجنة الثقافة بالمجلس بالإضافة إلى مشاركتى ومعاصرتى لبعض الأحداث كعضو فى المكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى وأيضا كمدير لقصر الثقافة بالمحافظة.

الأمر الذى حدا بى إلى تسجيل هذه الوقائع لتكتمل الصورة من يونيو ١٩٦٧ وما أعقبها من إعداد ومعارك واعتداءات متكررة وكيف واجهت المدينة أقدارها بصمود أبنائها وقيادتها ووصولا إلى الرابع والعشرين من أكتوبر وكيف قاومت المدينة ودافعت عن شرف مصر وكرامتها وما تبع ذلك من حصار استمر مائة يوم.

وقد تخيرت أسلوب التسجيل من واقع اليوميات والمذكرات والمفكرات ومن واقع التقارير التى سجلها أصحابها لحظة وقوعها حتى تكون أقرب إلى الحقيقة وأميل للصدق. علما أن هناك بطولات وتضحيات ذهب أصحابها دون أن يعرفهم أحد أو يذكر أسماءهم أحد ولكنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

حامد حسب

الفصل الأول:

السويس موقع صنعته الطبيعة وصنعه التاريخ

السويس موقع صنعته الطبيعة
وصنعه التاريخ(١)

إذا نظرنا إلى خريطة العالم القديم لوجدنا نطاقا صحراويا عريضا يقع بين خطى عرض ١٥,٣٠ شمال خط الاستواء ويمتد فى إفريقيا وغرب آسيا، ويفصل هذا النطاق الصحراوى بين أهم مركزين من مراكز تكتل السكان فى حوض البحر الأبيض وأوربا شمالا، وشبه القارة الهندية وما يليها جنوبا بشرق.

وقد شقت يد الطبيعة ذراعين مائيين فى جسم هذا النطاق الصحراوى هما الخليج العربى والبحر الأحمر، وهذان الذراعان يكادان يلتقيان بذراع مائى ثالث فى اتجاه شرقى غربى هو البحر الأبيض المتوسط وقد تركت الطبيعة برزخا ضيقا بين البحرين المتوسط والأحمر، التقى فيه البران الآسيوى والأفريقى وتقابل البحران المتوسط والأحمر.. ومن ثم كانت هذه المنطقة التى تعرف ببرزخ السويس هى ملتقى البرين ومفرق البحرين، ومن ثم كانت أهميتها الفريدة ليس بالنسبة لتاريخ مصر فحسب بل بالنسبة لتاريخ الإنسانية جميعها.

وقد تهيأت هذه المنطقة لتلعب دورا كبيرا فى تاريخ مصر حيث إنها بحق مدخل مصر الشرقى، كانت تفد إليها الهجرات البشرية التى دخلتها من جنوب غرب آسيا، وبعبارة أخرى هى حلقة الوصل بين مصر وشقيقاتها العربيات فى جنوب غرب آسيا وعن طريقها شاركت مصر فى المؤثرات السامية أو العربية القديمة التى كانت تموج بها شبه جزيرة

العرب وحوض دجلة والفرات وبلاد الشام.

وتسجل الكتب المقدسة كما يسجل العالم المصرى د. جمال حمدان قصص وأحداث هجرة القبائل والأفراد من شبه الجزيرة العربية كمخزن بشرى للسكان وكذلك من بلاد الشام ولاسيما عندما يشتد الجدب فى هذه البلاد، وقصة سيدنا يوسف وإخوته مثال لما كانت عليه العلاقات بين مصر وجاراتها الشرقية.

نشأة وتطور موقع السويس..

المتتبع لمولد ونشأة وتطور المدينة فإنه يراها مثالا لهجرة المدينة الدائمة إلى مواقع جديدة لتتمكن دائما من أداء وظيفتها التى يؤهلها لها الموقع الجغرافى الجديد. وكان من الطبيعى أن يكون لمصر مدينة عند الطرف الشمالى لخليج السويس فى جميع العصور وكانت المدينة ترتبط بأى مشروع يصل بين هذا الطرف والنيل بطريق مائى.

فى العصر الفرعونى كانت هذه المدينة تسمى «سيكوت» ومحلها الآن تل المسخوطة على بعد ١٧ كم غربى الإسماعيلية وأطلق عليها الإغريق اسم «هيروبوليس» أو «إيرو» فى العهدين الرومانى والبيزنطى.

عندما انسحبت مياه الخليج نحو الجنوب نشأت ميناء جديدة على الرأس الجديد لخليج السويس كانت تسمى «أرسينوى» أو كليو «باتريس» فى العصر البطلمى ومحل هذا الميناء الآن منطقة «سرابيوم» التى تقع شمال البحيرات المرة.

ثم استمر انسحاب الخليج نحو الجنوب مرة أخرى وانفصلت البحيرات المرة عن الخليج منشأة ميناء البحر الأحمر الجديدة التى سميت «كليزما» فى العصر الرومانى.

وهى التى حرف العرب اسمها إلى «القلزم» وسموا به البحر الأحمر أيضا وفى القرن العاشر الميلادى نشأت ضاحية جديدة جنوبى القلزم «سميت» السويس. ما لبثت أن ضمت إليها القلزم القديمة وحلت محلها وأصبحت ميناء مصر على البحر الأحمر.

ولقد تحالفت عوامل الموقع الجغرافى والاقتصادى لهذه المدينة التى تحركت عبر التاريخ بفرق ما يقرب من ٥٠ كم غرب الإسماعيلية حتى موقعها الحالى وربطت مصيرها بمصير القناة التى حفرت لتصل ما بين البحرين المتوسط والأحمر والتى أطلق عليها اسمها نسبة إلى البرزخ الذى تجتازه القناة اجتيازا مباشرا بين البحرين.

السويس ترفض الهزيمة

كانت هزيمة الخامس من يونيو ١٩٦٧ ذات أثر كبير ومباشر بالنسبة لشعب السويس بصفة خاصة حيث إنه قد تحمل بالنسبة لمنطقة القناة العبء الأكبر لنتائج هذه الهزيمة ، كما كان لها وقع مرير فى نفوس أفراد الشعب المصرى بصفة عامة الأمر الذى تم التعبير عنه بموجات النكات والنقد المرير للنفس وكانت انعكاسا لمرارة الهزيمة النفسية والمعنوية للجماهير التى عبأتها وسائل الإعلام على أساس تحقيق نصر سهل وسريع على العدو الإسرائيلى. ورغم ما حدث فقد طوى الشعب فى السويس آلامه وضمد جراحه فى صمت وانطلق يفتح ذراعيه لأبنائه العائدين من سيناء.

وصمدت جماهير شعبنا البطل لمحاولات الغزو الإعلامى والحرب النفسية التى بدأت أجهزة الدعاية الإسرائيلية تشنها علينا لتثبت فى نفوسنا وتلقى فى روعنا أن أسباب الهزيمة لدينا أبدية وكامنة فى طبيعة شعبنا وقدراته بالنسبة لقدرات وطبيعة شعب وجيش إسرائيل.

ووقع البعض منا أسير الألم والقهر النفسى إلى الحد الذى جعل الآثار النفسية والمعنوية لهزيمة يونيو أكثر فداحة من الهزيمة العسكرية، ولكن السويس بشهادة كل المراقبين لم تسلك مسلكا انهزاميا، وقد حان الوقت بعد مرور ٤٠ عاما على حرب أكتوبر وما حدث بعدها من تطورات لتعديل نظرتنا تجاه العدو الصهيونى بل يجب أن تكون

دراسة فلسفة إسرائيل وأطماعها ودعايتها وتكوين الشخصية الإسرائيلية ركيزة أساسية فى تربية الأجيال من الشباب العربى بصفة عامة.

فإسرائيل دولة تقوم فلسفتها على التوسع بحيث تضم أرض إسرائيل التاريخية وما تحلم به الصهيونية من إضافات على حساب الأرض العربية لاعتبارات سياسية واقتصادية وعسكرية وعقائدية، كما توضح الخريطة المعلقة على جدران الكنيست الإسرائيلى وكما تثبت الخريطة التى قدمتها إسرائيل إلى لجان التحقيق عام ١٩٤٧ والتى وضعها هرتزل عام ١٩٠٤ والمرفق صورة منها لعلها تنتظر التوقيت والظروف المواتية لتنفيذ مخططاتها المدروسة منذ أجيال طويلة.

السويس تستعد قبل الخامس من يونيو[٢]

يقول المحافظ حامد محمود فى مذكراته: «بدأ شعب السويس مراحل الاستعداد لمواجهة احتمالات المعركة التى تكاثفت سحبها فى سماء المدينة مع عبور القوات المسلحة إلى سيناء التى ألهبت مشاعر الجماهير».

فقد شكلت لجنة برئاسة المحافظ لتنظيم أعمال المقاومة تقدم إليها الضباط القدامى من رجال القوات المسلحة والشرطة السابقين من أبناء المدينة متطوعين للقيام بواجبهم الذى يمليه الموقف المشتعل واتخذوا من قيادة الحرس الوطنى قاعدة لعملهم حيث أعدت مراكز التدريب فى السويس وبور توفيق وقام التنظيم السياسى ومنظمة الشباب بتنظيم عمليات التطوع بإمداد مراكز التدريب بالمتطوعين كما عززت القوات المسلحة هذه المراكز بعدد من الضباط والأسلحة والذخيرة المطلوبة.

العمل فى مراكز الإنتاج

كان من الضرورى العمل على استمرار مراكز الإنتاج فى العمل وتوفير كل الاحتياجات اللازمة لها حيث تم إعداد مصادر بديلة للطاقة فى حالة إصابتها وإعداد وحدات متنقلة لتوليد الكهرباء لمواجهة احتياجات الطوارئ وربط جميع مصادر الطاقة ومراكز الإنتاج بالمحافظة كما تم تعزيز خطط الدفاع المدنى واستكمال فرق الإسعاف والإنقاذ واختبار أجهزة الإطفاء فى الشركات وتعزيز وزيادة فاعليتها وتوفير المعدات والأدوات اللازمة لها وكذلك القيام بتجهيز محطة ثابتة بميناء البترول، واستدعاء لنشين إطفاء مجهزين بالأجهزة والمعدات والمواد الكيماوية اللازمة للعمل فى مواجهة أى حرائق قد تحدث فى الميناء.

تم الاتفاق على وضع نظام تشغيل المصانع ورديتين كل منها اثنتا عشرة ساعة ووضعه

موضع التنفيذ عند الضرورة وذلك لمواجهة النقص فى الأيدى العاملة نتيجة الاستدعاء للخدمة العسكرية بالاحتياط أو التطوع للمقاومة الشعبية والدفاع المدنى.

وتم الاتصال بالجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء لتنسيق عمليات الاستدعاء للاحتياط من العاملين بالشركات لضمان توفير العدد اللازم للاستمرار فى التشغيل والصيانة والنقل بالكفاءة التى يتطلبها المجهود الحربى.

الخدمة الطبية

شكلت لجنة فرعية للخدمات الطبية بالمحافظة ضمت المسئولين فى قطاعات المستشفيات والإسعاف والخدمات الصيدلية واتخذت الخطوات التالية:

الاتصال بوزير الصحة لتوفير كميات كافية من المستلزمات الطبية والأدوية للمستشفيات بالإضافة إلى تكوين احتياطى من الأدوية وقد وضعت خطة تعبئة للاستفادة من كل الأطباء سواء أطباء الوحدات الريفية أو الصحة المدرسية أو الأخصائيين بما فى ذلك الأطباء واصحاب العيادات الخاصة.

وضع نظام للإخلاء الجزئى للمستشفيات كاحتياطى للطوارئ ووضعت خطة لإخلاء مستشفى الصدر ومستشفى الحميات فى حالة الضرورة.

كما اتخذت الترتيبات للاستفادة من إمكانات مستشفيات هيئة قناة السويس والنصر للأسمدة وبيوت الشباب وتحويلها إلى مستشفيات عاجلة فى حالة الطوارئ. كذلك تضمنت الخطة تجهيز بعض المدارس كمستشفيات وتزويدها بغرف العمليات والأجهزة اللازمة هذا مع توفير ماكينات إنارة متنقلة ومصابيح وصهاريج احتياطية لغرف العمليات لاستخدامها فى حالة انقطاع التيار الكهربى أو المياه الجارية.

التطوع بالدم

طلبت مستشفى السويس العام تنظيم عمليات التطوع بالدم لحفظها احتياطيا للطوارئ وما أن أعلن هذا الطلب حتى تدافعت جموع الشباب والمواطنين وتزاحموا على المستشفى للكشف عن فصائلهم وقيدها بسجلات بنك الدم بالمستشفى العام ليكون تحت الطلب عند الحاجة إليه بعد حفظ ما يكفى ١٥ يوما وبدأ فى تنفيذ ذلك يوم ١٩٦٧/٥/٢٧ قبل بداية العدوان وتحت ضغط المتطوعين أصدر المستشفى بيانا ناشد فيه المتطوعين أنه بعد أن ملئت ثلاجات حفظ الدم فإن المستشفى تناشد المواطنين أن يحتفظوا بالدم حيا فى أجسادهم إلى حين الحاجة بعد قيدهم فى السجلات وتحديد فصائلهم، وقد اضطر المستشفى إلى إعادة الكثير من المتطوعين الذين توافدوا على المستشفى بعد إقناعهم بعدم

وجود أوعية فى بنك الدم.

وفتح باب التطوع للخدمة الطبية لمساعدة هيئة التمريض وتقدمت مائة وخمسون سيدة تم البدء فى تدريبهن تدريبا سريعا على أعمال التمريض والإسعافات الأولية.

ونذكر هنا أن السويس قد حظيت باهتمام واستجابة المرحوم الدكتور محمد النبوى المهندس وزير الصحة الذى كان على صلة مستمرة وكثير التردد عليها بل شارك بنفسه فى إجراء بعض العمليات الجراحية للمصابين من القوات المسلحة.

المرافق

قامت مديرية الإسكان والمرافق بالتعاون مع الدفاع المدنى فى أعمال التحصينات للمنشآت الحيوية ووضع نظام دقيق للعمل مع تبادل النوبتجيات وتم ربط جميع محطات المياه والتنسيق بينها وإعداد خطة تبادلية لضمان استمرار إمداد المحافظة والمصانع بحاجتها من المياه فى أى وقت. كذلك ربط محطات الكهرباء بالمصانع وبالمدينة لإعداد مصادر بديلة ووحدات متنقلة لاستمرار الإمداد بالتيار الكهربائى وخاصة بالنسبة لغرف العمليات للمستشفيات وغيرها من الأهداف الحيوية كما تم وضع نظام لصرف مياه المجارى إلى البحر فى حالة تعطل أو ضرب محطة المجارى الرئيسية.

الخدمات التموينية

تم الاتفاق مع وزير التموين على زيادة أرصدة المحافظة من المواد التموينية إلى ما يكفى ثلاثة عشر شهرا وزعت على عدة مخازن فى مواقع متفرقة كما وضع نظام دقيق للإشراف على المخابز ومحال بيع السلع الاستهلاكية لضمان انتظام العمل بها.

وقد استجابت وزارة التموين ومؤسسة السلع الاستهلاكية إلى تزويد المدينة بكميات إضافية من المواد والمعلبات وتكوين مخزون احتياطى وتعزيزه باستمرار مما كان له أثره فى صمود المدينة بعد ذلك.

يوميات يونيو ١٩٦٧

سجل المحافظ حامد محمود فى يومياته أحداث يونيو منذ اليوم الأول حتى وقوع العدوان وما حدث بعد ذلك:

الخميس أول يونيو ١٩٦٧

تواترت أنباء تطورات الموقف بما يوحى باحتمالات مختلفة وكان علينا الاستمرار فى متابعة إجراءات الدفاع المدنى واستكمال احتياجاته والقيام بزيارات ميدانية لجميع القطاعات بالمحافظة للتأكد من مدى استعداد الأجهزة وقدرتها على مواجهة كل احتمال.

الجمعة ٢ يونيو ١٩٦٧

أديت صلاة الجمعة فى مسجد الأربعين بالسويس وبعد الصلاة تحدثت مع المصلين بكلمة عن تطورات الموقف ودعونا الجميع إلى الوقوف جبهة واحدة وصامدة لمساندة قواتنا المسلحة فى موقعها فى مواجهة العدوان، وفى المساء حضرت اجتماعا للرأسمالية الوطنية بدار الاتحاد الاشتراكى تسابق فيه التجار على التبرع بالمال للمجهود الحربى، وتسابق الشعب فى التعبير عن تأييده ومساندته لوطنه وقواته من أجل الوقوف فى وجه العدوان وكم كان مؤثرا أن تصعد سيدة إلى المنصة هى السيدة زاهية عوض ناظرة مدرسة وتخلع مصاغها وحليها وتقدمها إلى المحافظ دعما للمجهود الحربى.

استدعاء

مساء يوم الجمعة ٢ يونيو تلقيت دعوة لحضور اجتماع يعقد فى اليوم التالى بمبنى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى بالقاهرة يحضره المحافظ وأمين الاتحاد الاشتراكى ومدير الأمن بالمحافظة، وقد عقد الاجتماع فى اليوم التالى وحضره المحافظون وأمناء الاتحاد الاشتراكى ومديرو الأمن فى محافظات القاهرة – الإسكندرية – الجيزة – القليوبية – السويس – الإسماعيلية – بورسعيد.

رأس الاجتماع المرحوم على صبرى ومعه شعراوى جمعة وزير الداخلية والسيد حمدى عاشور وزير الإدارة المحلية الذى بادر الجميع قائلا:: إن الموقف أغلى من أن نضيعه فى اجتماعات أو لجان وإنما قد استدعيتم لإطلاعكم على الموقف الذى ينبئ باحتمال عدوان متوقع خلال الـ٧٢ ساعة القادمة مما يستوجب سرعة استكمال إجراءات الدفاع المدنى خاصة فى المحافظات التى بها مصانع تحوى مواد قابلة للاشتعال وبعد أن رد على أسئلة البعض اختتم الاجتماع قائلا: محافظاتكم محتاجة كل دقيقة من الآن وسارع المجتمعون بالانصراف، وقبل أن أغادر قاعة الاجتماعات سألت السيد على صبرى ما هو الموقف والمقاومة الشعبية لم تستكمل بعد عدتها فكان رده أن الوقت الآن وقت الدفاع المدنى وكان هذا الرد مؤكدا لما يدور فى خاطرى من أفكار منذ دعيت للاجتماع – وهنا اتفقت مع أمين الاتحاد الاشتراكى ومدير الأمن على حضور اجتماع فى مكتبى بالسويس فى الساعة السادسة مساء نفس اليوم يحضره معهما أعضاء المكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى وكبار ضباط الشرطة والمسئولون عن الدفاع المدنى كما بادرت بالاتصال بسكرتير عام المحافظة لدعوة رؤساء الشركات الكبرى وممثل هيئة القناة بالسويس ومديرى المصالح الرئيسية بالمحافظة لحضور هذا الاجتماع. قمت خلال الاجتماع بشرح تطورات الموقف وطلبت من الحاضرين العمل فورا على استكمال إجراءات الدفاع المدنى والتأكد من سلامة أجهزة الإطفاء على أن تبدأ العمل مساء نفس اليوم بحيث تتم إفادتى بتمام التنفيذ صباح اليوم التالى ٤ يونيو ١٩٦٧ وقد حدث أن قال ممثل إحدى الشركات إنه سوف يوفد لجنة إلى القاهرة لشراء الجوت فكان ردى أن الوقت لا يتحمل هذا ويجب أن يبدأ العمل وينتهى الليلة ومن لايتوافر لديه الجوت يمكنه الحصول على أكياس ورق من مصنع الكرافت بالسويس إلى حين توفير الجوت ومن لا يتوافر لديه الأفراد يمكن لمنظمة الشباب المساهمة فى تعبئة الشكاير والأكياس خلال الليل.

الأحد ٤ يونيو ١٩٦٧

ابتداء من التاسعة صباحا أخذت أتلقى تمامات الشركات باستكمال إجراءات الدفاع المدنى ثم أرسلت فى طلب أوفرول كاكى من الحرس الوطنى وأعددت طبنجتى لأقوم بضرب نار بها فى ميدان فرق الأمن فى التاسعة من صباح اليوم التالى.

فى المساء كان اللقاء الشهرى المشترك الذى يضم جماهير المحافظة مع مديرى المصالح والهيئات والذى يوافق الأحد من شهر يونيو وقد عقد اللقاء موسعا بدار الثقافة وأذيع بالإذاعة المحلية وخلال ٤ ساعات متواصلة تم فيها شرح تطورات الموقف ومناقشة الموضوع من كافة زواياه والرد على الأسئلة.

كان شعب السويس جميعه على بينة من الأمر حيث حضر الاجتماع عدد غفير من جماهير المدينة والتف الباقون حول مكبرات الصوت فى الميادين يسمعون ما يجرى خلال هذا اللقاء. وكانت الجماهير الغاضبة تسأل لماذا لا نبدأ بالهجوم وإيقاف إسرائيل عند حدها؟

الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧

خرجت من منزلى فى الثامنة والنصف متوجها إلى ميدان ضرب النار وكان الجنود يقومون بالإعداد اللازم ، فى التاسعة وخمس دقائق تلقيت نبأ العدوان وقيام طائرات العدو بقصف مطار كبريت الذى يقع ضمن حدود المحافظة فعدت فوراً إلى مكتبى بالمحافظة وأخذت أتابع الأحداث.

فى العاشرة اتصل بى المقدم سعدون حلمى الملحق العسكرى العراقى بالقاهرة من مستشفى الهلال الأحمر بالسويس وطلب الحضور لمقابلتى حيث حضر ومعه عدد من ضباط القوات الجوية وكانوا فى حالة غير عادية وآثار إصابات بسيطة ورماد على ملابسهم حيث شرح ظروف تعرض طائرتهم لهجوم طائرات العدو وأشار إلى قائد الطائرة الرائد محمود السيد من القوات الجوية المصرية وقال: لقد استطاع هذا البطل أن يحفظ أرواحنا ويقوم بعمل انتحارى نجح معه فى إنقاذ حياتنا ولم يكن أمامى إلا أن أشد على يديه مهنئا.(٢)

فى المساء اتصل بى المهندس مشهور أحمد مشهور رئيس هيئة قناة السويس يطلب سرعة ارسال معدات رصف لإصلاح مطارات كبريت وفايد بعد أن أغار العدو عليها فقمنا بجمعها وإرسالها فورا مع عدد من أعضاء منظمة الشباب والعمال.

الثلاثاء ٦ يونيو ١٩٦٧

بدأنا مع الصباح الباكر نواجه مشاكل من نوع جديد ومن أمثلة ذلك ما بلغنى من الدكتور رمزى الليثى رئيس شركة السويس لتصنيع البترول من أن قبطان إحدى ناقلات البترول التى تعمل فى نقل الخام من منطقة البحر الأحمر إلى السويس يقول إن لديه تعليمات من مالك الناقلة بترك المنطقة فورا بالنظر إلى ظروف العدوان وإن هذا الموقف يهدد مصانع البترول بالسويس بالتوقف لعدم كفاية الخام.

أحسست أن الأمر يقتضى تصرفا سريعا فاتصلت بقائد الميناء لبحث الأمر معه حيث علمت أن الناقلة المذكورة بنمية الجنسية ترفع علم ليبيريا وأن عقد استخدامها لم ينته بعد كما علمت أن القبطان موجود على ظهر الناقلة ولقد أحسست بضرورة إحضاره للشاطئ خشية تفكيره فى الهرب بالناقلة وفعلا طلبت من قائد الميناء استدعائه للمناقشة ثم احتجازه وعدم عودته إلى الناقلة إلا بعد الرجوع إلى. ومن ناحية أخرى بادرت بالاتصال بمدير الأمن أطلب إيفاد مأمور قسم الميناء ومعه قوة مناسبة وأحد المسئولين من الموانئ إلى الناقلة المذكورة بأحد الزوارق للتحفظ على الناقلة وإيقاف أى محاولة لهربها.

اتصلت بعد ذلك بالسيد وزير البترول ورئيس مؤسسة النقل البحرى أطلب منهما تعيين طاقم مصرى لقيادة الناقلة للاستمرار فى القيام بواجبها وترحيل القبطان ومن معه إلى بلادهم.

الأربعاء ٧ يونيو ١٩٦٧

تواترت أنباء القتال وبدأت السويس تستقبل بعض أفراد القوات العائدة من سيناء وكان علينا أن ننشئ مراكز استقبال للقوات العائدة تقوم بتقديم الخدمات والرعاية لهم ومساعدتهم على الاتصال بوحداتهم، وتسابق شباب وشابات المدينة إلى مراكز الاستقبال والمستشفيات لرعاية الجرحى والمصابين والتخفيف عنهم كما تسابق الأهالى على إمدادنا - بالتبرعات العينية وتنازل عمال المصانع عن وجباتهم التى كانت تنقل ساخنة فى أوعيتها إلى مراكز الاستقبال لتوزع على الجنود العائدين.

وما ان انتهت فترة الأيام العصيبة الأولى حتى بدأت عمليات تنظيم وتنسيق العمل بالنسبة للمقاومة الشعبية بوضع خطة سريعة للتدريب لتغطية المواقع المختلفة بالمدينة خاصة أن الموقف كان حرجا وأن احتمال قيام العدو بمضاعفة عملياته العسكرية لا يزال قائما وأن وضع القوات المسلحة لم يكن يسمح - دون مساندة شعبية قوية ومسلحة - بعرقلة تقدم العدو الإسرائيلى على طول القناة.

الخميس ٨ يونيو ١٩٦٧

تحويل المدارس إلى مستشفيات ومراكز إيواء

بدأ وصول أول مجموعة من القوات العائدة من سيناء إلى منطقة الجناين ولم يكن هناك أى ترتيبات خاصة لاستقبال هؤلاء الجنود وفى سرعة فائقة منتظمة تمت تعبئة كل طاقات المحافظة لمواجهة هذه المشكلة وقد تم تحويل المدارس والأندية إلى مراكز إيواء وتحويل بعضها إلى مستشفيات لعلاج المصابين فى ساعات قلائل كما سارعت فتيات منظمة الشباب وسيدات التنظيم النسائى إلى خدمة القوات العائدة والسهر على رعايتها وقد وجهت وسائل النقل الداخلى بالمحافظة لاستقبال الجنود العائدين عند مناطق العبور إلى مراكز الإيواء.

كما تبرع العاملون بالمصانع بوجباتهم الغذائية التى وجهت لإطعام الجنود العائدين وفتحت مخازن شركات تموين السفن ليلا ووضعت محتوياتها بالكامل تحت تصرف المحافظة لاستخدامها فى إعاشة القوات المسلحة وكان المرحوم عبد الله المخزنجى هو أول من بادر بفتح مخازن شركته وتقديمها إلى المحافظة.

أقبل الفلاحون بالقطاع الريفى بالمحافظة يحملون ما أنتجته حقولهم من فواكه وخضروات وقدموها للقوات العائدة دون مقابل.

تسابق المواطنون وهم يحملون أوانى الطعام من بيوتهم إلى مراكز الإيواء القريبة منها أو يستضيفون مجموعات من الجنود فى منازلهم وتطوع مئات من شباب المدينة وفتياتها للخدمة فى مراكز الإيواء والمستشفيات كما بلغ عدد المتطوعين بالدم أكثر مما تستطيع مراكز جمع الدم أن تستوعبه.

لقد سجلت صفحات المعركة للمرأة فى السويس وللفتيات من طالبات المرحلة الثانوية مواقف إنسانية رائعة حين كانت الفتيات يقمن بمساعدة الجنود فى خلع أحذيتهم وملابسهم ويقدمن لهم المساعدات حتى أن بعضهن كان يضعن الطعام فى فم الجندى الجريح الذى شوهت وجهه وجسمه قنابل النابالم، ولم تكن الرسالة التى اضطلع بها هؤلاء الشباب قاصرة على التمريض بل كان العمل الأكبر والأخطر الذى كان موضع اهتمامهم هو العمل على رفع الروح المعنوية للجنود وإزالة كل ما تعرضوا له من جراء العدوان، ولقد قامت فتيات السويس بإحضار طوابع البريد والخطابات وتولت كل واحدة منهن كتابة الخطابات لأسر وأهالى الجنود تخبرهم فيها على لسان الجنود بأنه فى ضيافة شعب السويس وأنه بخير وكم كان جميلا ومؤثرا أن يكون رد الفعل لهذه الخطابات متمثلا فى أعداد كبيرة من الأسر والأقارب والأصدقاء تفد إلى السويس لتلتقى بأبنائها وتطمئن عليهم.

الجمعة ٩ يونيو ١٩٦٧

خطاب التنحى للرئيس جمال عبد الناصر

توالت أنباء المعركة وتتابعت الأحداث السريعة بسرعة رهيبة ولكننا لم نفقد قدرتنا على السيطرة على الموقف ومتابعة الإعداد لمواجهة أى احتمال وقد رأيت من المناسب أن أودى صلاة الجمعة فى مسجد الغريب أكبر مساجد السويس وأتحدث بعد الصلاة للمصلين حول أحداث الأيام الأخيرة الماضية وفعلا أعلنت ذلك بالإذاعة المحلية وما أن غادرت مبنى المحافظة حتى اندفعت نحونا إحدى سيارات الجيش وهى تكاد تدهمنا وبها أحد الضباط الذى أخذ يردد فى عصبية وانفعال زائد أن قوات العدو قد دخلت الإسماعيلية وأنها تتحرك من أبو سلطان فى اتجاه السويس وأن علينا مواجهة الموقف والدفاع عن المدينة.

والواقع أن معلوماتى قبل ترك المحافظة مباشرة لم تكن تؤكد هذا النبأ. كان على أن أتصرف إما أن أتخلف عن أداء الصلاة على أن أضع فى اعتبارى ما قد يحدثه هذا من تأثير وإما أن أتخذ أى تصرف آخر. فضلت الذهاب للصلاة وكلفت السكرتير العام المساعد بالتأكد من الخبر وإبلاغى بالمسجد وقد صدق ما توقعت فقد كان الخبر غير صحيح وقمت بعد الصلاة بتوجيه أول حديث للجماهير بعد النكسة أطلب من الجميع الوقوف صفا واحدا فى مواجهة العدوان.

بعد ظهر ذلك اليوم اتصل بى أمين الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة قائلا: إن هناك عددا كبيرا من الجنود فى ميدان الأربعين وانه يجب أن نسارع للتصرف فى الموقف، اتصلت فورا بمحطة السويس العسكرية أسألها عن التصرف إزاءهم فطلبت تحويل هؤلاء الجنود إلى أحد المعسكرات الذى حددته لنا، طلبت من مدير مرفق الأتوبيس موافاتى بجميع سيارات الأتوبيس الخالية بالخدمة فى ميدان الأربعين لاستعمالها فى عملية النقل وذهبت إلى الميدان ومعى أمين الاتحاد الاشتراكى المهندس جمال سعد حيث قمنا بتجميع الجنود وإرسالهم إلى معسكرهم.

فى المساء أذيع حديث الرئيس جمال عبد الناصر على الشعب الذى أعلن فيه تنحيه عن موضع القيادة وكنت أجلس فى مكتبى بالمحافظة نتابع حديث الرئيس بالتليفزيون وقد تزاحمت أمامى المشاعر ولم أكد أستجمع بعض خواطرى عندما اندفعت جماهير الشعب إلى مكتبى هادرة مطالبة ببقاء الرئيس فى موضع القيادة وهى تنتزع صورة الرئيس من مكتبى لتحملها مندفعة خارج مبنى المحافظة فى حماس شديد.

وكانت قد وصلتنا قبل إذاعة خطاب الرئيس بلحظات عدة سيارات تحمل الأسلحة

والذخيرة رأينا إبقائها حتى الصباح بمعسكر المقاومة الشعبية وقد رأيت المبادرة بإخراج هذه السيارات إلى مكان أمين خارج المدينة حتى لا تندفع الجماهير إليها وتخرج ما بها من أسلحة بعيدا عن أى سيطرة وفعلا صح ما توقعت فما أن غادرت السيارات مقر المقاومة الشعبية حتى كانت جماهير الشعب تندفع فى حماس شديد إلى المقاومة تطلب السلاح.

أصبحت السويس فجأة فى خط المواجهة الأول مع العدو وكان الموقف يقتضى التصرف بحكمة فسارعت إلى الجماهير التى تجمعت أمام ديوان المحافظة أحاول مخاطبتها إلا أنه لم يكن ممكنا أن يستمع أحد إلى ما يقال فقد توجهت إلى غرفة الإذاعة المحلية حيث ارتجلت كلمة أناشد الجماهير فيها تقدير الموقف وهى تعبر عن شعورها وأخذت الإذاعة المحلية تذيعها تباعا.

ومن ناحية أخرى أعددت مكبر صوت وأمسكت به وأنا أقف على شكاير الرمل المتراصة أمام مدخل مبنى المحافظة أناشد الجماهير أن تعى دقة الموقف بالنسبة للسويس وهى تعبر عن شعورها معلنا مشاركتى لها فى المطالبة ببقاء الزعيم القائد فى موقع القيادة وشاركنى فى هذا الموقف أمين الاتحاد الاشتراكى وأعضاء المكتب التنفيذى للمحافظة حيث أخذوا فى مخاطبة الجماهير ومحاولة السيطرة على الموقف.

وإزاء تزايد التجمع فى ميدان المحافظة وحدوث الاشتباك فى هذه الأثناء واحتمال ضرب هذه الجموع كان علينا التصرف بما يخفف من هذا الزحام فطلبت من أمين الشباب أن يوجه المواطن الذى يحمل صورة الرئيس لقيادة المظاهرة إلى شوارع المدينة حتى نخفف الجموع المحتشدة فى الميدان.

وخلال الليل كان علينا أن نستعد لمواجهة اليوم التالى بكل احتمالاته وكنت قد أحضرت قطارا مكونا من اثنتى عشرة عربة أبقيته فى بو رتوفيق بصفة احتياطية لمواجهة احتياجات التهجير فطلبت إعداد القطار للتوجه إلى القاهرة حاملا عددا من شباب السويس ومعهم بعض القيادات للتوجه إلى منزل الرئيس للتعبير عن رأى شعب السويس فى الموضوع وناشدت الجماهير التى كانت قد تسلمت أسلحة فى اليوم السابق من المقاومة الشعبية التوجه فورا إلى مراكز التدريب كما طالبت العمال أن يعودوا إلى مصانعهم لمواجهة عملهم فى معركة الإنتاج وأنه يمكن للأفراد الخاليين من الخدمة أن يستقلوا القطار للقاهرة للتعبير عن رأى السويس.

السبت ١٠ يونيو ١٩٦٧

فى الصباح الباكر بدأ جميع العاملين فى الشركات والهيئات وغيرهم من أبناء المدينة يتوافدون على المحافظة والاتحاد الاشتراكى فى زحف كبير يعلنون إصرارهم على بقاء الرئيس فى موقع القيادة فسارعت إلى لقائهم ومعى أعضاء المكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى بالمحافظة حيث أخذنا ننظم حركة وحماس الجماهير بما يتفق والظروف التى تواجهها المحافظة وأعلنا عن قيام القطار المعد لحمل ممثلى السويس للقاهرة للتعبير عن رأى السويس فى الموقف. وكان بين صفوف الجماهير بعض المتطوعين فى المقاومة الشعبية بأسلحتهم فدعوناهم إلى الانضمام إلى مراكز التدريب وأخذنا طوال اليوم نتابع الموقف فى السويس حتى لا يخرج عن سيطرتنا فى هذه الظروف الدقيقة.

فى المساء أذيع نبأ عدول السيد الرئيس عن التنحى وكان لهذا أثره فى استقرار وهدوء النفوس وإتجه الجميع إلى مراكز التدريب فى المقاومة الشعبية للتطوع والتبرع بالدم.

إنقاذ الجنود من الصحراء

ابتداء من ١١ يونيو انتقلت عملية استقبال الجنود إلى مرحلة جديدة تطورت من مجرد عمليات استقبال وإيواء إلى عملية إنقاذ واسعة النطاق تخطت حدود الضفة الغربية للقناة إلى داخل صحراء سيناء على امتداد عشرات الأميال من ساحلها، ولقد تطلبت عملية الإنقاذ داخل سيناء مضاعفة الجهد وسرعة الحركة حين تبين ضخامة عدد الجنود المنتشرين بالصحراء الذين يعانون من الإرهاق النفسى والبدنى فى الوقت الذى تتقدم فيه قوات العدو نحو الضفة الشرقية للقناة. وكان لا بد من المخاطرة لإنقاذ أرواح هؤلاء الجنود – ونظمت عملية الإنقاذ وأسهمت هيئة قناة السويس بجهد مخلص رائع سواء بالمعدات أو الأفراد أو المتطوعين.

وعبرت مجموعات الإنقاذ إلى الشاطئ الشرقى للقناة وقد توغلت داخل سيناء إلى ما بعد عيون موسى بل أن بعضها وصل إلى أبو رديس واستطاعت أن تنقل إلى الشاطئ الغربى للقناة آلافا من الجنود الهائمين على وجوههم فى الصحراء ولا ننسى ما بذله أصحاب العائمات والصيادين من المواطنين البسطاء من جهد فى هذا السبيل.

ولقد أسهم الأطباء الذين رافقوا قوارب الإنقاذ التى كانت تتولى نقل الجنود فى إنقاذ أرواح الكثيرين وعلاج الجرحى منهم وإسعافهم كما اتخذ بعض هؤلاء الأطباء نقط إسعاف ثابتة على الشاطئ عندما تبينت الحاجة إلى خدمات طبية مستمرة كما تم إنقاذ الكثير من المعدات والأسلحة باستخدام إمكانيات هيئة قناة السويس، ومن ناحية أخرى

قام اثنان من الأطباء الشباب هما د. محمد عبد الرحيم ود. علاء علوانى من أطباء هيئة القناة بعمل نقطة إسعاف فى منطقة عيون موسى لإسعاف القوات العائدة بالرغم من وجود قوات العدو فى المنطقة وتعرضهم لكل احتمال وأقول إن هذين الطبيبين استطاعا أن يقوما بعمل فدائى رائع استحقا عنه عن جدارة تكريم الرئيس عبد الناصر لهما بمنحهما الأوسمة تقديرا لجهدهما ولقد تعرضت الكثير من هذه المجموعات ومعها قياداتها لمواجهة العدو والوقوع فى أسره بل ذهب البعض منهم شهيدا لهذا الواجب. ولقد سجل الجنود العائدون من سيناء على العدو غدره ووحشيته وخبثه سواء بالحرب النفسية التى شنها عليهم بقصد تحطيم معنوياتهم أو بالتعذيب البدنى وترك الجرحى منهم دون علاج حتى وصل الكثيرون منهم فى حالة سيئة، ولقد ظل هذا العبء ملقى بالكامل على عاتق السويس لأيام عدة إلى أن بدأت القوات المسلحة فى تنظيم هذا الأمر وكم كان رائعا وجميلا حين يصل الضابط أو الجندى ليجد من يستقبله بعصائر المانجو والفاكهة ويحولون بينه وبين الماء حتى يرتوى ثم يقدم له الماء بعد العصائر ثم ينقل بعد ذلك إلى أحد مراكز الإيواء حيث يستجم وبعدها ينضم إلى وحدته ولقد ترك هذا الموقف أثرا ووقعا طيبا فى نفوس الكثيرين من ضباط وجنود قواتنا المسلحة وظلوا يحملون هذا الجميل لشعب السويس حتى بعد انتهاء العدوان.

صورة عبد الناصر

كانت هناك صورة كبيرة من الخشب للرئيس جمال عبد الناصر معلقة على عمود بشاطئ «الماريكاب» لسان بور توفيق وبعد اختراق سيناء وصل جنود العدو إلى قرب مكان الصورة ونظروا إليها من بعد ولكنهم خشوا الاقتراب منها لشكهم فى أن يكون هذا كمينا لهم أو أن يكون تحتها حقل ألغام.

وعادوا فى اليوم التالى وأخذوا يتفحصون المكان واقتربوا من الصورة ولكنهم خشوا انتزاعها من مكانها.

وفى اليوم الثالث وصلت قواتهم المدرعة وأطلقت نيرانها على الصورة والعمود الذى يحملها فتطايرت قطعة وسقطت مع الصورة فى مياه القناة.

بعدها بدأ جنود العدو يتلقون الجنود الذين يصلون إلى الشاطئ ويطلبون من الشاطئ الآخر عن طريق القوارب التى تعبر القناة بالجنود العائدين وبالصياح بلغة عربية بطيخا حيث كان حر يوليو شديدا مقابل تسليم الجنود المتجمعين لديهم وتشاور المحافظ مع أمين الاتحاد الاشتراكى واتفقوا على تشوين كمية من البطيخ وكلما لاح على الشاطئ المقابل جندى أرسل لهم القارب يحمل البطيخ ليعود محملا بالجنود.

وهكذا استقر العدو على الشاطئ الشرقى لقناة السويس، ولم يكن يفصل الشاطئ الشرقى عن الشاطئ الغربى غير ١٨٠ مترا هى عرض القناة فى هذه المنطقة ولم يكن غريبا أن تسمع أصوات جنود العدو وبذاءاته وهو يسب جنودنا على الشاطئ الآخر واختار العدو هذا الموقع ليقيم عليه أحد حصون خط بارليف الذى عرف فيما بعد بموقع لسان بور توفيق الذى استولى عليه جنودنا كما سيأتى بعد.

أحداث فى حياة السويس

ليس أصعب ولا أشق على نفس أى مواطن سويسى من أن يضطر إلى مغادرة بلده وهو الذى يأسره تراب هذه البلدة وما تمتاز به من أسرية وهدوء وبساطة وقد أفاء الله عليها بمصادر رزق متعددة لم يضطر معها الناس تحت ضغط الظروف الاقتصادية إلى الهجرة طلبا للرزق بل العكس تماما فالسويس منطقة جذب سكانى للكثير من سكان المناطق المحيطة بها ويتمثل ذلك فى الروابط والجمعيات المنتشرة لأبناء الصعيد والشرقية والمنوفية وغيرها فالسويس مضيافة وهى بلد الغريب الذى يأتيها طلبا للرزق فإذا به بعد قليل ميسور الحال وفى رغد من العيش بل تجده قد اندمج فى مجتمع المدينة وأصبح يفخر بانتمائه إليها ويعتز بها عن بلده وموطنه الأصلى وقد وضح ذلك جليا فى عمليات التهجير فالذين هاجروا إلى الصعيد كانوا يعتبرون أنفسهم وهم فى موطنهم الأصلى وبين أهليهم من أهل السويس وكذلك من ذهب إلى الشرقية والمنوفية وغيرها.

العدو يضرب المدينة

فى ١٤، ١٥ يوليو ١٩٦٧ حاول العدو إنزال بعض الزوارق فى القناة حيث كان العدو قد أخذ يردد أنه يملك النصف الطولى للقناة، المحاذى للبر الشرقى ونحن لنا النصف المحاذى للبر الغربى وكان الغرض من إنزال الزوارق هو رفع العلم الإسرائيلى على الشامندورات الموضوعة لتحديد المجرى الملاحى للقناة، وما أن اقتربت القوارب من الشامندورة حتى تصدت لها قوات من المقاومة الشعبية(*) بإطلاق النار عليها وشدت أزرها وحدات من القوات المسلحة وأحبطت محاولات العدو لرفع العلم الإسرائيلى على الشامندورة وسط القناة. يومها تمكنت المقاومة الشعبية من أسر ضابط وجندى إسرائيلى من القوات التى كان يحملها أحد الزوارق وكان هذا الضابط والجندى هما أول أسيرين يقعان فى أيدى القوات المسلحة بعد الخامس من يونيو، وإزاء هذا الموقف وفشل العدو فى تحقيق أغراضه وأهدافه أخذ يضرب المدنيين والأهداف المدنية كالمساجد والكنائس والمستشفيات وغيرها من المنشآت المدنية.

(*) أفراد المقاومة هم مصطفى أبو هاشم، عبد ربه محمد عبدربه، غريب محمد غريب .

كما اشتركت طائرات العدو فى ضرب المدينة بالصواريخ والقنابل كما تعرضت مصانع البترول لقصف الطائرات فاندلعت فيها النيران إلا أن جموع العمال سارعت إلى مواقع الحريق وبدأت فى محاصرة النيران وإيقاف خطر الاشتعال وامتداد النيران إلى باقى المستودعات. وفى اليوم التالى للحريق بدأت جموع العمال عملا آخر يتمثل فى إعادة تشغيل وإصلاح ما دمره العدو وعادت شعلة البترول مرة أخرى تنير سماء المدينة ولكن العدو الذى يهدف إلى إضعاف الروح المعنوية وإلى إشاعة الذعر بين المواطنين لجأ فى سبتمبر ١٩٦٧ إلى اعتداءات متكررة ركز فيها هذه المرة على ضرب الأحياء الآهلية بالسكان وتركز الضرب على حى الأربعين وفى ميدان الأربعين سقطت صواريخ وقنابل ولم تكن المدينة قد أخليت بعد من السكان وكان الجميع يرفعون شعار التمسك بالأرض ورفض الهجرة بل كان كل واحد منهم يسخر من التفكير فى مغادرة المدينة ويصف ترك المدينة بالجبن والخنوع وسقط الشهداء والجرحى بالعشرات ولم تكف وقتها عربات الإسعاف بالمدينة لنقل الجرحى والشهداء وبدأت الجماهير تحمل طوايل الخبز بدلا من النقالات وتستعمل عربات الكارو لتحمل عليها الضحايا والجرحى إلى المستشفى. وتهدم المسجد وتهدمت المبانى وتناثرت الأشلاء ووقفت سيارات النقل مصابة يجلس فيها السائق وتباعه قتلى فى مقاعدهم وعربات الكارو يرقد تحتها حصانها الذى لفظ أنفاسه، الناس على المقهى استشهد بعضهم على المناضد والكراسى وكان لا بد من تهجير السكان.

عملية التهجير

بعد هذه المعركة كان لا بد من تخفيف الكثافة السكانية للمدينة ولم يكن هناك بد من إفساح المجال للمواجهة مع العدو حيث درج على تركيز مدفعيته وصواريخه على المناطق السكانية والمدارس التى كانت لحسن الحظ خالية من التلاميذ، ومن أجل المحافظة على أرواح الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ وحتى نفوت على العدو أغراضه قررت اللجنة الوزارية للأمن القومى فى اجتماعها يوم ١٩٦٧/٩/٥ بحضور محافظى السويس والإسماعيلية وبورسعيد الشروع فورا فى تهجير السكان ممن ليس لهم عمل بالمدينة والاحتفاظ فقط بالحد الأدنى للعاملين فى الحكومة والقطاع العام اللازمين لاستمرار العمل فى القطاعات المختلفة وكذا أفراد القطاع الخاص الذين يعملون فى خدمة المقيمين بالمدينة بعد التهجير.

وقامت مديرية الشئون الاجتماعية بعمل مسح شامل للمدينة وذلك بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام يحتوى كل قسم منها على عدد من الشياخات والشوارع وتم حصر مبدنى للأسر

التى سيتم تهجيرها حسب خطة التهجير الموضوعة فى ذلك الوقت وبدأت خطة التهجير بالآتى:

١- هجرة اختيارية لأسر العاملين فى الحكومة والقطاع العام مع منح أرباب الأسر استمارات للعودة لعملهم وكذا صرف استمارات مجانية لأفراد القطاع الخاص لتهجير أسرهم إلى المحافظات التى يختارونها ونجحت هذه الخطة فى تهجير ١١٦ ألف مواطن.

٢- هجرة إجبارية كانت بالنسبة لغير القادرين على الإقامة بوسائلهم فى المحافظات المختلفة شملت ٢٣١٨٧ مواطنا تم تدبير أماكن لإقامتهم فى محافظات الجيزة والفيوم وبنى سويف والمنيا.

٣- تهجير ٥٦١٣ مواطنا من القطاع الزراعى للإقامة فى منطقة أبيس بجوار الإسكندرية.

تحويل تلاميذ المدارس

على أثر إغلاق المدارس فى أكتوبر ١٩٦٨/٦٧ بدأت مديرية التربية والتعليم فى اتخاذ إجراءات لتيسير تحويل التلاميذ للمدارس المختلفة على مستوى الجمهورية، واقتضت عملية التهجير وتحويل طلاب وطالبات المدارس بذل الكثير من الجهد وأجريت الكثير من الاتصالات بالوزارة وكذا الجامعات وأصدر السيد وزير التربية والتعليم قرارا بتعيين وكيل وزارة لشئون منطقة القناة وصدرت تعليمات الوزارة إلى المناطق التعليمية بالتجاوز عن الإجراءات التقليدية فى عمليات تحويل الطلاب والاكتفاء بالاستمارات الخاصة التى تحولها محافظة السويس وما فيها من بيانات بل صدرت التعليمات بقبول الطلاب بالتجاوز أيضا عن كثافة الفصول واقتضت الضرورة تحويل جزء كبير من طلاب المدارس الخاصة إلى المدارس الأميرية فى المناطق التى لا توجد بها أنواع مماثلة لمدارسهم.

وقد تم بموجب هذه الإجراءات تحويل طلبة وطالبات السويس الذين يربو عددهم على ٦٠ الف طالب وطالبة دون حدوث مشاكل أو تعقيدات بالرغم من دقة الظروف وأمكن إتمام هذا العمل خلال فترة قياسية لا تعدو شهرا واحدا.

تهجير القطاع الزراعى

تقع المنطقة الزراعية فى السويس على امتداد الشاطئ الغربى من القناة وهى أكثر المناطق تعرضا للخطر وقت حدوث الاشتباكات وكان لا بد من تهجير الفلاحين من سكان القطاع تأمينا لهم من ناحية ولإتاحة حرية الحركة للقوات المسلحة من ناحية أخرى، والمشكلة التى برزت هنا هى أن هجرة الفلاح تختلف عن ساكن المدينة لأن ساكن المدينة لا

يحتاج لأكثر من مسكن للإقامة أما الفلاح فيحتاج إلى مسكن لإقامته وأرض لزراعتها وحظيرة لماشيته، لا بد من توافر هذه المقومات الثلاث وفى مكان واحد باعتبار هذه المقومات هى مصادر الإنتاج بالنسبة للفلاح كما أن عملية التهجير ذاتها تختلف أيضا عن مثيلاتها فى المدينة فلقد ضمت قطارات التهجير عربات لركوب الفلاحين وعربات أخرى للماشية وثالثة للمعدات، الزراعية والعربات الكارو.

وكان المواطنون يطلقون على هذه القطارات سفينة نوح حيث تضم الإنسان والحيوان والطيور بالإضافة إلى المعدات، ولم يتخلف المحافظ عن توديع أى فوج من المهاجرين يغادر السويس، وهجر القطاع الزراعى إلى منطقة أبيس ومريوط وهى مناطق تابعة للإصلاح الزراعى كانت معدة لتهجير فلاحين من الدلتا فأعطيت الأولوية لفلاحى السويس بعد اتفاق المحافظ مع هيئة الإصلاح الزراعى، وقد وزعت الأرض الزراعية على ضوء البحث الذى أجرته الشئون الاجتماعية عن كل أسرة وبقى فى القطاع الزراعى بالسويس بعض الفلاحين والملاك للاستمرار فى رعاية [illegible]. ولقد كان من أعظم الإنجازات تهجير سكان هذا القطاع بكل مقومات حياتهم العملية والاجتماعية إلى مجتمع له نفس خصائص مجتمعهم الذى خرجوا منه وبذلك تيسر لهم أن يستأنفوا حياتهم ونشاطهم دون إجحاف أو اغتراب تحولوا إلى قوى منتجة فى أماكنهم الجديدة ولقد فرضت عمليات التهجير على محافظى السويس وأمناء التنظيم السياسى ضرورة متابعة المهاجرين وزيارة مناطق الإيواء والمحافظات التى تتركز فيها الهجرة الإجبارية بل أصبح تقليدا لكل محافظ يأتى إلى المدينة أن يزور أبناء السويس فى مناطق التهجير بل كانت المشاكل تنتظر زيارة المحافظ حتى يقوم بحلها.

وهكذا هجر المواطنون من السويس حتى يفوتوا على العدو أهدافه ويتيحوا لقواتهم المسلحة مجال الحركة وحتى لا يذهب الأبرياء ضحايا للعدوان الغادر.

وبقيت منهم بالمدينة فئات أبت مبارحة المدينة طوعا واختيارا وحملت على كواهلها مسئولية العمل فى الهيئات والشركات والمصانع ومرافق الخدمات وفى القطاع الخاص وظلوا يحملون نبض السويس أمام كل زائر ويمثلون شعب السويس فى مواجهة أى محنة وكل نازلة، يهرعون إلى أداء الواجب ودفع الضريبة عند أول بادرة وقبل أى نداء.

فهذه هى السويس وهذا هو شعبها، لقد قدر للذين بقوا بين الأطلال أن يحملوا لواء المقاومة ومواجهة العدو فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣.

لجان المهجرين

لم يكن من الممكن ترك المهجرين في الأماكن التي هجروا إليها دون رعاية ودون قيادة. فالاحتياجات كثيرة والإمكانات محدودة- رغم أن الدولة لم تقصر فى رعايتهم- حيث كانت هناك إعانات شهرية تصرف للأسر وفق أعداد كل أسرة علاوة على الإعاشات والمعونات التى تقدمها الشئون الاجتماعية من أغطية وملابس وغيرها بالإضافة إلى ما تبذله المحليات من جهود لإراحة المهجرين. كما حظى الطلاب وخاصة طلاب الجامعات برعاية خاصة سواء فى الإعفاءات المختلفة من المصروفات والرسوم والكتب ومنحهم مساعدات شهرية وتخفيضات فى المواصلات وغيرها من الاحتياجات، فلم تقصر الدولة فى الرعاية والإعاشة لكل الفئات، كانت الدولة والشعب والتنظيم السياسى يعملون فى اتجاه واحد.

وقد قامت قيادة العمل السياسى فى السويس بتشكيل لجان من المهجرين أنفسهم فى كل منطقة من المناطق التى توجد بها تجمعات لتكون حلقة اتصال بين المهجرين والسلطات المحلية والعمل على حل مشاكلهم وتدبير احتياجاتهم.

وقامت هذه اللجان فى مناطق التهجير بجهد رائع وحققت الهدف من إنشائها بل إنها كانت تقوم بدور تنويرى وتثقيفى وإعلامى بين جموع المهجرين، فكانت تعقد المؤتمرات وتدعو قيادات العمل السياسى للمشاركة بالإضافة إلى القيام بجهد تنظيمى خلال زيارات القيادات التنفيذية من الوزراء والمسئولين لعرض المشاكل واقتراح الحلول.

وقامت هذه اللجان بتشكيل لجان فنية على غرار فرقة أولاد الأرض بالسويس تحفظ أغانيها بكلماتها وألحانها وتقدمها فى المناسبات المختلفة بالإضافة إلى زيارات فرق الثقافة الجماهيرية مواقع التهجير سواء من الفرق المسرحية أو الفنون الشعبية وكذلك قوافل الثقافة والعروض السينمائية.

ولقد أثمرت فكرة تكوين لجان قيادية من المهجرين أنفسهم فى تكوين كوادر وعناصر قيادية تشارك المهجرين آلامهم وتفى باحتياجاتهم وتعمل على تلبيتها لأنها ليست دخيلة وليست وافدة عليهم.. الأمر الذى كان له أكبر الأثر فى تخفيف المعاناة النفسية التى كانت سمة شائعة بينهم حيث فقد الكثيرون منهم ممتلكاته وسبل عيشه واستقراره ومكانته التى كان يتمتع بها بين أهله وأصدقائه بالإضافة إلى تركه المدينة التى نشأ بها وكان يعشق ترابها وسواحلها.

فكان البعض يأتى إلى السويس بموجب تصريح للزيارة يستخرجه من مقر المحافظة من مدينة نصر ليلقى نظرة على المدينة ويذهب إلى ساحل البحر فى بور توفيق أو

الكورنيش القديم لمجرد أن يستمتع بالنظر إلى مياه البحر الزرقاء ويملأ رئتيه بنسيمه حيث كانت هذه هى البيئة التى نما وكبر بين أحضانها والتى يحن إليها بين الحين والآخر.

ومن هنا كان مهاجرو السويس أقل إشكالات وأكثر هدوءا من فئات أخرى من المهجرين لم تتوفر لهم مثل هذه اللجان ومثل هذه الرعاية.

بيان عن الأسر المهجرة من محافظة السويس الذين يتقاضون إعانة الإعاشة داخل وخارج المعسكرات بالمحافظات:

المحافظات	داخل معسكرات		خارج معسكرات		الجملة		النسبة المئوية	
	أسر	أفراد	أسر	أفراد	أسر	أفراد	أسر	أفراد
القاهرة	–	–	٧١٣٨	٣٦٢٤٣	٧١٣٨	٣٦٢٤٣	,١٦	,١٩
إسكندرية	١٢٦٧	٥٦٠٤	١٣٠٩	٥٠٧٢	٢٥٧٦	١٠٦٧٦	,٠٥	,٠٥
دمياط	–	–	٢٦١	١٤١٦	٢٦١	١٤١٦	,٠٠٦	,٠٧
الدقهلية	١٧٤	٧٩٤	٢٠١٨	٩١٥٧	٢١٩٢	٩٩٥١	,٠٥	,٠٥
الشرقية	٦	١٤	٣٠٥٠	١٤١٤٦	٣٠٥٦	١٤١٦٠	,٠٨	,٠٧
القليوبية	٧٤	٣٥٠	٤٣٥١	١٨٧٦٦	٤٤٢٥	١٩١١٦	,١٠	,١٠
الغربية	٦٢	٢٤٧	١٦٥١	٦٧٥٢	١٧١٤	٦٩٩٩	,٠٥	,٠٣
كفر الشيخ	–	–	٦٥	٢٥٢	٦٥	٢٥٢	,٠٠٢	,٠٠١
المنوفية	٨١٦	٣٠٣٩	–	٣٦٦٣	١٦٣٨	٦٧٠٢	,٠٥	,٠٤
الجيزة	١٦٧٨	٧٢١٠	٣٨٣٩	١٥٥٣٢	٥٥١٧	٢٢٧٤٢	,١٢	,١٢
الفيوم	٦٣٦	٢٧٤١	٦٧٦	٢٧١٤	١٣١٢	٥٤٥٥	,٠٤	,٠٣
البحيرة	٥٨	٢٤٣	١٨٣	٧٧٢	٢٤١	١٠١٥	,٠٠٥٢	,٠٠٥٢
بني سويف	١٧٦٣	٧٣٢٨	٩٩٥	٣٥٩١	٢٧٥٨	١٠٩١٩	,٠٦	,٠٦
المنيا	١٨٦٠	٦٩٤٠	٣٢٨	١٢٦٢	٢١٨٨	٨٢٠٢	,٠٥	,٠٤
أسيوط	–	–	٩٢٠	٣٨٥٥	٩٢٠	٣٨٥٥	,٠٣	,٠٢
سوهاج	–	–	٣٢٨٧	١٣٩٧٣	٣٢٨٧	١٣٩٧٣	,٠٧	,٠٧
قنا	–	–	٢٧١١	١١٤٦٦	٢٧١١	١١٤٦٦	,٠٦	,٠٦
أسوان	–	–	٣٥٣	١٠١٣	٣٥٣	١٠١٣	,٠٠٨	,٠٠٥
البحر الأحمر	–	–	٨٩	٣٢٩	٨٩	٣٢٩	,٠٠٤	,٠٠٢
الوادي الجديد	–	–	١٩٤	٧١٢	١٩٤	٧١٢	,٠٠٥	,٠٠٧
مطروح	–	–	١٩	٦٨	١٩	٦٨	,٠٠٠٧	,٠٠٨
الجملة	٨٣٩٥	٣٤٥١٠	٣٥٠٥٩	١٥٠٧٥٣	٤٣٤٥٤	١٨٥,٢٦٢	١٠٠	١٠٠

مصدر البيان: الإدارة العامة للتهجير بوزارة الشئون الاجتماعية.

ملاحظات: نسبة المهجرين بالقاهرة ١٩٪ وهى أعلى نسبة بين المحافظات تليها الجيزة ونسبتها ١٢٪ ثم القليوبية ١٠٪ ثم سوهاج ٧٪ والشرقية ٧٪

٢٤ أكتوبر ١٩٦٧ يوم الحريق.. العدو ينتقم لإيلات

ذكرى انتقام العدو من بطولة قواتنا البحرية التى أغرقت له المدمرة إيلات إحدى أهم قطع أسطوله أمام شواطئ بورسعيد نبهت العالم إلى أن أبناء مصر رابضين على شواطئها، وقد أناروا ليل الهزيمة بصواريخهم التى أطاحت بإحدى قطعتين تفخر بهما بحرية إسرائيل.

لقد ظلت مصانع السويس تعمل بكامل طاقاتها الإنتاجية منذ بدء العدوان حتى يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧ إذا استثنينا الفترة القصيرة التى يعطل فيها الإنتاج جزئيا بسبب الغارات الجوية التى حدثت يومى ١٤، ١٥ يوليو ١٩٦٧ وظلت شعلة البترول تضىء سماء السويس.

ولم يكن أمام العدو ما يستحق الانتقام منه سوى إطفاء هذه الشعلة المتوهجة فحدد للغدر موعدا تصور فيه ضخامة عدد الضحايا من البشر وهول التدمير الذى سيحدث ليشفى غليله وكانت الساعة الثانية والنصف موعدا لبدء الانتقام وموعدا لخروج عمال الوردية الأولى ودخول عمال الوردية الثانية علاوة على وجود بضعة مئات من عمال البناء يقيمون السواتر الحجرية حول صهاريج البترول ويعملون فى الإنشاءات الأخرى وكانت المنطقة فى هذه الساعة تضم أكثر من ١٠ آلاف عامل.

تركزت الضربة الأولى على شركة النصر للبترول فاشتعلت الصهاريج فيها وتوالى الضرب وأمطرت الشركة بوابل من القذائف ثم انتقل القصف إلى شركة السويس لتصنيع البترول ثم إلى شركة الأسمدة والصناعات الكيماوية، واستمر الاشتباك ما يزيد عن أربع ساعات متواصلة وارتفعت ألسنة النيران واشتد أوارها وكان السحاب الأسود والدخان يغطى سماء المدينة ويخيم عليها واشتعلت المنطقة بأكملها مما كان له أبلغ الأثر فى نفس كل مواطن من أبناء السويس بالنظر لما لهذه المصانع فى نفس كل أسرة وكل فرد من أبناء السويس من منزلة خاصة إذ أن كلاً منهم قد تفتحت عيناه على الزيتية كما يسميها أهل السويس. إنهم يفخرون بها لأنها سمة مميزة لبلدهم وما من أسرة فى السويس إلا ومن أفرادها من يعمل فى الزيتية بل إن أسرا بأكملها تعمل بها ولعل هذا هو سر الحزن وسر الألم الصامت الذى دفع بالشباب وبالعمال إلى اقتحام هذه النيران لإنقاذ الزيتية ولقد عمل فيها الآباء وهى أمل الأبناء، لقد بكى عمال الزيتية يومها وبكى رؤساؤهم وهم

يكافحون النار لأن هذه المصانع مصدر رزقهم أو كل عيشهم، إنه نوع من الوفاء عرف به أهل هذه المدينة لكل شبر فيها ولكل مصنع بها بل لكل حارة وكل شارع هذا الوفاء دفع الكثير منهم إلى أن يحولوا بين النار وبين مستودعات البترول الباقية وبدأ العمال فى قطاعات البترول المختلفة فى النصر للبترول وفى السويس لتصنيع البترول فى محاولات الإطفاء رغم استمرار الضرب وتساقط القنابل والصواريخ وما كاد الاشتباك ينتهى حتى اندفعت جموع العاملين نحو النيران بمعاونة رجال الإطفاء الذين وفدوا على السويس من سائر أنحاء الجمهورية والوزارات المختلفة والقوات المسلحة ليشاركوا فى إنقاذ المصانع من الحريق ونجدة المدينة التى وقفت أمام العدو فى شجاعة وبطولة.

ونذكر هنا نموذجا لفدائية وبطولة عمالنا والعمل الخارق الذى قام به العامل محمد الصادق بشركة النصر للبترول الذى اندفع وصعد إلى قمة مستودع البترول وهو مشتعل ليضع خرطوم المادة الرغوية فى فتحة الصهريج من أعلى وأمكن إنقاذ المستودع واستحق هذا العامل تكريما ووساما.

بطولات أخرى نذكرها لرجال الإطفاء الذين وفدوا إلى السويس فقد قدم الكثيرون منهم نفسه وروحه على مسرح هذه المعركة المشتعلة نيرانها ولقد كان الكثيرون منهم يصابون بحروق فى وجوههم وأيديهم من شدة الحرارة أثناء محاولاتهم الاقتراب من النار لمسافات بسيطة كى يكون عملهم أكثر تأثيرا رغم أنه كانت تخصص بعض الخراطيم لتبريد العمال والجنود الذين يلتحفون بالبطاطين العازلة وهم واقفون فى صمود يؤدون واجبهم بشجاعة فائقة أمكن معها إتمام إطفاء الحريق خلال ٦٠ ساعة فقط فى وقت كان يردد العدو أن الحريق سوف يستمر شهورا ومن العجيب أن عمال هذه الشركات بدءوا بعد الإطفاء محاولات الإصلاح وإعادة التشغيل وتطوع العمال للعمل ١٢ ساعة ليعوضوا النقص فى الأيدى العاملة نتيجة استدعاء الاحتياطى والحرس الوطنى وقسم العمال أنفسهم إلى ورديتين بدلا من ثلاث لمواصلة العمل ليل نهار.

إنه الإصرار على الصمود والإصرار على الحياة ورفض الهزيمة، وإن شعب السويس الذى تعرضت مصانعه للحريق فى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧ قد استطاع أن يصلى العدو نيرانا وحمما يؤكد فيها بطولة جيشه وصحوة شعبه فى ٢٤ أكتوبر أيضا ولكن فى عام ١٩٧٣.

قرار نقل مصانع السويس

إزاء تكرار اعتداءات العدو على مصانع البترول ومصانع الأسمدة وتعرضها للتدمير رغم المحاولات المستميتة التى بذلها عمال هذا القطاع فى إصلاح الأجهزة والمعدات عقب

كل اعتداء وإطفاء النيران المشتعلة فى صهاريج البترول وإعادتها للتشغيل مرة بعد أخرى إلا أن العدو اتخذ منها هدفا دائما فى كل اعتداءاته، الأمر الذى من أجله صدر قرار نقل هذه المصانع حفاظا عليها من ناحية ومن ناحية أخرى توزيعها على مناطق مختلفة بالجمهورية حتى لا تتركز فى مكان واحد كما هو الحال بالنسبة للسويس حيث تتركز فيها معامل البترول لكل من شركة النصر للبترول والسويس لتصنيع البترول وكانت السويس حتى ذلك الوقت تعتبر المعقل الرئيسى والوحيد لصناعة البترول فى مصر.

وكان قرار النقل يحدد لكل شركة الجهة التى ستنتقل إليها فشركة السويس لتصنيع البترول حددت لها منطقة مسطرد لنقل منشآتها اليها أما شركة النصر للبترول فحددت لها محافظة الإسكندرية وشركة الأسمدة والصناعات الكيماوية حددت لها مدينة طلخا.

ووقع على عاتق عمال السويس ومهندسيها فى هذه الشركات عبء تفكيك هذه المصانع تحت ظروف القصف المدفعى والجوى وعليهم أيضا عبء بناء وإقامة هذه المصانع فى مواقعها الجديدة حيث إن خبرة الصناعات البترولية لا تتوافر إلا فى عمال السويس، ووقع على عاتق المهندسين والعمال أيضا تدريب العمالة الجديدة فى هذه المصانع على هذه الصناعات الجديدة الوافدة إليهم حتى بدأت هذه المصانع فى العمل وكان للسويس فضل نشر الصناعات البترولية فى مصر وتطورت هذه الشركات فى مواقعها الجديدة ونمت فى مسطرد والإسكندرية حتى أصبحت قلاعا ضخمة تسهم فى الإنتاج والاقتصاد المصرى.

وقد اقتضت عملية التهجير ونقل المصانع إجراءات استثنائية فورية وسريعة تتخطى حاجز الروتين وتواجه أعباء المعركة ومن هنا قامت القيادة السياسية بتعيين نائبا لرئيس الجمهورية لشئون منطقة القناة ولديه كل الصلاحيات لمواجهة أى موقف وأذكر فى إحدى الجلسات التى عقدت بمكتب المحافظ وحضور نائب رئيس الجمهورية السيد على صبرى أن أثير موضوع ضرورة صرف بدل للعاملين على مستوى منطقة القناة يعينهم على تحمل أعباء تهجير أسرهم، وطرح الموضوع للمناقشة ، اقترح البعض أن يسمى هذا البدل علاوة منطقة فكان الرد أن العلاوات يسرى عليها قرار تخفيض العلاوات بنسبة ٢٥٪ ونحن نريد أن يكون البدل كاملا غير منقوص واقترح آخر أن يسمى بدل حرب فكانت أيضا هذه التسمية لها محاذيرها وتوالت الاقتراحات حتى اهتدى أحد الحاضرين إلى إطلاق تسمية لا تسرى عليها أى قيود فى القوانين القائمة بل لم ترد فيها أصلا واتفق على اصطلاح جديد لهذا البدل تحت مسمى مقابل التهجير وليس فى القانون ما يسمى بمقابل التهجير وهكذا خرج إلى الوجود مقابل التهجير بنسبة ٢٠٪ من المرتب تصرف لكل العاملين بمنطقة القناة.

وفى جلسة أخرى طرحت مشكلة إسكان بعض الفئات التى لم تجد لها مكانا للسكن وتم استعراض المناطق التى هاجر إليها المواطنون وكان المحافظ يستخدم علاقاته واتصالاته بزملائه المحافظين لحجز وحدات سكنية فى مناطق الإسكان التى يقيمونها فى محافظاتهم لحساب المهجرين من أبناء السويس.

وذكر البعض أن مدينة نصر قد بنيت ولم يقبل أحد على تملك وحداتها منذ ثلاث سنوات وأنه يقترح أن تخصص بعض عماراتها لسكن من لم يجد مكانا على أن يقوم المهجرون بتأجيرها ثم ردها للشركة لبيعها بعد انتهاء العدوان.

وقام نائب الرئيس بالاتصال المباشر برئيس مجلس إدارة مدينة نصر واتفق معه على أن يذهب إليه صباح اليوم التالى مدير الإسكان فى محافظة السويس لتحديد العمارات التى ستقدمها الشركة.

بعد يومين كانت العمارة رقم ١٢ بمنطقة رابعة العدوية والمكونة من مائة وعشرة شقة تستقبل أول فوج من مهاجرى السويس.

وشغل المهجرون من الإسماعيلية وبورسعيد أحياء كاملة بمدينة نصر، كان لهم فضل تعميرها وإشاعة الحياة فيها وأصبحت بعد ذلك منطقة جذب سكانى لسكان القاهرة الذين كانوا يأنفون من السكن فيها من قبل.

اشتباكات عام ١٩٦٨

شهدت السويس خلال عام ١٩٦٨ اشتباكات ثلاثة استطاعت قواتنا المسلحة خلالها أن تثبت وجودها وتؤكد فاعليتها فى مواجهة قوات العدو فى منطقة قناة السويس واستطاع شعب السويس بوعيه وسرعة تحركه أن يؤكد صموده فى مواجهة العدوان وأن يفوت على العدو أغراضه فى تحقيق أهدافه ففى ٨ يوليو ١٩٦٨ شهدت السويس معركة المدفعية التى استطاعت فيها مدفعيتنا أن تواجه مدفعية العدو بقوة وتركيز شديدين عندما حاول العدو أن يضرب الأهداف المدنية فى السويس وخلال الساعات الأربع التى استغرقها الاشتباك ظهر بوضوح التطور والتقدم الذى أحرزته قواتنا، وبدأت مرحلة جديدة بعد الانتهاء من مرحلة سميت بمرحلة الصمود والتى كانت تهدف إلى التقاط الأنفاس ومنع العدوان من تحقيق المزيد من المكاسب أو الاستيلاء على أرض جديدة كما كانت تهدف إلى كسب فترة من الهدوء تساعد على الخروج نفسيا ومعنويا من مرارة الهزيمة ومحاولة بناء خط دفاعى قوى ثم إعادة بناء القوات المسلحة بمفهوم جديد على ضوء الدرس المستفاد من المعركة، وبدأت مرحلة جديدة اصطلح على تسميتها بمرحلة الردع أو الدفاع النشط والتى بدأت بالتقريب فى أغسطس ١٩٦٨.

٨ سبتمبر ١٩٦٨

عاود العدو الكرة فلجأ إلى ضرب السويس وامتد الاشتباك من بور توفيق جنوبا إلى البحيرات المرة شمالا وبالرغم من امتداد ضرب العدو ليشمل جميع أنحاء المدينة إلا أن شعب السويس بما تهيأ له من التطعيم للمعركة استطاع بالدروس المستفادة من الاشتباكات السابقة أن يقلل الخسائر إلى أقل قدر ممكن.

٢٦ أكتوبر ١٩٦٨

شهدت السويس الاشتباك الثالث بين قواتنا وقوات العدو فى منطقة القناة خلال عام ١٩٦٨ وما أن بدأ العدو فى ضرب الأهداف المدنية فى بور توفيق حتى سارعت قواتنا المسلحة بالرد الفورى والمباشر على أسلحة العدو ومدفعيته كما استطاعت أن تدمر صواريخ العدو أثناء انطلاقها من قواعدها أو إصابتها وتفجيرها فى الجو وهى فى طريقها إلى الأهداف المدنية فى بور توفيق والسويس، ومن هنا أطلق على هذا الاشتباك معركة الصواريخ وقد لجأ العدو لتغطية خسائره إلى ضرب مصانع البترول والسماد ليرفع من معنويات جنوده فى خط المواجهة أو يغطى موقف قواته أمام شعب إسرائيل الذى خلقت له الدعاية الصهيونية جوا أسطوريا بعد معارك يونيو ١٩٦٧.

قالت الأهرام

فى ٢٨ أكتوبر صدرت الأهرام والصحف العربية تحمل أنباء الهجوم الشامل بالمدفعية على طول الجبهة وذكر الأهرام أن قواتنا المسلحة قد وجهت أمس ضربة قاصمة إلى العدو ودمرت له فيها قواعد الصواريخ التى حشدها فى مواجهة مدينتى السويس والإسماعيلية وكان العدو قد أخذ فى حشد هذه القواعد وتجميعها منذ معركة المدافع فى شهر سبتمبر الماضى حتى تكون المدينتان تحت رحمة قواته وقد بدأت المعركة بعد أن وجه العدو فى الساعة الرابعة وخمسين دقيقة قذائفه إلى بور توفيق فدمر بعض المنازل.

وصدرت عن القيادة العامة للقوات المسلحة البلاغات التالية:

البيان رقم «١»

قام العدو فى الساعة ٤,٥٠ دقيقة من بعد ظهر اليوم بتدمير عدة منازل فى بور توفيق وقد استخدم العدو فى عدوانه اللاإنسانى الصواريخ الأرض أرض من عيار ٢١٦ مليمتر والتى أعدها من قبل فى مواجهة مدن القناة لهدم المنازل وقتل المواطنين الأبرياء وعلى أثر ذلك كلفت التشكيلات الميدانية المتمركزة فى منطقة القناة بالتعامل مع العدو الإسرائيلى وتدمير صواريخه.

البيان رقم «٢»

فى تمام الساعة ٤,٥٠ قامت جميع أسلحة الرمى الخفيفة والثقيلة من تشكيلاتنا الميدانية فى منطقة القناة بقصف مركز ونيران تدميرية ضد صواريخ العدو وعلى قواته المسلحة بقصد إسكاته وتدميرها ويحاول العدو الآن مواصلة إطلاق النيران ولكن نيران مدفعيتنا أعجزته عن إتمام ذلك ولا تزال الاشتباكات مستمرة.

البيان رقم «٣»

فور قيام العدو بإطلاق نيران صواريخه على مدينة بور توفيق قامت قواتنا المسلحة بقصف تدميرى على جميع صواريخ العدو على طول الجبهة ثم تراشق فردى من بعض الأسلحة ردا على نيرانها وقد أوقفت النيران من الجانبين فى الساعة السادسة مساء اليوم.

البيان رقم «٤»

خسائر العدو تدمير ١٩ دبابة - ١٤ عربة مدرعة نصف جنزير - ١٠ مواقع صواريخ- ٢٨ دشمة مدفع ماكينة - ١٦ نقطة ملاحظة أرضية - ٣ مراكز قيادة - ٦ مخازن وقود وذخيرة - ٣ مدافع عيار ١٠٦ مليمتر . كما تم إسكات الوحدات التالية:

٣ مواقع بطارية مدفعية متوسطة - ٧ مواقع بطارية ١٠٥ ملميتر، وموقعى مدفعية مضادة للطائرات، وموقعى مدفعية هاون كما تم إحراق ٦ مناطق شئون إدارية شوهدت والنيران مشتعلة فيها وتمت رؤية هذه الحرائق لسكان مدينتى السويس والإسماعيلية.

فكانت خسارة العدو فى الأفراد عدد كبير من القتلى والجرحى واستخدم العدو عدد كبير من طائرات الهليكوبتر فى إخلاء هذه الخسائر.

وقال: يوسف تكوان ممثل إسرائيل الدائم فى الأمم المتحدة فى خطاب إلى رئيس مجلس الأمن إن قوة مصرية عبرت قناة السويس إلى سيناء حيث اشتبكت مع القوات الإسرائيلية قرب ممر متلا كما أن قوة مصرية أخرى حاولت عبور القناة.

ومع محاولات إسرائيل لضرب العمق المصرى بالطيران بالإضافة إلى منطقة القناة ومع عنف الردع المصرى وخسائر الإسرائيليين على الجبهة انتهى أملهم فى أن تكون الجبهة التى أمامهم جبهة ساكنة مستسلمة وانتهى أملهم أيضا فى أن تكون الحرب قد انتهت، لذلك عمدوا إلى خطوتين جديدتين:

أولا: تحصين أنفسهم على الضفة الشرقية إزاء قوة النيران المصرية المتزايدة ومن هنا ولدت فكرة بناء خط بارليف الأول على طول خط المواجهة.

نشأة خط بارليف

الصور الأولى التى التقطت عام ١٩٦٧ على خط القناة تبين أن الأمر كان مجرد خنادق مبعثرة حفرها الجنود الإسرائيليون وأخفيت بالشبكات المعدنية وقد غطيت هذه الشبكات المعدنية بدورها بأكياس الرمل وقطع من الأحجار وقد أخذت هذه الخنادق تزداد تحصينا بالتدريج إلى درجة أنها أصبحت دشما تخفيها سواتر من الأتربة وفيما بعد دعمت هذه السواتر وأقيمت لها حواجز من القضبان الحديدة التى عثر عليها فى سيناء وكان ذلك بداية التجهيز الهندسى الإسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة.

وعندما أصبح واضحا أن مصر عازمة على الاستمرار فى حرب الاستنزاف فإن خط قناة السويس قد أصبح بدوره خطا حصينا.

مراحل إنشاء خط بارليف(٤)

أنجز بناء خط بارليف على ثلاث مراحل ففى المرحلة الأولى وحتى القصف الكبير بالمدفعية المصرية عام ١٩٦٨ أثبت الضرب المستمر أن المواقع لا تصمد لقوة تلك النيران وأن الإبقاء على الجنود فى تلك الظروف يعرضهم للخطر واستغرقت المرحلة الثانية الفترة التى دارت فيها حرب الاستنزاف حتى أغسطس ١٩٧٠ وفى أول إيقاف لإطلاق النار الذى استمر ثلاثة شهور كان هناك سباق حقيقى مع الزمن فلقد كانوا يخشون أن تعود المدافع لكى تدوى بعد تلك الشهور الثلاثة ولما طال وقف إطلاق النار أخذوا يشيدون خطا دفاعيا ثانيا على سبعة أو ثمانية كيلومترات من الخط الأول المطل على قناة السويس وكان الخط مقرا للوحدات المدرعة التى كان يجب أن تجىء فى حالة حدوث عبور للقناة لكى تستقبل القوات المسلحة المصرية من مواقع أعدت مقدما لتحول دون إقامة رؤوس كبارى مصرية وخلف هذا الخط الثانى تم بناء معسكرات المؤخرة وزودت بمدفعية ودفاع جوى فى غاية القوة ولقد أراد العدو أن يجعل من المانع المائى الفريد الذى تشكله قناة السويس سدا منيعا يحول بين جيش مصر وأرض مصر فى سيناء فالتفت إلى السواتر المتناثرة شرق القناة نتيجة لتطهيرها المستمر فلم يكتف برفعها نحو السماء بل قام بإزاحتها غربا حتى لامست حافة مياه القناة تماما بزاوية حادة ليضع أمام المقاتل المصرى مزيدا من العقبات وأن ينمى فى وجدانه شعورا بالعجز واليأس ثم أقام داخل هذه السواتر وفوق قمتها نقطا حصينة تكلف إنشاؤها ٥٠٠ مليون دولار تقريبا.

ماهية النقطة الحصينة

تبلغ مساحة النقطة الحصينة والتى يبلغ عددها ٢٢ نقطة ٤٠٠٠ متر مربع أو أكثر

وهى عبارة عن منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تغوص فى باطن الأرض وتعلو حتى تصل إلى قمة الساتر ويتكون الطابق الواحد من عدة دشم «غرف» من الأسمنت المسلح المقوى بقضبان حديدية وألواح الصلب ويفصل كل طابق عن الآخر طبقة من القضبان الحديدية والخرسانة المسلحة والرمال والأحجار.

وقد جهزت كل دشمة بعدة فتحات تمكنها من الاشتباك فى مختلف الاتجاهات هذا فضلا عن دشم أخرى مجهزة لأسلحة المدفعية والدبابات وتتصل جميع هذه التجهيزات ببعضها البعض عن طريق خنادق مواصلات عميقة مبطنة بألواح الصاج وشكاير الرمل وقد وفرت هذه التحصينات والأعمال الهندسية المختلفة وقاية للنقط القوية ضد القنابل الثقيلة حتى ألف رطل أو يزيد.

ولزيادة مناعة النقط الحصينة أحاطها العدو بنطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المضادة للدبابات والأفراد والتى تبلغ عمقها حوالى ٢٠م كما جهز العدو بعض النقط بخزانات الوقود والتى تخرج منها مواسير تخترق جسم الساتر الرملى ليتسرب خلالها الوقود لتغطية سطح القناة ولإشعالها حتى تتحول مياهها إلى سطح هائل من اللهب ترتفع ألسنته الحارقة وتصل درجة حرارته إلى ٧٠٠ درجة مئوية وذلك فى حالة اقتحام المصريين للقناة وكان ذلك هو نتاج الخبرة المكتسبة من تحصينات مسارح الحرب المعاصرة.

وقد أقيمت المواقع الرئيسية فى مواجهة كل من بور توفيق وفى مواجهة السويس وفى الوسط فى مواجهة الإسماعيلية وفى محور القنطرة وعلى بعد عشرة كيلومترات شرق بورفؤاد، وقد بلغت شبكة هذه الحصون ٣٦ موقعا وهى تمثل جزءا من مجموع الخط الذى كانت تدخل عليه التحسينات عاما بعد آخر وكانت تغطى هذه المواقع بمصطبة مضادة للدبابات وللقنابل تتكون من أقفاص من الحديد بداخلها أحجار ترص فى طبقات على شكل هرم فوق الموقع المراد تحصينه بالإضافة إلى تزويدها من الداخل بأجهزة تكييف الهواء والمراوح والمياه وخزائن حفظ الطعام ومطابخ حديثة وأجهزة إتصال حتى تصمد أطول فترة ممكنة أمام الحصار علاوة على تزويدها بقوة نيران كبيرة.

ثانيا: القيام بعمليات جوية فى العمق المصرى فشلت جميعها ولم تحقق أهدافها، وكانت معارك المدفعية تجبر الإسرائيليين على تحصين مواقعهم بحيث تحمى جنودهم من القنابل ومحاولتهم ضرب العمق المصرى إيذانا بمرحلة جديدة تعتبر أخطر مراحل المواجهة وهى التى سميت بحرب الاستنزاف.

وشهدت السويس أعنف المعارك فى هذه المرحلة التى وقعت فيها معارك لسان بور توفيق والجزيرة الخضراء وشدوان.

وقامت الضفادع البشرية المصرية بعمليتها الجريئة فى ميناء إيلات حيث اقتحمت مياه الميناء رغم الموانع والألغام البحرية وهاجمت ودمرت قطعا بحرية إسرائيلية ومنشآت كثيرة فى الميناء.

ولعل أخطر صراع بين الطرفين كان يحتدم حول تصميم مصر على إنشاء شبكات الصواريخ المضادة للطائرات وبين استماتة العدو لمنع ذلك بأى ثمن مستخدما سلاحه الجوى ليل نهار وما أن بدأت شبكات الصواريخ تعمل حتى قالت عنها إسرائيل إنها خلقت موقفا جديدا تماما وعقد الجنرال بارليف مؤتمرا صحفيا فى القدس ونشر على الصحفيين خريطة لمنطقة القناة حدد فيها ١٢ موقعا باللون الأحمر قال إنها لبطاريات سام ٢ وقال: إن هدف المصريين من إنشاء هذه الشبكة الجديدة هو تدمير التفوق الجوى الإسرائيلى فى الجبهة وبالتالى تمكين القوات المصرية من البدء فى عمليات هجومية.

وقد تساقطت طائرات العدو أمام دفاعنا الجوى ثم أمام طائراتنا حتى أعلن قبول مبادرة روجرز ووقف إطلاق النار.

وكان قبول هذه المبادرة من وجهة النظر المصرية فرصة لاستكمال بناء حائط الصواريخ الذى كان ركيزة أساسية فى حماية العبور العظيم فى السادس من أكتوبر سنة ٧٣.

عمليات وأبطال سبقوا إلى الشهادة

فى هذه المرحلة كانت المقاومة التى بدأت عقب الهزيمة مباشرة فى يونيو هى الطريق الذى مهد لانتصارات أكتوبر ورغم أن هذه المرحلة هى ما اصطلح على تسميته بمرحلة الصمود والتمسك بالأرض ومنع العدو من التقدم، إلا أن الأعمال التى قام بها شباب المقاومة الشعبية فى السويس كانت تفوق بكثير بل تتعدى الخطوط الحمراء التى حددت لهذه المرحلة.

والسطور التالية تسجل لهؤلاء الشباب الذين خرج من بينهم رجال منظمة سيناء العربية بعد أن صقلتهم التجارب واجتازوا برامج التدريب المتقدمة التى أهلتهم للتعامل مع العدو بكل إمكاناته وإحداث أكبر قدر من الخسائر بين قواته.

وبعد هذه الفترة الطويلة من الزمن يذكر أحمد العطيفى وعبد المنعم قناوى من رجال منظمة سيناء - وبعد أن تسلل الشعر الأبيض إلى رؤوسهم ولحاهم - بعض الأحداث والعمليات التى تمت فى هذه الفترة:

عملية البناكى الكبيرة(٥): والتى كانت تهدف إلى اختطاف قائد المخابرات الإسرائيلية

حيث تم رصد التحركات وضبط التوقيت والتدريب على التنفيذ وتم ذلك وفق تخطيط دقيق ودقة متناهية.

فى اليوم المحدد ركبت المجموعة لنشا مملوكا لأحد البامبوطية ومعهم الدليل والمرشد عم محمد المنيفى وأحمد الجمل، ويتحدث الفدائيون عن عم محمد المنيفى رغم كبر سنه وضعف بنيته إلا أن خبرته واسعة فهو يستطيع تحديد مواقع صيد الأسماك ويحدد أنواعها أيضا، كان يسير فى البحر ويتعرف على المناطق المختلفة كأنه يتعرف على منازل جيرانه وحوارى الحى الذى يسكن فيه إنه يسير فى البحر كما يسير فى شارع يعرفه وقد أخرجتهم المخابرات من السجن خصيصا لهذه العملية.

تحرك القارب وعلى ظهره ثمانية عشر فدائيا يلبسون ملابس ممزقة وبالية البعض منهم يلبس جوالا أحدث به فتحات من أعلى ليخرج منها رأسه وذراعه وآخر يلبس بنطلونا ممزقا وهكذا باقى الأفراد، وسار اللنش إلى المواقع المحددة للنزول، وقبل الوصول بمسافة تقل عن المائة متر تعطل اللنش وهو ما لم يكن فى الحسبان فقد توقف الموتور وتسرب الوقود وظلوا فى موقعهم يومين، ومن حسن حظهم أن اللنش كان من الصغر بحيث لم تلتقطه أجهزة الرادار المعادية وأخذوا فى الاتصال بقيادتهم ولكن لم تأت لهم أية نجدة أو إمداد لأنهم كانوا يتحدثون بمصطلحات وشفرة غير متفق عليها لأن تعطل اللنش لم يوضع فى الحسبان، وكانوا يخشون الإفصاح عن موقعهم ومشكلتهم خوفا من الوقوع فى يد العدو حيث إن الاتصالات اللاسلكية مكشوفة ويلتقطها العدو.

ولم يكن هناك بد من المغامرة فيتحدثوا إلى قيادتهم مباشرة وبصراحة وكان هناك احتمال أن يأتى العدو أولا قبل وصول النجدة التى تأخرت عن التوقيت الذى قدروه ولهذا استعدوا للاشتباك بالعدو بمجرد الاقتراب منهم.

بعد فترة طويلة خرجت لنشات الطوربيد من ميناء الأدبية للبحث عنهم ولكن حجم اللنش أيضا كان عائقا أمام لنشات الإنقاذ فلم تستطع راداراتها الاهتداء إلى موقعهم، فأعادوا الاتصال مرة أخرى وطلبوا أن يكون فى مقدمة اللنش وعلى سطحه قائدهم الرائد يحيى شبايك – حتى يستطيعوا التعرف على اللنشات، وفعلا تم لهم ما أرادوا ووصلت لنشات الطوربيد وأنقذتهم تحت غطاء من القوات الجوية حيث تنبه العدو إلى ما يحدث.

وحين استفسروا عن سبب تأخير وصول النجدة إليهم بعد أن أفصحوا بصراحة عن موقعهم قيل لهم إن القاعدة البحرية فى السويس التقطت الإشارة التى أبلغتها إلى قياة القوات البحرية فى الإسكندرية ثم القياة العسكرية حتى وصلت إلى القيادة السياسية

العليا – فأصدر الرئيس جمال عبد الناصر أمره بخروج لنشات الطوربيد تحت غطاء من القوات الجوية لإنقاذ المجموعة ، وحدثت يومها معركة جوية نجح قائد اللنشات تحت حمايتها فى الوصول إلى مكان آمن على الشاطئ وتم إنقاذ الرجال.

الشهيد مصطفى أبوهاشم أول شهيد من المقاومة الشعبية

يقول عبد المنعم قناوى: كنا فى أرض ملعب نادى السويس للتدريب حيث كنا نتخذه ميدانا ومخزنا لمهماتنا وأسلحتنا.

وحدثت غارة جوية على مواقع المدفعية التى كانت تقع خلف النادى ، توقعنا أن الطائرات قد اكتشفت موقعنا حيث كانت مهمات التدريب فى أرض النادى واتفقنا على ضرورة إنهاء التدريب والتفرق بسرعة ومغادرة المكان وفعلا تم الإخلاء بسرعة ولم يتخلف منا سوى مصطفى أبو هاشم الذى كان فى أحد المخازن المقامة تحت المدرج وكانت به كميات من زجاجات الملوتوف التى انفجرت بمجرد إصابتها واشتعلت بها النيران التى أمسكت بملابسه فحاول إطفاء نفسه بالجرى والتمرغ فى رمال ملعب كرة السلة ولكن الهواء كان شديدا وانتشرت النيران فى كل ملابسه، وعندما لاحظنا انبعاث الدخان من أرض النادى عدنا سريعا ولكن القضاء كان أسرع منا وانتقل الشهيد إلى جوار ربه فى ١٩٧٠/٢/١٩ وكان الشهيد الأول من المقاومة الشعبية ولم تكن منظمة سيناء قد تكونت بعد.

الشهيد سعيد البشتلى

سألت العطيفى عن ظروف استشهاد سعيد البشتلى الذى ذكر قناوى أنه قد استشهد فى ١٩٧٠/٣/٣١ وكنت أظن خطأ أنه قد استشهد على الشاطئ الغربى للقناة برصاص قناص إسرائيلى.

أجاب العطيفى الحقيقة أن الشهيد سعيد محمد محمود البشتلى قد استشهد أثناء إحدى عمليات الاستطلاع على الشاطئ الشرقى للقناة فى منطقة لسان بور توفيق حيث لم تكن النقطة الحصينة قد أنشئت بعد ، وكان العدو يتخذ من بعض الهناجر القديمة ملجأ لقواته وفى حماية دبابتين – وكان سعيد ضمن مجموعة الشهيد سلطان التى يقع مركز قيادتها فى عمارة السنوسى المواجهة للقناة.

عبرت المجموعة المكونة من ٦ فدائيين أحمد العطيفى، إبراهيم سليمان، محمود عواد، قناوى، سعيد، ليلا وعند صلاة الفجر بدأنا نصلى فى مجموعتين وبدأت المجموعة الثانية الصلاة يؤمها سعيد البشتلى وكان سعيد طويل القامة فأطلق عليه قناص إسرائيلى الرصاص فأصابه فى رأسه.

اتصلنا بالقيادة التى أمرت بإنهاء العملية إلا أنها شددت على ضرورة إحضار جثمان الشهيد مهما كان الثمن، وفعلا أنهينا العملية وأحضرنا الشهيد حيث شيعه زملاؤه وأصدقاؤه وأسرته وذهب إلى رحاب ربه فكان الشهيد الثانى من المقاومة الشعبية.

هوامش الفصل الأول

(١) الدراسة الجغرافية للسويس د.محمد السيد غلاب من كتاب السويس إصدار الدار القومية للطباعة والنشر يوليو ١٩٦٦.

(٢) كتاب محافظة السويس - «السويس والمعركة» عام ١٩٦٩ .

(٣) لم تتعرض وسائل الدفاع الجوى للطائرات المغيرة حيث كانت المدفعية مقيدة نظرا لوجود طائرة المشير عبدالحكيم عامر فى الجو لزيارة الجبهة.

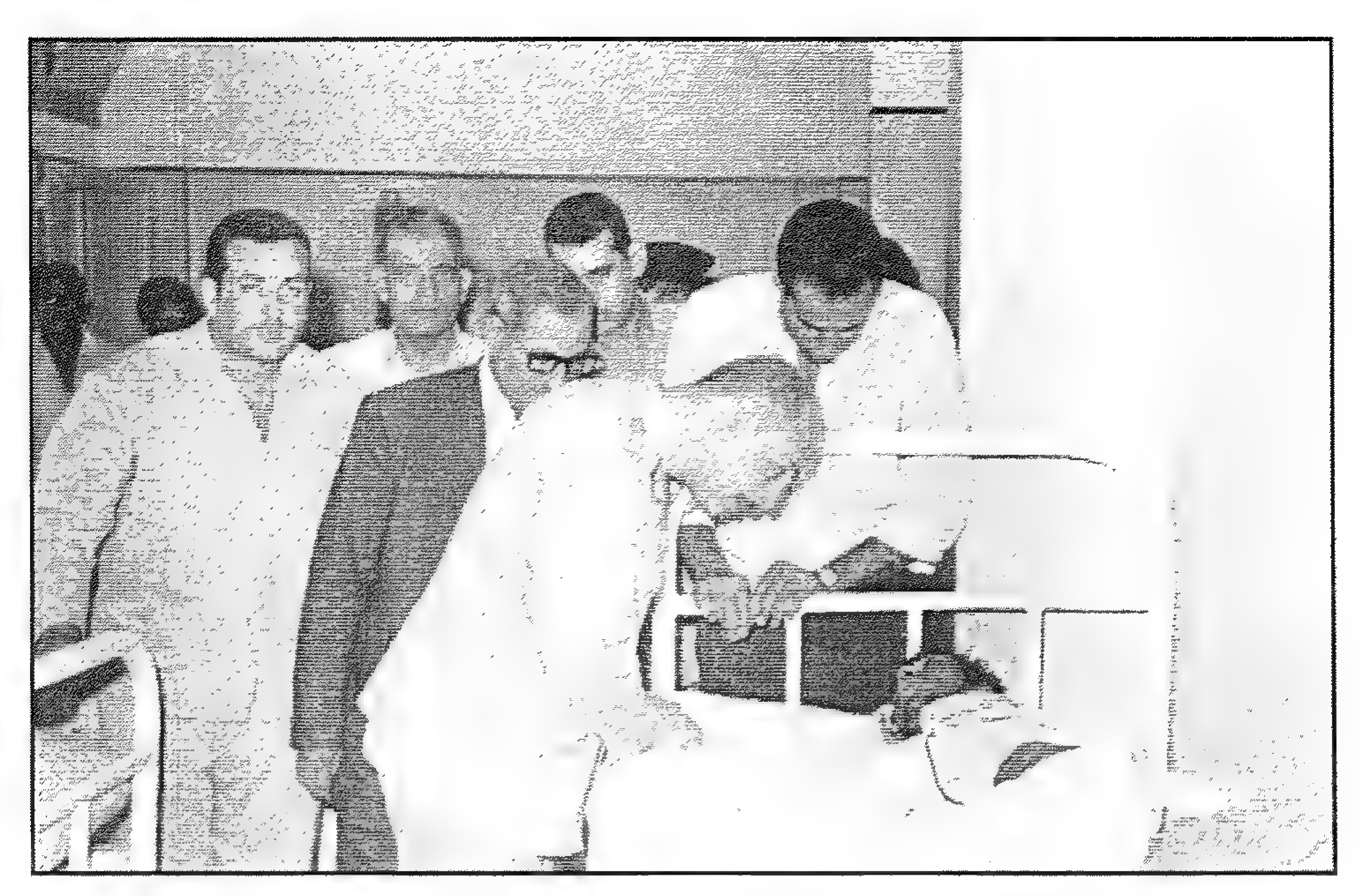
(٤) لواء مهندس أ.ح متقاعد أحمد شوقى فراج - مجلة النصر عدد أكتوبر ١٩٩٨.

(٥) البناكى منطقة بجوار حمام فرعون.

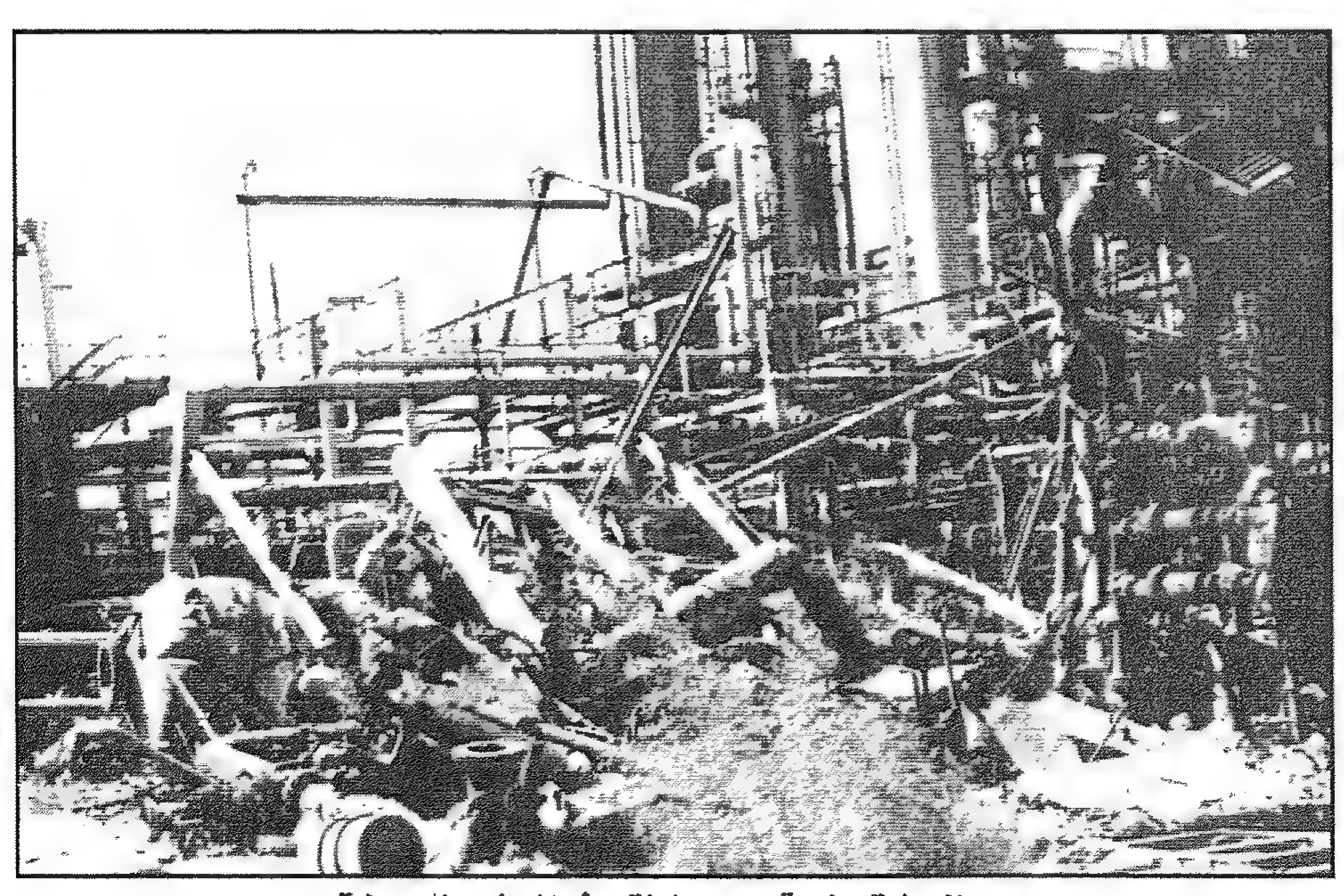
(*) افراد المقاومة هم «مصطفي أبوهاشم، عبدربه محمد عبربه، غريب محمد غريب»



حامد محمود «محافظ السويس»



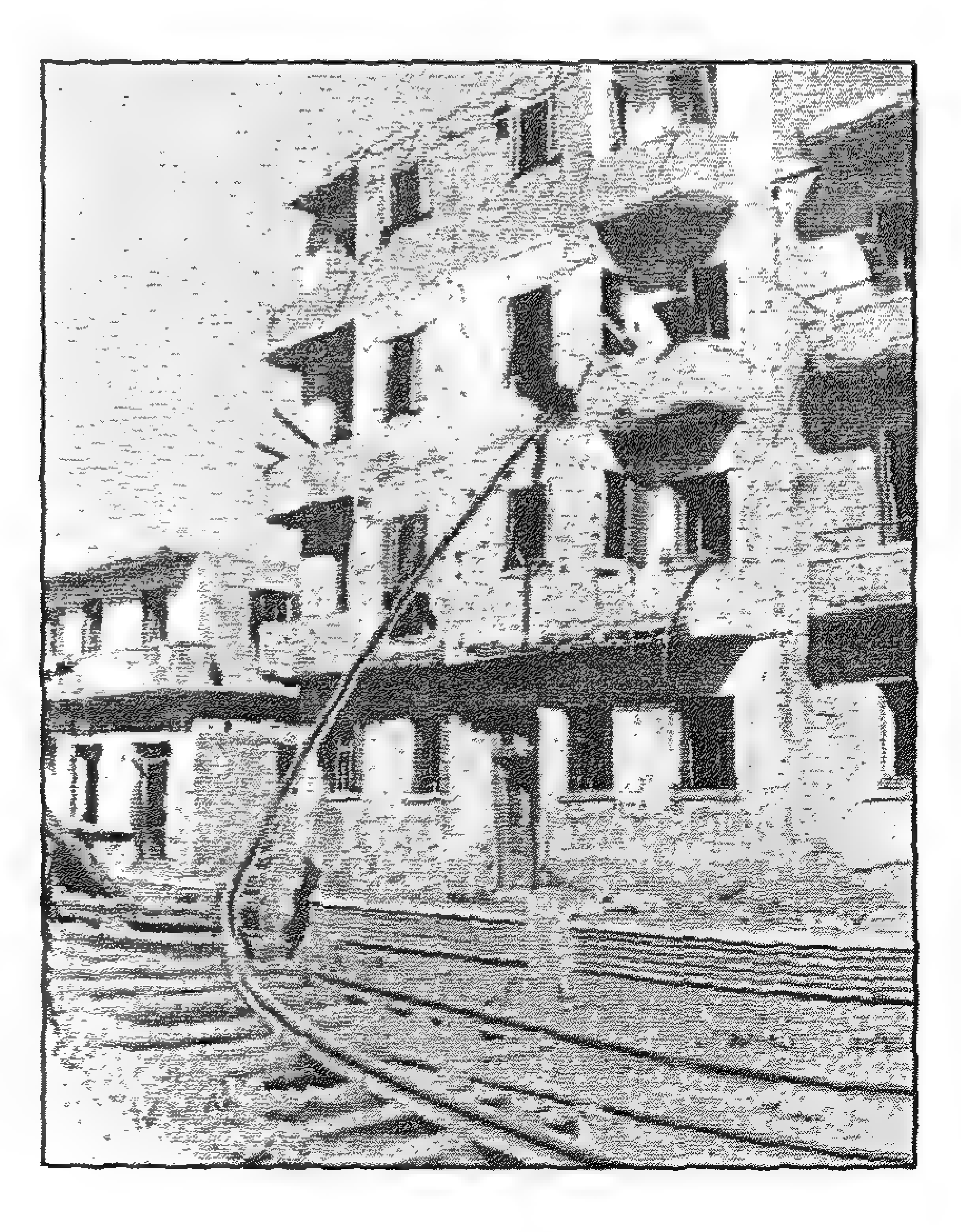
المحافظ فى المستشفى لزيارة الجرحى بعد معركة ١٤ و١٥ يوليو ١٩٦٧.



مصانع البترول وقد دمرها القصف المدفعى للمدينة



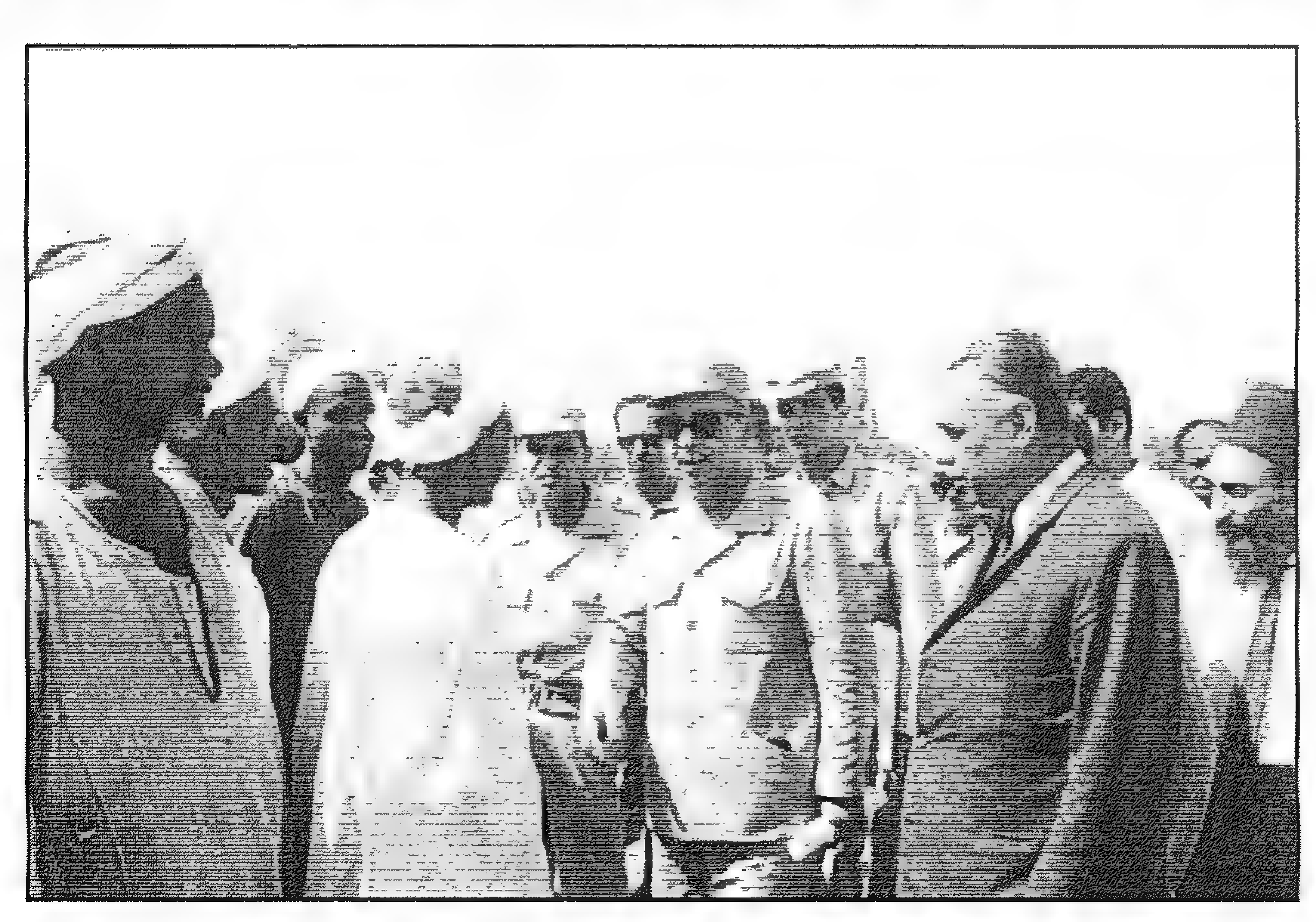
يوم الحريق حيث ركز العدو قصفه على مستودعات وشركات البترول



سجلت الكاميرات هذه اللقطة النادرة بعد أحد الاشتباكات التى اشتركت فيها المدفعية والطيران، ويرى قضيب السكة الحديد وقد ارتفع الى الدور الثانى من المبنى.



بلغت نسبة التدمير فى السويس ٨٥٪ من مبانيها.



حامد محمود والحاج حافظ سلامة والمهندس جمال سعد «أمين الاتحاد الاشتراكى» مع أبناء القطاع الريفى قبل تهجيرهم.



فى ١٧نوفمبر ١٩٦٩بعد عودتهم من إحدى العمليات خلف خطوط العدو وأسفرت عن أسر أحد الجنود الاسرائيليين وقتل ٢١ جنديا من اليمن محمد سرحان وسعيد الشتلى واستشهد محمد وعواد ومصطفى أبو هاشم واستشهد أحمد عفيفى ومحمد طه وعبد المنعم قناوى وأشرف عبد الدايم ، استشهد »



المحافظ حامد محمود ومدير الأمن يودعان المهاجرين خلال ركوبهم قطار التهجير



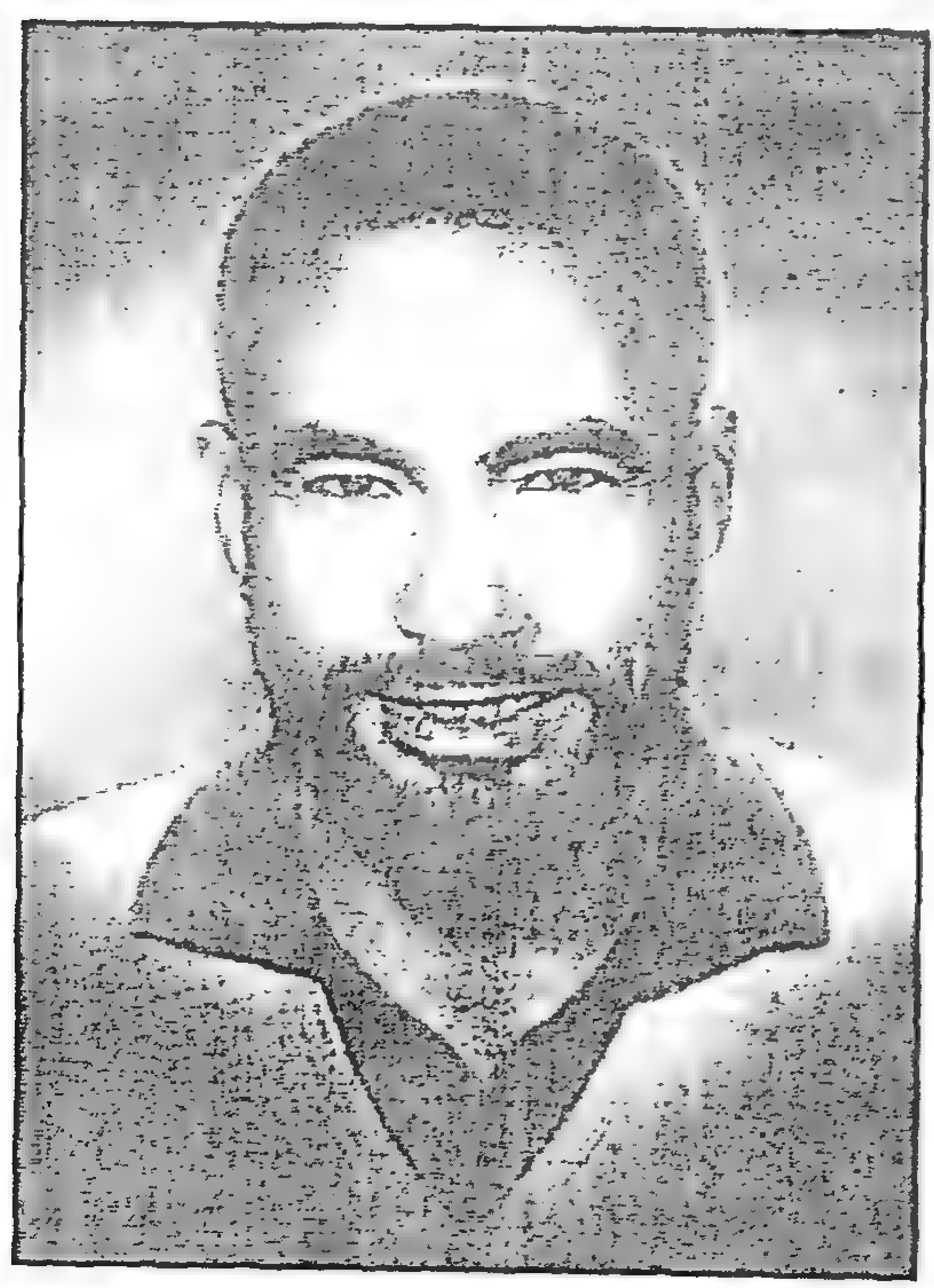
إحدى طائرات العدو التى أسقطها دفاعنا الجوى وقد تجمع المواطنون لمشاهدتها



الحاج/حافظ سلامة مع بعض المواطنين فى فترة هدوء

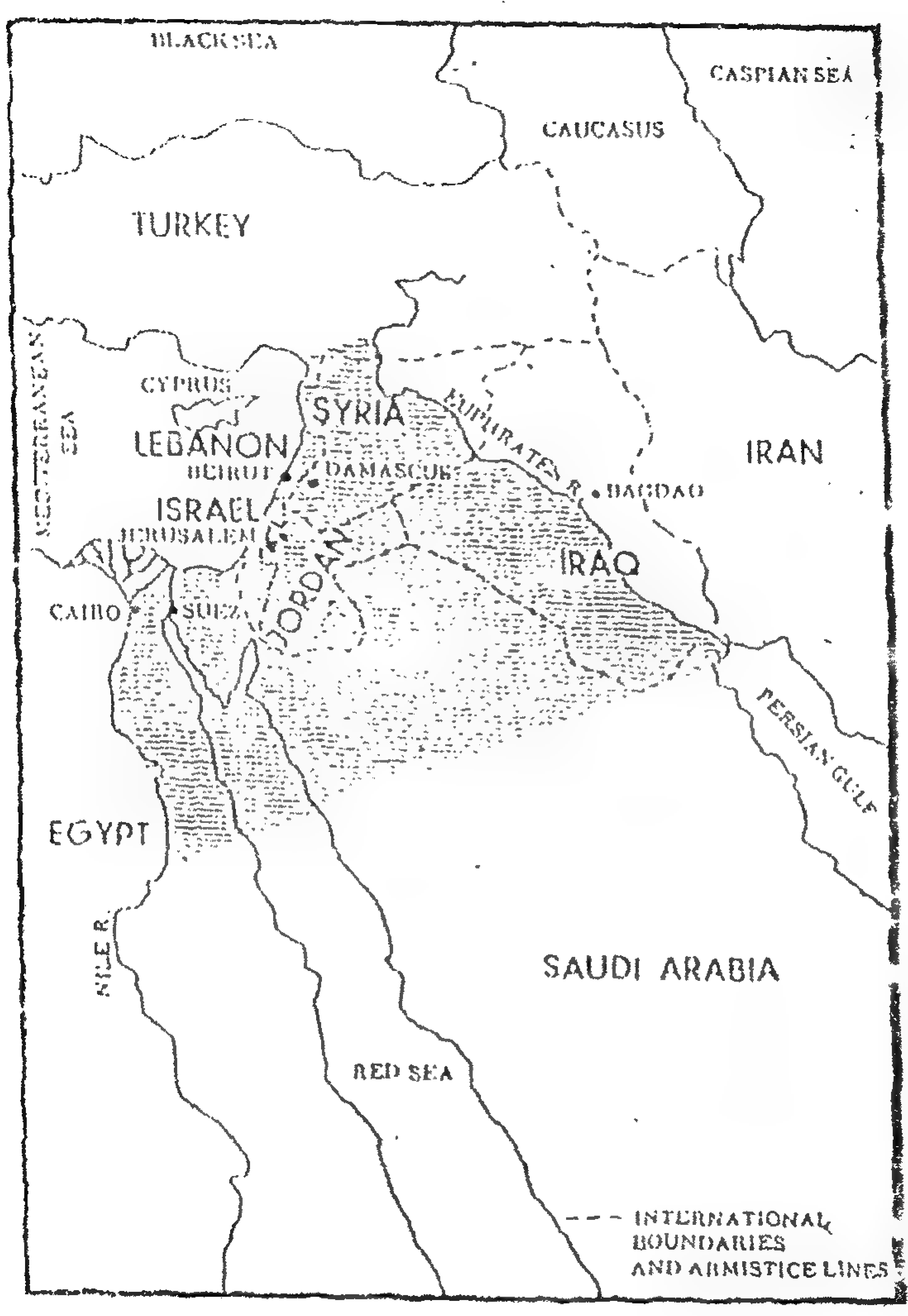


الشهيد محمد محمود البشتلى استشهد في ١٩٧٠/٣٠/٣١ على شاطئ لسان بور توفيق فى عملية
اختطاف أحد قيادات العدو



الشهيد البطل مصطفى ابو هاشم السيد أول
قائد المنظمة سيناء العربية
استشهد فى ١٩٧٠/٢/٩ فى ساحة ملعب
منتخب السويس عقب غارة على قاعدة
التدريب للفدائيين فى النادى

The Israel of Theodore Herzl (1904) and of Rabbi Fischmann (1947)



In his Complete Diaries, Vol II, p 711 Theodore Herzl the founder of Zionism, says that the area of the Jewish State stretches « from the Brook of Egypt to the Euphrates »

Rabbi Fischmann, member of the Jewish Agency for Palestine declared in his testimony to the U. N. Special Committee of Enquiry on 9 July 1947 « The Promised Land extends from the River of Egypt up to the Euphrates, it includes parts of Syria and Lebanon

ترجمة: الجزء المظلل بالخريطة : يحدد "أرض إسرائيل" كما ذكرها "تيودور هيرتزل" في مذكراته، بأنه أرض الدولة اليهودية تمتد من ضفة نهر النيل حتى الفرات. وقد تقدم الحاخام "فيشمان" عضو المنظمة الصهيونية بفلسطين - إلى لجنة الأمم المتحدة المكلفة بالاستعلام لفلسطين في ١٩٤٧/٧/٩ مؤكداً أنه « أرض الميعاد تمتد من نهر مصر حتى نهر الفرات، وبأنها تشمل أجزاء من سوريا ولبنان"

الفصل الثانى:

حرب الاستنزاف

حرب الاستنزاف[١]

كانت حرب الاستنزاف صفحة مضيئة سبقت وهج السادس من أكتوبر وحققت جميع أهداف القيادتين السياسية والعسكرية وأتاحت لقادة التشكيلات القدرة على التصرف واتخاذ القرار حتى مستوى قائد لواء مما أعطى فرصة مناسبة لتأهيل القيادات لدورها واستعادة الثقة بالإضافة إلى تعطيم الجنود لمعركة قادمة.

وقد اصطلح على أن مفهوم حرب الاستنزاف هو أحد صور الصراع العسكرى التى تدار لتحقيق توازن فى مجال ما وهى تدار سياسيا وعسكريا لتغطية الفترة بين السلام الساخن والحرب الشاملة بهدف الوصول إلى سلم أفضل أو وضع استراتيجى أكثر ملاءمة لخوض الحرب.

وحرب الاستنزاف هى توءم حرب أكتوبر والمقدمة الصحيحة لها وتستخدم دراسات كثيرة فى أدبيات العلم العسكرى تعبير حربى الاستنزاف وأكتوبر لإظهار مدى أهمية حرب الاستنزاف ودورها فى التمهيد للعبور بالإضافة إلى الأهداف التى ارتبطت بتوقيتات المرحلة.

كان لهذه الحرب إستراتيجيتها التى بنيت برؤية أنها محدودة نظرا لمحدودية إمكانياتنا خلال هذه الفترة وبهدف إحداث توازن إستراتيجى يساعد القوى السياسية على تحريك جمود القضية ومن الزاوية العسكرية فقد كان الهدف تطعيم القوات المسلحة على المعركة

وتغيير صورة الجيش المنسحب إلى الجيش المقاتل، وفى تحول ملموس بدأ فكر القيادة المصرية عقب ٦٧ فى تبنى منهج علمى مدروس لبناء الجيش وإدارة شئونه العملياتية والإدارية والتنظيمية، وكانت مبادئ حرب الاستنزاف التى اعتمدتها القيادة العامة فى هذا الوقت خير دليل على ذلك وتمثلت هذه المبادئ فى الآتى:

- أن تسير هذه الحرب وفق مخطط عام يشمل التصعيد والتهدئة.
- حسن استغلال نقاط القوة لدينا والتركيز على نقاط الضعف عند العدو.
- تناسب مكاسب حرب الاستنزاف مع تكاليفها.
- أن يصاحب هذه الحرب خطة إعلامية مدروسة.
- الاعتماد على قاعدة داخلية صلبة.

ونظرا لوضوح الإستراتيجية والمبادئ جاءت المهام التى كلفت بها القوات المسلحة محددة وكانت كالآتى:

١- منع العدو من التحركات شرق القناة.

٢- حرمانه من القيام بالإنشاءات الهندسية.

٣- إحداث أكبر خسائر فى معداته وأفراده.

٤- الحصول على أكبر عدد ممكن من الأسرى والأسلحة والوثائق.

وفى إشارة سريعة تشير إلى أن التقييم العلمى لحرب الاستنزاف كان كالآتى:-

أولا: فترة الدفاع النشط التى بدأت عقب وصول الإسرائيليين إلى الضفة الشرقية لقناة السويس والتى أطلق عليها مرحلة الصمود ثم مرحلة الردع وصولا إلى مرحلة تحرير الأرض.

وكان لكل مرحلة تفاصيلها ووقائعها وتداعياتها على كافة المستويات العسكرية والسياسية وفى الجبهة الداخلية.

توجيهات القائد الأعلى لإعادة البناء(٢)

فى يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ قبل الرئيس جمال عبد الناصر تحمل مسئولية الحكم مرة أخرى، وأصدر أول قراراته وهى تعيين الفريق أول محمود فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة المصرية . وبدأ القائد العام فى وضع تصميمات إقامة البناء والتنفيذ بناء على توجيهات القائد الأعلى للقوات المسلحة التى تشمل الآتى:

- سرعة بناء خطوات الصمود العسكرى أمام العدو ومنعه من استغلال نجاحه عسكريا.

- العمل على سرعة تماسك القوات المسلحة مع الشعب والحكومة.
- عدم قبول الهزيمة العسكرية والعمل فى الاتجاه السلمى والدبلوماسى الذى يسعى إلى انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية التى احتلتها فى يونيو ١٩٦٧.
- التعاون والارتباط الوثيق بالدول العربية جميعا.
- توطيد الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتى واشتراكه فى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية.

الواجب العسكرى للقوات المسلحة هو استرداد الأرض بالقوة وتحرير الأرض وهذا يتطلب إعادة مقدرتها الدفاعية بالتدريج لتنفيذ هذا الواجب.

نشاط العدو الاستفزازى

بمجرد وصول عناصر من قوات العدو إلى الضفة الشرقية لقناة السويس اعتبارا من ١١ يونيو ١٩٦٧ حتى بدأت برفع العلم الإسرائيلى على القناة والسباحة وصيد الأسماك، وقيام بعض الأفراد منهم بترديد بعض الأغانى المصرية عبر مكبرات الصوت مع النكات والألفاظ والشتائم القذرة باللغة العربية عبر الـ ٢٠٠ متر مسطح عرض القناة مما جعل الدماء تغلى فى عروق أبناء مصر ولكن الأوامر الصادرة إليهم هى احترام وقف إطلاق النار مع ضبط النفس.

ولكن لكل شىء حدود مما اضطر بعض الجنود إلى الرد على هذه المهازل بالنيران وبدأ الصراع متدرجا من إطلاق الطلقات الفردية إلى طلقات البنادق وبالرشاشات ثم بالهاونات والمدفعية فى بعض القطاعات، ثم امتد الاشتباك على طول المواجهة من بورسعيد إلى بور توفيق جنوبا مستخدمين المدفعية بكل إمكاناتها من نيران وقذائف الدبابات ثم عمليات الاقتناص للأفراد بالمعدات والمركبات ثم العبور شرقا بمجموعات صغيرة تطورت حتى وصلت إلى مستوى كتيبة مشاة مدعمة من عمليات الاقتناص للأفراد والمعدات ثم العبور شرقا بمجموعات الإغارة والكمائن والحصول على أسرى ضباط وجنود من جيش الدفاع الإسرائيلى ووثائق وخرائط ومستندات ورص ألغام وتفجيرات مع عمليات استطلاع خلف الخطوط.

ورد العدو الإسرائيلى بقوة مستخدما قواته الجوية المتفوقة فى إغارات على عمق مصر وعلى بعض الأهداف الحيوية وعلى مدن القناة وبالتركيز على جبهة القتال فى قناة السويس مستخدما مختلف أنواع القنابل والصواريخ والنابالم مما أنتجته الترسانة الأمريكية، وتحولت الاشتباكات بأنواعها إلى جحيم وكثر الجرحى والموتى والمصابون

خاصة من المدنيين وتهدمت صوامع ومدارس ومساجد وكنائس ومستودعات ومنازل، وسميت هذه الحرب بحرب الاستنزاف التى استمرت أكثر من ألف يوم.

تقييم حرب الاستنزاف

يقول اللواء أ.ح.م عبد المنعم خليل الذى غاش أحداث ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ وما بعدها وتولى قيادة الجيش الثانى الميدانى وقبلها تولى قيادة تشكيلات ميدانية.

وشاء قدره أن يعود لقيادة هذا الجيش مرة أخرى أثناء حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣.

اسمح لى أيها القارئ أن أكتب فى هذا الموضوع بصراحة تامة والله والوطن على ما أقول شهيد.:

تضاربت الآراء حول حرب الاستنزاف التى كانت أطول حروب العرب مع إسرائيل إذ استغرقت ٣٨ شهرا بدأتها مصر تعبيرا عن رفض الهزيمة فى صيف ١٩٦٧ وتأكيدا لعزمها على مواصلة النضال إلى أن تزول آثار العدوان الإسرائيلى وتعود الحقوق إلى أصحابها ولتحرم إسرائيل من استغلال نصرها بإملاء شروطها المجحفة من موقع القوة أو فرض الأمر الواقع بكل ما يحمله من ظلم وتعنت للعرب.

ثم جاءت لاءات الخرطوم الثلاث لتوصد الباب فى وجه آمال الاستسلام التى ظلت تداعب موشى ديان الجالس إلى جوار الهاتف يترقبها بينما كانت مصر تشعل حربا طويلة الأمد باهظة التكاليف مع حرصها على مداومة رفع وخفض حدة القتال. وفقا لخطة شاملة ذات أهداف واضحة تحسن استغلال الظروف المحيطة والفرص السانحة لتبعد القتال عن حالة اللاحرب واللاسلم التى تخدم مصالح إسرائيل وترسخ الأوضاع الراهنة الشديدة الإضرار بحقوق العرب وتصرف اهتمام العالم عن متابعة القضية.

صراع شبه متكافىء

تميزت حرب الاستنزاف التى استمرت أكثر من ألف يوم بأنها أول صراع يدور فى مسرح الشرق الأوسط بين قوات شبه متكافئة وذلك على خلاف ما حدث فى الجولات الثلاث السابقة عندما واجه ثمانون ألف من جنود الصهاينة ثلاثين ألف عربى فى الجولة الأولى فى حرب فلسطين ١٩٤٨ وكانت النسبة ١:٢,٦ ثم ارتفعت تلك النسبة فى جولة خريف عام ١٩٥٦ إلى ١:٨ عندما حشدت إسرائيل وبريطانيا وفرنسا جنودها وسفنها وطائراتها لتسقط الحكم فى مصر وتعيد الاحتلال ، الإمبريالى لأرضها وتنزع ملكية القناة المؤممة عام ١٩٥٦، وفى الجولة الثالثة صيف ١٩٦٧ كان لإسرائيل فى المسرح ربع مليون مقاتل ونحو ٢٧٥ طائرة مقابل ١٥٠ ألفا وما لا يزيد عن ١٥٠ طائرة مما يعنى أن دول

الطوق العربى لم تحشد سوى ٣,٠٪ من تعداد شعوبها مقابل ما يزيد على ١٣٪ من جملة تعداد خصمهم أى نحو ٤٠ مثل ما حشده العرب.

تنوع أشكال الصراع

تميزت حرب الاستنزاف بتعدد أساليب الصراع وتنوع أشكاله من مجرد مناوشات محددة إلى اشتباكات عنيفة فمعارك ضارية فكانت المرة الأولى التى أجبر العرب فيها إسرائيل على أن تقاتل فى مسرح حرب من نوع جديد بعد أن استمر القتال فى مسارح عمليات منفصلة أو فى أرض معركة محددة لتحسم فى كل منها قتالا خاطفا قبل أن تتحول إلى التالية وفقا لأسلوب العمل من خطوط داخلية التى أتقنت تخطيطه وتنفيذه.

فبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ بدأت القيادة المصرية تحلل الطريقة التى يمكن للقوات المسلحة المصرية أن تتغلب بها على التفوق الإسرائيلى وعلى جدار الخوف الذى زرعته حروب ٤٨، ٥٦، ٦٧ فى نفوس المصريين فبدأت باختيار القادة على جميع المستويات الأقوياء والأمناء والأركان الصالحين وتشكيل الوحدات على أسس علمية سليمة وبدأ الإعداد العملى للقوات بالتدريب الواقعى والتسليح مع استكمال التشكيلات والوحدات وتعديل الأوضاع الدفاعية على طول جبهة القتال وسحب وحدات من مسرح اليمن إلى الوطن وإعادة تنظيمها وتسليحها وتدريبها ومرور القوات فى ممر معنوى صادق وبث روح مثمرة، وساعدتنا الظروف على نجاح هذا المخطط منذ أول اشتباك فى رأس العش وجها لوجه بين القوات الإسرائيلية وعناصر الصاعقة المصرية والمهندسين فى أول يوليو رغم قلة عددهم فقد أجبروا القوة الإسرائيلية «المدرعة» على التوقف على بعد حوالى ١١كم جنوب مدينة بورفؤاد ومنعوا القوة الإسرائيلية من الاستيلاء على المدينة.

وكذلك نجحت القوات الجوية المصرية فى التصدى لقوات العدو الجوية فى ١٤ يوليو ١٩٦٧ فكان لظهور عشر طائرات ميج ١٧ دفعة واحدة فى الجو لاعتراض طائرات العدو وإصابتها أثر كبير فى إعادة الثقة إلى رجال قواتنا المسلحة.

وفى نفس اليوم ١٤ يوليو ١٩٦٧ حاول العدو الإسرائيلى إنزال لنشات بحرية فى قناة السويس عند القنطرة ترفع العلم الإسرائيلى ليثبت حقه فى نصف مجرى القناة فصدرت الأوامر بتدميرها فى الحال ولما شعر العدو باستعدادنا الجوى للتدخل سحبها إلى البر الشرقى فورا.

وفى ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ تم تدمير وإغراق المدمرة إيلات أمام ميناء بورسعيد بثلاثة صواريخ مصرية قتل بها ٤٧ رجلا من بحارتها وجرح ٩١ فردا من طاقمها الذى يبلغ ٢٠٠.

وفى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧ قامت إسرائيل بالانتقام بضرب مستودعات البترول فى السويس وبدأ جدار الخوف يتحطم تدريجيا نتيجة عمليات الدفاع النشط، والدوريات والإغارات وأعمال القناصة والحصول على أسرى من ضباط جيش الدفاع الإسرائيلى والعبور شرقا وقتال العدو الإسرائيلى وجها لوجه، وقبل نهاية عام ٦٨ اشتدت حرب الاستنزاف ضراوة فاضطرت إسرائيل إلى تطوير عقيدتها القتالية لتستطيع التفاعل مع مواقف هذه الحرب قادها حاييم بارليف رئيس الأركان الإسرائيلى بزيادة حجم قواته فى سيناء وزيادة التحصينات الدفاعية وبدء إنشاء خط بارليف ولم يقتصر نشاط حرب الاستنزاف برا وجوا فقط بل تعداه إلى البحر وفى عقر دار العدو الإسرائيلى فبعد إغراق إيلات فى ٢١ أكتوبر ٦٧ قصفت القوات البحرية المصرية منطقتى رمانة وبالوظة بمدفعية المدمرات دمياط/ الناصر ليلة ٨/٩ نوفمبر ١٩٦٩ وكانت الإغارة البحرية الأولى على ميناء إيلات بواسطة الضفادع البشرية ليلة ١٥، ١٦ نوفمبر ٦٩ والإغارة الثانية ليلة ٥/٦ فبراير ١٩٧٠ والثالثة بواسطة الضفادع البشرية أيضا ليلة ١٤/١٥ مايو ١٩٧٠م، وتم إغراق سفينة الأبحاث الإسرائيلية بالصواريخ البحرية ليلة ١٥/ ١٦ مايو ٧٠ كما تمت عملية تدمير الحفار الإسرائيلى كيتنج فى أبيدجان بأفريقيا يوم ١٨ مارس ١٩٧٠.

هذا بالإضافة إلى عمليات الاستطلاع البحرى بالغواصات المصرية أمام سواحل العدو وقد اشترك فى قطاع الجيش الثانى الميدانى لواء جزائرى مدرع وكتيبة كويتية وعناصر من الجيش الوطنى الفلسطينى كما أنشأ العدو خط بارليف الذى يضم نقاط عسكرية قوية ٣١ نقطة قوية و٢٢ موقعا حصينا بالإضافة إلى دشم خرسانية بمواقع مختلفة للمراقبة وساتر ترابى يبلغ ارتفاعه ٢١ مترا بزاوية ميل حادة على الضفة الشرقية للقناة.

التعبئة

كانت حرب الاستنزاف أول صراع مسلح تضطر فيه إسرائيل إلى الاحتفاظ بنسبة تعبئة عالية ولمدة طويلة وهو ما ترك آثاره السلبية على معنويات الشعب واقتصاد الدولة بدرجة لم يسبق لها مثيل فى الجولات السابقة لا سيما وقد كان زعماء الصهيونية قد بشروا شعب إسرائيل بانتهاء معاناتهم بعد أن أكدوا لهم أن جولة صيف ١٩٦٧ هى الحرب التى تنهى كل الحروب وأن آلة الحرب العربية تحطمت تماما ولعشرات السنين القادمة، لقد اضطرت إسرائيل إلى الاحتفاظ بنحو ٢٠ لواء فى ذروة احتدام حرب الاستنزاف أى ما يعادل ٥٠٪ من جملة وعاء التعبئة البرية وكل سلاحها الجوى، ثم ظلت على هذا الوضع الباهظ التكلفة حتى أغسطس ١٩٧٠ عندما توقفت النيران فى المسرح

فسارعت بخفض نسبة هذا الاستدعاء إلى ١٠-١٥٪ فى القوات البرية وإلى ٢٥-٣٠٪ فى القوات الجوية، ومع أن مصر احتفظت بنسبة تفوق ذلك إلا أن نظام التعبئة والتجنيد وهياكل الاقتصاد المصرى كانت أقدر على احتمال تبعات تلك النسبة المرتفعة عن إسرائيل التى يتعطل فيها دولاب العمل نتيجة استدعاء جنود الاحتياط الذين يقومون فى حياتهم المدنية بشئون الزراعة والصناعة والتجارة والتعليم والصحة وغير ذلك من مجالات الحياة اليومية.

ضرب العمق المصرى

على خلاف ما حدث فى الجولات السابقة لم تنته حرب الاستنزاف بنصر مقطوع أمره لأحد الطرفين بل خرجا بشبه تعادل على المستويين الاستراتيجى والتعبوى وبمكاسب تكتيكية كثيرة لمصر إلى جانب ما أحرزته من مكاسب فى موازين السياسة بالمقارنة بما كانت عليه من اختلال صارخ فى نهاية جولة صيف ١٩٦٧.

وما أن شعرت القيادة الإسرائيلية برجحان كفة الميزان لصالح مصر حتى بادرت بدفع قواتها الجوية لضرب عمق مصر.

ثم ازداد توغلها فيها لتحرم مصر من مكاسب حرب الاستنزاف وتظهر للملأ أن أحدا لا يستطيع أن يقف فى وجهها.

لقد كان خبر وصول قوات الدفاع الجوى السوفيتى لحماية سماء مصر من غارات العمق شديدا على كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية التى كان أشد ما يزعجها أن ينجح الكرملين فى تثبيت قدمه فى الشرق الأوسط نتيجة هذا التدخل العسكرى الضخم فى الصراع الدائر فيه.

وكان هذا الاحتمال أحد الأسباب التى دفعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى طرح مبادرتها بعد أن ضعف الموقف السياسى والعسكرى الإسرائيلى وسبب لها بعض الحرج.

إيجابيات حرب الاستنزاف

لم يأت الحكم بأن إسرائيل كانت الطرف الأكثر تضررا من حرب الاستنزاف من داخل مجموعة الدول العربية أو المحافل الدولية بل من قلب المؤسسة العكسرية الإسرائيلية نفسها وعلى لسان أبرز قادتها، إذ أكد اللواء عايزرا وايزمان أن بلاده كانت الطرف الخاسر من الاستنزاف فى كلا المجالين السياسى والعسكرى، لفشل القائمين على تخطيطه وإدارته فى تجنب الفترات التى أدت إلى دخول الاتحاد السوفيتى طرفا فى الصراع، كذلك لجهلهم بأسباب ونتائج غارات العمق التى لم تسقط الزعامة المصرية أو

ترهب الشعب المصرى، كما كانوا يأملون، بل كشفت عن تطرف إسرائيل فى قصف أهداف مدنية راح ضحيتها أطفال أبرياء، مما آثار الضمير العالمى ودفعه للتعاطف مع العرب، ثم جاء الفشل فى تدميره بعد أن أصبح حقيقة واضحة ظهر أثرها جليا عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

عندما اضطر قائد السلاح الجوى الإسرائيلى أن يأمر طائراته بالابتعاد عن ضفة القناة حتى لا تقع فريسة لصواريخ الدفاع الجوى المصرى المحكمة التصويب فترك بذلك جنود مصر يخوضون المعركة لأول مرة دون أن تنزل عليهم قذائف الطائرات من الجو فتدمر معداتهم وتحطم جسورهم وتبعثر حشودهم، وينتقد وايزمان موقف إسرائيل من حرب الاستنزاف، عموما فيؤكد أنها يجب أن تدخل التاريخ بوصفها الحرب التى خسرتها إسرائيل . وللحقيقة والتاريخ نسجل أن جذور نجاح القوات المصرية فى تدمير الهجمات والضربات الإسرائيلية المدرعة على امتداد ٧، ٨، ٩ أكتوبر ٧٣ نبتت من تربة حرب الاستنزاف حيث تعلمت وتدربت القوات المصرية وأتقنت قتال المدرعات بأسلحة المشاة وأجسادهم حيث أخذت خبرة قتال حقيقية وكفاءة قتالية عالية ومعرفة حقيقية بالعدو الإسرائيلى ونقاط القوة والضعف فيه، فقد أعطت حرب الاستنزاف قدرة فائقة على الحصول على معلومات كثيرة مؤكدة عن العدو الإسرائيلى لم تكن متكاملة من قبل أو حتى متيسرة والحقيقة أن حرب الاستنزاف جعلت الحياة فى الضفة الشرقية للقناة وفى خط بارليف لا تطاق وأثرت فى معنويات جيش الدفاع الإسرائيلى بينما أعادت روح القتال والهجوم للمقاتل المصرى الذى استطاع قتال الجندى الإسرائيلى وجها لوجه ورأى ولمس ضعفه وتذلله وقلة حيلته وأثر الرعب على نفسيته وكان من مزايا حرب الاستنزاف تشكيل وحدات مقاتلة مستقلة وتكوين قوات الدفاع الشعبى والعسكرى وتدريب الطلبة والعمال على القتال دفاعا عن النفس والوطن.

أمثلة من تحدى مصر لإسرائيل أثناء حرب السنوات الثلاث:

١- معركة رأس العش أول يوليو ١٩٦٧.

٢- معركة لسان بور توفيق فى يونيو ١٩٦٧: معركة نيران بين ك٧٩ مظلات ومعها كتيبة جزائرية على مواقع العدو وفى لسان بور توفيق.

٣- التحدى الجوى فى ١٤ يوليو ١٩٦٧.

٤- عملية الإسماعيلية ٢٠ سبتمبر ١٩٦٧: تمكنت مدفعية الفرقة الثانية مشاة من تدمير عدد كبير من مدرعات العدو وعرباته وأفراده شرق الإسماعيلية.

٥- إغراق إيلات ٢١ أكتوبر ١٩٦٧.

٦- الإغارة على موقع العدو فى الدفرسوار أول أكتوبر ١٩٦٨.

٧- عملية خطف أسير ضابط نهاية ١٩٦٩:

خطف الملازم أول دان أمبيدان شرق سرابيوم.

٨- معركة لسان بور توفيق الثانية:

إغارة ناجحة قامت بها الكتيبة ٤٣ صاعقة أحدثت خسائر كثيرة للعدو.

٩- عملية شمال البلاح رقم ١ ورقم ٢ فى ١٥ فبراير ١٩٧٠:

غارات على موقع شمال شرق البلاح وبعدها بأسبوع سميت عملية شقير نسبة لقائد اللواء المكلف بها.

١٠- عملية سبت الحزن ٣٠ مايو ١٩٧٠:

عمليتان جريئتان فى ليلة واحدة كان لهما أثر مدمر على معنويات العدو وتم أسر اثنين من رجال المظلات الإسرائيلية.

هذه هى بعض ملامح الصراع وجها لوجه خلاف أعمال القنص والدوريات بأنواعها وإسقاط الطائرات وأسر طياريها، وسجل حرب الاستنزاف ملىء بالمئات من أعمال مماثلة وهناك حقائق لا يمكن التغاضى عنها وهى أن حرب الاستنزاف أثرت كثيرا على إعداد القوى والتدريب ورفع كفاءة التجهيز الهندسى والكفاءة القتالية للقوات، ولكن التدريب لم يتوقف وإعداد القوى ازداد قوة وفاعلية بالتطعيم الحقيقى للمعركة وزاد الجندى المصرى صبرا وشجاعة وصلابة وعزما.

بعض خسائر العدو التى اعترف بها

نشرت المجلة العسكرية لجيش الدفاع الإسرائيلى أن القوات الإسرائيلية فقدت خلال حرب الاستنزاف وبسببها ٤٠ طيارا وأن خسائرها فى القوات البرية بلغت ٨٢٧ قتيلا و٣١٤١ جريحا.

وبالنسبة للمعدات خسرت ٢٧ طائرة و١٥ مدمرة هى المدمرة إيلات، ٧ زوارق وسفن إنزال ونقل بحرى و١١٩ مجنزرة و٧٢ دبابة و ٨١ مدفع هاون، وهى أرقام تقل كثيرا عما ورد بكتاب زيف شيف ومقالة شلوموجازيت عن نفس الموضوع عدد نوفمبر ٧٠ ومن الناحية الاقتصادية فقد زاد عبء الاستنزاف على الاقتصاد الإسرائيلى بنسبة ٣٠٠٪ وقد أشار إلى هذه الحقيقة ديان نفسه فى محاضرة ألقاها على طلبة كلية القادة والأركان بتل أبيب ١٧ أغسطس ١٩٧٢.

شهادة الرئيس حسنى مبارك(٣)

ذكرياتى لا تقف عند معارك أكتوبر ٧٣ ولكنها تعود إلى الخلف ٦ سنوات قبل نشوب الحرب وبالتحديد تبدأ منذ سنوات حرب الاستنزاف باعتبارها كانت مرحلة إعداد وتدريب قواتنا استعدادا للحرب فهى كانت المدرسة التى تعلمنا فيها جميعا والبوتقة التى انصهرت فيها قدرات الشعب المصرى مع قواته المسلحة وهى السجل الخالد للعديد من التضحيات والبطولات والنماذج المشرفة للبذل والفداء والعمل الصامت الدءوب.

ذكرياتى عديدة خلال حرب الاستنزاف خاصة إننى توليت خلالها قيادة الكلية الجوية ورئاسة أركان القوات الجوية وكانت نموذجا صحيحا لعملية إعادة البناء والثقة بالنفس.

سأحكى لكم ما حققته حرب الاستنزاف

ففى التاسع من ديسمبر عام ١٩٦٩ استطاعت طائرة ميج ٢١ مصرية إسقاط طائرة فانتوم إسرائيلية تلك المعركة البسيطة رسخت ثقة قواتنا الجوية بنفسها وأكدت لها أن الطيارين الإسرائيليين ليسوا «سوبرمان» وأن ما حدث فى يونيو ١٩٦٧ أمر غير قابل للتكرار، حرب الاستنزاف مليئة بالذكريات التى لا أنساها لأنها كانت مرحلة التلاحم بين القادة وجنودهم - التفاهم بين القيادة السياسية والعسكرية - متابعة دائمة ومستمرة لكل ما يدور داخل قواتنا المسلحة وشعور من الضباط والأفراد بأن قادتهم وضباطهم معهم دائما وفى مقدمة الصفوف.

أتذكر مثلا ما حدث فى فبراير ٦٩ حينما كنت مديرا للكلية الجوية فى بلبيس حيث كان بها فى ذلك الوقت لواء من طائرات السخوى علاوة على طلبة الكلية وزارنى الرئيس جمال عبد الناصر وعندما قابلته سألنى ماذا تعمل هنا وأجبته بأننى مدير الكلية الجوية واستفسر منى عن إعداد وتدريب الطيارين وعدد الدفعات التى تخرجت فقلت له إننا خرجنا أربع دفعات حتى الآن والخامسة فى الطريق للتخرج.

ساعتها شعرت أننى لن أمكث طويلا فى الكلية خاصة أن وزير الحربية آنذاك الفريق محمد فوزى سألنى عن الفترة التى أمضيتها فى الكلية حتى ذلك الوقت وفعلا فى شهر يونيو أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بتعيينى رئيسا لأركان القوات الجوية.

ومرة ثانية قابلت الرئيس جمال عبد الناصر فى منزله وكنت فى ذلك الوقت برتبة عميد فى ٢٢ يونيو ١٩٦٩ ورقيت بعدها إلى رتبة اللواء فى أول أغسطس ١٩٦٩ وكان هذا اللقاء فى حضور الفريق فوزى وزير الحربية وجلسنا يومها من الساعة ١٢ إلى الساعة ٢ ظهرا وتحدث الرئيس عبد الناصر معى عن أساليب القيادة فى القوات الجوية ومعاملة القادة

والضباط وفى هذا التوقيت بالذات كان هناك اثنان من الضباط قد أحيلا إلى الاستيداع – أحدهما صلاح المناوى بسبب قرار اتخذه وشرحت للرئيس جمال عبد الناصر أن أى قرار يصدر بعد تقدير كامل للموقف وأى قرار قد يجانبه الصواب أو الخطأ وهى عمليات تقديرية وإذا تمت معاقبة كل قائد لا يصيب فى قراره فإن ذلك معناه أن كل قائد سيخاف وبذلك لن نعطى الفرصة للقادة لاتخاذ القرارات وبالفعل نظر الرئيس عبد الناصر إلى الفريق فوزى وأمر برجوع صلاح المناوى مرة أخرى إلى الخدمة وكان من رجال التخطيط لحرب أكتوبر وتولى شعبة عمليات القوات الجوية خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣.

لقد كانت حرب الاستنزاف ضرورة لا غنى عنها لمصر والعرب ظهرت جدواها عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ وما تلاه من أيام، وبينت الفرق الكبير بين مقاتل صيف ١٩٦٧ ومقاتل خريف ١٩٧٣ وكذلك بين قياداته وأجهزة أركانه مما أكد حسن اختيار القادة والأخذ بالمنهج العلمى فى المعاملة والتدريب وفى معرفة العدو.

الحياة فى السويس تحت وطأة حرب الاستنزاف

تحت قصف المدافع وغارات الطائرات التى كانت لا تنقطع عمدت القيادة السياسية إلى تهجير سكان المدينة لإتاحة حرية الحركة للقوات المسلحة من ناحية وأيضا لتقليل الخسائر بين المدنيين من ناحية أخرى، وكان قرار التهجير بنوعيه الاختيار والإجبارى وإغلاق المدارس قرارا فاعلا فى تخفيف سكان المدينة من ٢٦٠ ألف نسمة تقريبا إلى حوالى ١٥ ألف نسمة يمثلون العمالة الضرورية لتشغيل مرافق المدينة للمياه والكهرباء والصرف الصحى والعاملين فى المستشفيات والشركات والمصالح الحكومية بحيث لا يتواجد فى المدينة غير الحد الأدنى اللازم للتشغيل أو الحراسة أو الصيانة فقط ووضع نظام للإجازات بحيث يقسم العاملون إلى ورديتين تعمل كل منهما خمسة عشر يوما متصلة بالتناوب وأقيم فى كل شركة وفى كل حى سكنى مخبأ يلجأ إليه الناس وقت الاشتباكات.

تحولت المدينة إلى معسكر وتحول مجتمع المدينة خلال هذه الفترة إلى مجتمع خشن إن جاز التعبير حيث إنه مجتمع يخلو من النساء والأطفال فلا ترى فيه ابتسامة سيدة أو تسمع فيه ضحكة طفل. وكان هذا المجتمع الرجالى الذى يلبس أفراده من مدنيين وعسكريين الزى الأصفر بعد أن خلع المحافظ بدلته المدنية واستبدلها ببدلة صفراء وحذاء حذوه مساعدوه ثم المديرون والموظفون حتى السعاة.

وكان مجرد رؤية سيدة عملة نادرة فكان البعض يتمارض ليذهب إلى المستشفى لمجرد رؤية الممرضات عن بعد ترفيها عن النفس.

كانت هناك جزر للحياة منعزلة عن بعضها البعض فمثلا كان هناك تجمع حول مبنى المحافظة والاتحاد الاشتراكى يمتد حتى مسجد الشهداء، وكشك حسن السودانى بائع الجرائد فى دائرة لا يزيد قطرها عن مائة متر، وتجمع آخر حول مسجد الغريب وثالث حول مسجد الأربعين. وكانت هذه التجمعات القليلة العدد تمثل جزر الحياة فى المدينة وكل منها قريب من أحد الخنادق حيث يتجمع فيه الناس عند سماع أول طلقة. هذا بالإضافة إلى تجمعات العاملين فى الشركات داخل خنادقهم . وكانت هذه الطلقة الأولى هى الإنذار حيث لم تكن هناك صفارات إنذار لأن العدو أمامنا على الشاطئ الآخر لا يفصلنا عنه سوى عرض القناة الذى لا يزيد على مائتى متر ومدافعه مصوبة إلينا وطول الوقت ومطاراته قريبة منا فليس بيننا وبينه منطقة أو مسافة تسمح بالإنذار.

بعد أن تقاربت فترات الاشتباكات وطالت مدتها لجأ الكثير من الناس إلى الإقامة الدائمة فى الخنادق لأن الأمان فى الخارج أصبح نادرا وشاعت أنماط من الحياة داخل الخنادق وخارجها تتوافق مع الظروف القائمة فكان الناس يأكلون جميع أنواع السمك إن وجد مشويا، بغض النظر عن نوعيته لأن الشواء أسهل وأسرع فى ظروف الاشتباكات كما راجت داخل الخنادق سلع معينة يطلبها جمهور الخنادق مثل السجائر والبسكويت.

خيم السكون على المدينة وصمتت مصانعها وهاجرت سياراتها وعرباتها وخلت الشوارع من أطفالها وأغلقت البيوت والحوانيت وساد هدوء وصمت قاتل حتى أصبح للصمت صوتا، كنت إذا سرت فى الشارع الخالى تسمع صوت أنفاسك تتردد عالية وكأن هناك إنسانا آخر يتنفس بجانبك، تنظر إلى البيوت الخالية وترى الأبواب والشبابيك المخلوعة من عنف الانفجارات تطل من الشرفات كأنها أشباح، لقد تملكنى الرعب وأنا أسير وحيدا من محطة الأتوبيس وقت الظهيرة خلال شارع بنك مصر وهو شارع ضيق وطويل والأبواب والشبابيك المخلوعة ترقد على أسوار البلكونات كأنها أحياء تنظر إلىّ وقد تعلقت بأطرافها الملاءات والستائر والملابس المتناثرة من الدواليب المحطمة داخل غرف النوم فبدت وكأنها فى موكب حزن على أثر تلقيها نبأ فاجع بفقد عزيز فاتشحت بما وصلت إليه يدها حزنا وهلعا. تلفت حولى وأنا أسمع وقع أقدامى وتردد أنفاسى فانهارت شجاعتى فقررت الجرى وظللت أجرى حتى وصلت إلى أول تجمع عند كشك الجرائد وأنا الذى لم يخفه قصف المدافع، أخافنى الصمت.

مجتمع الخندق

عندما يبدأ الضرب يهرع الناس جريا إلى الخنادق وسرعان ما يمتلئ الخندق بالمقيمين

والعابرين، ومع عنف الانفجارات وطول وقت الاشتباكات كان التوتر والقلق وانفلات الأعصاب يأخذ أشكالا متعددة وسلوكيات مختلفة بين جمهور الخنادق، فهذه مجموعة قد غشيتها نوبة من التصوف والاستغراق فى الذكر وأخذت تردد أحد أسماء الله الحسنى يا لطيف .. يا لطيف. يا.. وآخر يصيح فى الجالسين الله هو انتم خايفين ويطلق ضحكات هيستيرية - وثالث يجلس صامتا لا يتكلم وكأنه فقد النطق والحياة معا، ورابع أخذت دموعه تنساب على خديه فى صمت.

وآخرون يتتبعون الانفجارات ويميزون بينها فهذه طلقة هاون وتلك م.د. أما هذه فمدفعية ميدان والطلقة دى من عندنا ودى من عندهم وأذكر مرة أن شخصا حضر إلى الخندق ووقف بالباب وهو يبدل برجليه وكأنه يركب دراجة وأخذ أصدقاؤه ينادونه يا شعبان... يا شعبان وهو لا يجيب ومستمر فى حركته وما زالوا به حتى أجلسوه وأحضروا له كوبا من الماء وهو صامت - وعندما تكلم تبين أن المسكين كان راكبا دراجته حين حدث اشتباك وانفجرت على بعد منه قنبلة أطاح ضغط الهواء الناتج عنها به وبدراجته وقام مسرعا وأخذ يجرى وهو يعتقد أنه ما زال يركب الدراجة حتى وصل إلى باب الخندق.

أما البيئة وما تضمه من إنسان وحيوان ونبات فقد تعايشت عناصرها مع الموقف فالنباتات البرية قد شقت أسفلت الشوارع، وظهرت أشجار لنخيل غير مثمر على جوانب بعض الطرق، وتعايشت القطط مع الفئران وأصبحت القطة تسير بجانب الفأر لا تخيفه نظرا لكبر حجمه وانشغل الاثنان فى البحث عن الطعام فى كومة قمامة واحدة وتآلفت الفئران مع رواد المقاهى فهى تسير تحت المناضد وبين الأرجل بتؤده وبطء غير وجلة ولا خائفة حتى أصبحت بعد فتح الطريق وعودة الحياة إلى المدينة أحد المشاكل المستعصية على الحل واستقدمت المحافظة أحد المتخصصين فى مقاومة الفئران أنعم عليه الموظفون بلقب دكتور فأر وحتى هذه اللحظة بلغ نصيب كل مواطن فى المدينة أكثر من عشرة فئران من مختلف الجنسيات.

شهيد الواجب

اقتضت الضرورة كما سبق ذكره نقل أجهزة الخدمات من مقرها فى السويس إلى مقر بديل فى مدينة نصر ونقل معها موظفوها وسجلاتها للمحافظة عليها من جهة ولكى تؤدى خدماتها إلى جماهير المحافظة التى تم تهجيرها إلى مناطق ومحافظات مختلفة من الجمهورية.

كما قامت المحافظة بنقل مخازنها وإمكاناتها من السويس إلى منطقة البساتين فى القاهرة التى أنشأت بها مخازن جديدة محافظة عليها من التدمير وأبقت الحد الأدنى من الضروريات التى تحتاجها فى تسيير العمل، أما المنشآت الثابتة كمصنع الثلج أو محطات الكهرباء و المياه والمجارى فقد أبقت عليها نظرا للحاجة الحيوية إليها ولضرورتها لمجتمع المدينة ولخدمة المجهود الحربى وعمل الصيانة الضرورية لها وإعادتها للعمل عقب كل عدوان عليها، كما أبقت على عدد من المهندسين والعمال اللازمين لتشغيل هذه المرافق.

وقد ذهب البعض من هولاء المهندسين والعمال شهيد العمل والواجب دون أن يذكرهم أو يكافئهم أحد.

وأذكر أحد هؤلاء الشهداء وهو الشهيد المهندس محمد عبد العزيز حسب بالإدارات الهندسية بالمحافظة، وكان ضمن أربعة من المهندسين الشبان الذين تم تعيينهم فى محافظة السويس عام ١٩٧٠، وفرح بهم سكرتير عام المحافظة المهندس عبد الله بازرعة حيث كانت حاجة العمل إليهم شديدة، لرفض كل من يعين بالسويس الحضور واستلام العمل بها - ووصل به الأمر إلى إسناد مناصب قيادية لهم وتحميلهم مسئوليات كبيرة وحيوية وهم فى هذه المرحلة المبكرة من العمر وكان نصيب المهندس محمد عبد العزيز هو الإشراف على الحملة الميكانيكية التى تضم السيارات والأوناش وغيرها وكان الجراج مملوءا بعدد كبير من السيارات المعطلة لأسباب مختلفة فى الوقت الذى يحتاج فيه العمل إلى عدد كبير من السيارات وقيل له عليك إصلاح أكبر عدد فى أقل وقت ممكن، ولك مطلق الحرية فى طلب ما تشاء من قطع الغيار وغير ذلك، فى الشهر الأول كانت الحصيلة خروج ثماني سيارات كانت معطلة تماما وخرجت وقد استعادت قدرتها بعد إجراء العمرات الكاملة لها.

كان مصنع الثلج المعروف لدى العامة بـ«وابور الثلج» معطلا واستدعى المهندس من قبل السكرتير العام الذى أخبره أن المقاول قد طلب ثمانية آلاف جنيه لإصلاح المصنع وأن هذا مبلغ كبير - فهل فى إمكانك إصلاحه ولك كل الإمكانات؟ فأجابه دعنى فترة من الوقت وفى خلال شهر على الأكثر أكون قد كونت رأيا بعد معاينة جميع الأجزاء - وفعلا تمت المعاينة ووافق على القيام بالإصلاح شريطة إعطائه سيارة، وتفويضا فى إحضار قطع الغيار اللازمة من مخازن المحافظة بالبساتين ليلا أو نهارا.

تمت الموافقة على ما طلب وبدأ بإقامة معسكر عمل داخل المصنع يضم عماله الذين يعملون معه حيث أقاموا إقامة دائمة داخل مقر العمل، وبدأ العمل بعزم وإصرار وكان

يذهب ليلا إلى البساتين لإحضار قطع الغيار ليبدأ العمال فى الصباح تركيب ما أحضره ليلا، واستمر العمل شهرا بدأت بعده تجارب تشغيل المصنع وحين خرجت ألواح الثلج الأولى ملأ بها جرارا وأخذ يوزعه على المقاهى والمحلات مجانا ولم تتجاوز تكاليف الإصلاح ثمانمائة جنيه.

فى العام التالى كلف زملاء له بالإصلاح وبعد انتهائهم من إعداد المصنع للعمل رفضوا إلا أن يكون معهم وأن يقوم بمعاينة المصنع قبل العمل وكان عائدا من ميناء الإسكندرية لاستلام بعض المهمات الخاصة بالمحافظة وقد ذهب معهم وتفقد المعدات وتطلب العمل ملحا ولم يكن هنا ملح إلا فى الملاحات التى تجاور المصنع وخشى الجميع النزول إليها خوفا من وجود مفرقعات فتقدمهم ونزل أمامهم حتى أحضروا الملح المطلوب.

وقف أمام الماكينة الضخمة التى أعطيت الإشارة لإدارتها وما إن دارت الماكينة حتى دوى انفجار هائل أطار رأس الماكينة الصلب ليصطدم برأسه ويسقط فى حوض التبريد ويموت غرقا ولم يستطع أحد إنقاذه حيث انتشرت رائحة النوشادر والتى كانت خانقة والتى أصابت أحد زملائه بالعمى الكامل بعد استشهاده أراد محافظ السويس اللواء البورينى مكافأته فبعث بشيك مع المرحوم جلال عبد العزيز مدير الشئون الإدارية بالمحافظة بمبلغ خمسة وعشرين جنيها أعادته أسرته للمحافظة شاكرة ورفضت استلامه.

وعند حساب المعاش تحدد له معاش مقداره ٢٨ جنيها (ثمانية وعشرون جنيها) وحيث إنه غير متزوج فإن للحكومة نسبة فى هذا المعاش والباقى من حق والده إذا كان لا يعمل أو لا يتقاضى معاشا وبما أن والده يتقاضى معاشا أكثر من عشرة جنيهات فإنه لايستحق من معاش ابنه شيئا.

وهكذا ذهب الشهيد المهندس محمد عبد العزيز حسب ابن السابعة والعشرين بدون مقابل مادى أو معنوى وغيره كثيرون.

من مفكرة مدير قصر ثقافة الجبهة

يقول حامد حسب مدير الثقافة بالسويس من ٦٩إلى ٧٤ فى مفكرته بعد أحداث وهزيمة يونيو: تقرر أن يعاد انتخاب وتشكيل تنظيم الاتحاد الاشتراكى فى محاولة لتجديد وتغيير قيادات العمل السياسى حيث كانت الجماهير تعتقد أن الاتحاد الاشتراكى بتنظيماته هو أحد أسباب هزيمة يونيو.

وكان على قيادات العمل السياسى فى المحافظات أن تقرر من الذى يبقى ومن الذى يرحل. وكنت فى ذلك الوقت أحد أعضاء المكتب التنفيذى للمحافظة وهو المستوى الأعلى

فى تشكيلات الاتحاد الاشتراكى على مستوى المحافظات كأمين للدعوة والفكر.

وفى مثل هذه الظروف التى تستهدف استبدال القيادات تنشط شركة العازفين على كل الأوتار ويتسابق المتسلقون والمتطلعون وحملة المباخر للفوز بأى نصيب كمقعد فى مجلس أو عضوية فى لجنة وقد استقر رأى قيادة العمل السياسى فى السويس أن أكون من بين الراحلين وكذا المرحوم الأستاذ السيد عيسى وكان من القيادات السياسية والثقافية المتميزة ولم نعلم فى ذلك الوقت شيئا عن هذا الرأى وذلك القرار إلى أن بدأ عنكبوت العمل السياسى ينسج حولنا خيوطه وشباكه لإبعادنا عن الصورة من ناحية وإسقاطنا فى الانتخابات من ناحية أخرى، وكذلك إجراءات أخرى كثيرة حين علمتها قررت تجاوز هذه الأحداث والارتفاع فوقها بعدم الترشيح وكان هذا الرأى بمشورة بعض الأصدقاء المطلعين على بواطن الأمور الذين أشاروا على بعدم الترشيح فى هذه الانتخابات وانتهى الموضوع بتسليمى خطاب إنهاء تفرغى وعودتى لعملى فى التربية والتعليم.

بعد فترة استدعيت من قبل المحافظ حامد محمود والذى كان ملما بكل ما حدث والذى يعلم ما لم أكن أعلمه وبادرنى قائلا:: ما رأيك فى العمل فى الثقافة؟ وعندما لاحظ دهشتى أخبرنى أن وزير الثقافة كان فى زيارة للسويس وهاله أن يكون قصر الثقافة معطلا لا يعمل والمحافظة غير راضية عن هذا الوضع فطلب الوزير من المحافظ ترشيح قيادة للقصر يمكنها العمل فى ظل الظروف القائمة، ووقع الاختيار على شخصى للقيام بهذه المهمة وسلمنى خطاب الترشيح وموافقة الوزير على ندبى للوزارة والتدريب لمدة شهر عدت بعده إلى السويس لإعداد القصر للعمل وكان غريبا أن أجد العصافير قد بنت أعشاشها فى أرضية لمبات الإضاءة الفلورسنت وتدلت أعواد القش من السقف لتتشابك مع خيوط العنكبوت لتخبر من يراها عن مدى الركود والاسترخاء الذى أطبق على هذا الموقع الثقافى.

وكان على أن أبث فى العاملين الأربعة روحا جديدة وحماسا للعمل وهم الذين يتناوبون الإجازات النصف شهرية بإيمان واعتقاد أنه لا عمل للثقافة فى زمن الحرب مما يهدد البشر والمعدات، وقد استطعت إقناعهم بأن التقدير إنما يكون على قدر ما يبذل من جهد وعمل وما يحسه الآخرون نحوك من أهمية لهم.

ودب فى القصر نشاط بدأ فى الإعداد والتأمين بدعم ومعاونة من المحافظة وأجهزتها المختلفة ثم وضع برامج تتناسب مع هذه الفترة التى تتخللها اشتباكات المدفعية وغارات الطائرات خلال حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩.

وكنت قد قابلت وكيل أول الوزارة للثقافة الجماهيرية الأستاذ سعد الدين وهبة الذى تولى المسئولية فى هذه الفترة وحدثته عن أفكارى وتصورى لمهمة وأهداف الثقافة فى قصر يقع فى خط المواجهة مع العدو، وبينت له وجهة نظرى بأنه إذا كانت الثقافة ضرورية للإنسان والمجتمع فى وقت السلم فهى فى وقت الحرب والشدة أكثر ضرورة، لأننى أتصور أن مهمتى هى تطوير الأداء التقليدى للأنشطة بما يتلاءم مع ظروف الجبهة وظروف الاشتباكات المستمرة مما يتطلب أداء وأنماطا للعمل الثقافى مختلفة أحتاج فيها لمعاونة الوزارة بجانب مساعدات الإدارة المحلية التى قدمتها لبدء العمل فى القصر.

صمت الوكيل برهة وكنت قد أسررت فى نفسى أننى لو اكتشفت أنه من نفس النوعية التى تعاملت معها حين قدمت للتدريب فى الثقافة الجماهيرية فسوف أحمل حقيبتى على كتفى وأرحل عائدا غير نادم، وكانت المفاجأة أننى وجدت نفسى أمام نمط جديد وشخصية تتكامل فيها مقومات القيادة من حيث الإيمان العميق بالواجب الوطنى الذى تفرضه المرحلة والفهم المستنير لأهمية الرسالة التى يجب أن تضطلع بها الثقافة فى هذه الظروف، وكانت الإجابة أكثر مفاجأة بعد أن استمع إلى جيدا، قال: عليك أن تضع خطتك وفق تصورك وظروف موقعك وعلى المساعدة والمعاونة دون حدود وفوق كل روتين فانطلق ولاتتقيد بشىء يعوقك عن أداء واجبك وسوف أزورك فى الموقع.

بعد فترة قصيرة وجدت وكيل الوزارة يرتدى بنطلونا وقميصا نصف كم وبيده حقيبة صغيرة يخطو داخل القصر يتعرف على الإمكانات الموجودة والاحتياطات وقابل المحافظ واتفق على التعاون دفعا للعمل وأداء للرسالة.

سينما الخندق

كان من المتعذر تقديم العروض السينمائية داخل القصر نظرا لعنف الاشتباكات وتقارب فتراتها وحفاظا على أرواح المواطنين، حيث تعرض القصر للإصابة فى أحد الاشتباكات فماذا نفعل؟

كانت حرب فيتنام قائمة وكانت الصحف تتحدث عن الحياة فى فيتنام وكيف استطاع الفيتناميون نقل الحياة من فوق الأرض إلى الملاجئ تحت الأرض، هربا من قصف الطائرات الأمريكية، وطرأت فكرة، لماذا لا نجرب العروض السينمائية داخل الخنادق، ناقشت الفكرة مع بعض العاملين معى فى القصر، قيل إن الخنادق غير مجهزة ولا تصلح للعرض السينمائى خاصة من ناحية الصوت وكذلك انخفاض سقف الخندق.

تم الاتفاق على بدء التجربة والمحاولة فإذا تقبلتها الجماهير كان بها وإن لم تتقبلها

فأمرنا إلى الله، وسأتحمل النصيب الأكبر معكم.

وقمنا بتجهيز الخندق للعرض بتعليق ملاءة سرير بيضاء على الحائط لتقوم مقام الشاشة وأحضرنا ماكينة السينما ١٦مم ونظرا لانخفاض السقف قررنا أن يجلس الناس بجانب الحوائط، وأذكر أول فيلم كان معنا ولم نجد غيره فى إدارة السينما بالثقافة الجماهيرية كان فيلم مصطفى كامل، وفجأة بدأت الاشتباكات بين قواتنا وقوات العدو فأسرعنا جريا إلى الخندق الذى امتلأ بالمقيمين والعابرين وبدأنا نشرح للناس ونوجههم إلى معاونتنا.

بدأ عرض الفيلم وبدأت ألاحظ الانفعالات المختلفة وأتفرس فى وجوه الناس هل هم معنا، أم علينا. ونظرا لضيق الخندق فقد طغى صوت الفيلم وشد إنتباه الجمهور، بل انفعل بعضهم مع بعض المشاهد، بعد انتهاء الفيلم سألت الناس عن رأيهم قالوا: لقد أرحتنا وشغلتنا هاتين الساعتين عن الانفجارات وشد الأعصاب ونرجو أن تتكرر، الأمر الذى حتم علينا القيام بحصر جميع الخنادق التى بها تجمعات ووضع جدول عمل ومواعيد لكل منها لا تقتصر على العرض السينمائى فقط بل يصاحبها متحدثون فى الدين والسياسة والثقافة من زوار المدينة من الصحفيين والأدباء الذين كانوا يفدون لزيارة الجبهة، وولدت بذلك فكرة سينما الخندق.

وأذكر أن بعض المقيمين فى خنادق الشركات كانوا يلحون علينا للحضور إليهم مهما كان الفيلم قديما، لماذا؟

لأنه حين يعود العمال من إجازاتهم إلى مقر عملهم يتحدثون مع بعضهم عن البيت والأولاد والمشاكل ثم يفرغ الحديث وهم يواجهون بعضهم ليل نهار فى مكان واحد، حيث انتهت الأحاديث فلا يلبث الحال أن ينقلب ويدب بينهم الشجار على أمور تافهة، فكان مجرد رؤية أناس آخرين ووجوه جديدة عليهم يمثل لهم متعة نفسية كبيرة وهكذا كان للعمل الثقافى قيمة معنوية كبيرة على خط المواجهة.

بسبب الدكتور فرحات هددنى الجنود بالضرب

كنا فى فترات هدوء على الجبهة نقدم بعض العروض السينمائية للجنود داخل القصر، وبعد انتهاء أحد العروض سمعت وأنا فى مكتبى فى الدور الثانى صيحات الاستنكار والوعيد والتهديد والعشرات قد اندفعوا بحثا عن المدير ابن الـ...... وعمال القصر يحاولون أن يحولوا بينهم وبين الوصول إلى المكتب ووصل بعض العقلاء منهم إلى المكتب وبادرونى قائلين: هو احنا عملنا فيك حاجة تزعلك؟ قلت: لا واللا احنا ما بنفهمش؟ قلت:

معاذ الله. يعنى حضرتك جايب لنا فيلم يوعى على الجنيه الجبس.

ده احنا منعنا العساكر عشان مايكسروش لك القصر على من فيه.

وكان الفيلم الذى أثارهم يحمل اسم الدكتور فرحات وأسرعت إلى سعد الدين وهبة طالبا إنقاذى ورويت له ما حدث فاستغرق فى الضحك، وقال: مالقيتش غير الدكتور فرحات تعرضه عندك؟ أجبت أنى لم أره من قبل ولم أجد غيره فى الثقافة الجماهيرية وكلها أفلام تنافسه فى القدم - وأضفت أن بعض الأصدقاء أخبرونى أنه توجد أفلام فى سفارات الدول الصديقة يمكن استعارتها على أن أحضر خطاب ضمان من الوزارة فوافق على الفور وأعطانى الخطاب المطلوب الذى توجهت به إلى السفارة الصينية حيث قدمته لهم فقوبلت باحترام شديد فأعطونى نسخة جديدة من فيلم حرب الأنفاق، وعدت به إلى السويس مطمئنا ودعوت المحافظ وقيادات القوات المسلحة والمواطنين ليشهدوا عرض الفيلم وبعد ذلك طلبت القوات المسلحة عرضه مرات متعددة على الجنود فى السويس وأخذ الفيلم ينتقل من مكان إلى آخر، ومن خندق إلى خندق، وفى كل عرض أتلقى الشكر والتقدير على هذا الفيلم الجيد على شرط الاستمرار فى عرض هذه النوعية من الأفلام بدلا من فرحات، وأخذت أتنقل بالخطاب من سفارة إلى أخرى، وفى كل مرة يقبل علىَّ الجنود معتذرين عما بدر من بعضهم من شتائم بسبب فرحات.

هذا بالإضافة إلى زيارة الفرق الفنية التابعة لوزارة الثقافة مثل الفرقة القومية للفنون الشعبية وفرقة الموسيقى العربية والمسرح القومى، وبعض الفرق الخاصة حيث كان تنظيم زيارتها للجبهة بالتنسيق مع وكيل أول الوزارة للثقافة الجماهيرية والمحافظ والقوات المسلحة فى أوقات الهدوء، وكان لزيارة هذه الفرق أثر معنوى كبير فى نفوس العاملين الموجودين بالمدينة، وكان سعد الدين وهبة يكرر دائما أننا نريد أن نقدم للجبهة ما تطلبه ويعينها على الصمود.

وأذكر أن أحد المهندسين الشبان قال بعد عرض الفرقة القومية: إننى مستعد بعد هذه الليلة أن أعمل شهرا بدون إجازة. وكانت تلك هى القيمة الحقيقية لهذا العمل الثقافى.

فلسفة العمل الثقافى فى هذه الفترة

فى هذه الفترة عقد المؤتمر الأول الذى نظمته الثقافة الجماهيرية تحت إشراف سعد الدين وهبة والذى ضم نخبة من المفكرين والأدباء بالإضافة إلى العاملين بقصور الثقافة فى أبريل ١٩٧٠.

وقد أصدر المؤتمر نداء إلى مثقفى العالم كما أكد على ملامح وأسلوب العمل الثقافى

الذى يمارسه قصر الجبهة بل قرر مساندته وتجنيد إمكانات الثقافة الجماهيرية لخدمة المعركة وأصدر المؤتمر وثيقة من وثائقه تؤكد دور الثقافة الجماهيرية فى المعركة مما كان له الأثر الكبير فى إشاعة روح المقاومة بين الفنانين والمثقفين بصفة عامة.

وكانت وفود الأدباء والفنانين والصحفيين لا تنقطع عن زيارة الجبهة مبتدئة من قصر ثقافة الجبهة كما اصطلح على تسميته فى ذلك الوقت.

كما لم تنقطع قوافل الفرق القومية للمسرح والفنون الشعبية وغيرها كما تنافس مخرجو الثقافة الجماهيرية الشبان ليفوزوا بشرف العمل فى قصر الجبهة، واستطاع القصر أن ينتج مسرحيات لم يكتف بعرضها على جماهير السويس فقط، بل ذهبت إلى مواقع التهجير لتعرض على المهجرين فى مواقع تهجيرهم وعرض الكثير منها بالتعاون مع التوجيه المعنوى للقوات المسلحة على طول جبهة القتال من السويس إلى بورسعيد. ومن المسرحيات التى أنتجها القصر فى أول الأمر مسرحية «ابطال بلدنا» تأليف يعقوب الشارونى وإخراج سمير سليمان، وكان موضوعها هو المقاومة المصرية للحملة الصليبية. والمسرحية الثانية كانت «غنوة على خط النار» تأليف وإخراج السيد طليب وكانت محاولة للجمع بين الواقع الوطنى على الجبهة من مقاومة واستشهاد وبين التراث الشعبى المثل فى أغانى أولاد الأرض على السمسمية وكانت تجمع بين النقد والتسجيل والتمجيد للبطولات التى قدمها الشهداء. والمسرحية الثالثة كانت «اللحن المقاتل» وكانت عملا اشترك فى تكوينه محمد الشناوى، سليمان جميل، أنور كشك، إبراهيم مدبولى، وإخراج عبد الغفار عودة، وكانت مسرحية شعرية تبنت شعر المقاومة لشعراء الأرض المحتلة. وكانت المسرحية الأخيرة هى مسرحية «كان يا ما كان» من إخراج أستاذ المسرح حسن عبد السلام.

كما أسهم الفن التشكيلى فى المعركة وحضر إلى السويس الفنان عصام الراوى الذى استوحى لوحات معرضه من أحداث المعارك ومن الحياة اليومية للمقاتلين، كما أذكر الفنان سمير ندا الذى بلغ به الحماس والانفعال بالأحداث إلى أن أخرج فيلما تسجيليا قصيرا عن السويس فى المعركة، تعليق المذيع والفنان الشاعر المرحوم عبد الرحمن على، هذه الروح التى أشاعها المؤتمر الأول للثقافة الجماهيرية فى كل مصر وربطت بين موقع العمل فى الجبهة ومواقع التهجير لمواطنى منطقة القناة وتضافرت الفنون جميعها من أدب وشعر وصحافة وإذاعة وفنون تشكيلية ومسرح لدعم روح المقاومة مما كان له أثره البالغ فى رفع الروح المعنوية للمقاتلين والمقيمين فى الجبهة بصفة عامة.

وتمشيا مع المنهج الذى حددته لكتابة هذه التجربة فى الاعتماد على التسجيل للتقارير والوثائق والمذكرات والرواية من مصادر الأحداث- فإنى أضع جزءا من تقرير لجنة الثقافة والمعركة والنداء إلى مثقفى العالم الذى وجهه المؤتمر أمام القارئ لعله يجد بين سطوره سر الروح القتالية التى واجهت به المدينة هجوم العدو عليها وكيف صمدت وقاومت.

وكيف بعثت روح المقاومة والتحدى من مرقدها الحضارى وتماسكت جماهير شعبنا صفا واحدا وراء أبنائه المقاتلين حتى تحقق نصر أكتوبر ١٩٧٣.

إنه قطعة رائعة من أدب المقاومة لابد أن تقرأ، وأقدمها وفاء لذكرى فارس المقاومة ورئيس هذا المؤتمر المرحوم الأستاذ سعد الدين وهبة.

الثقافة والمعركة(٤)

إن نضال الأمم ضد التحديات التى تواجه مسيرتها هو التجسيد المادى فى الواقع العلمى لوعى الأمم بما تريد تحقيقه وبكيفية العمل لتحقيق ما تريد لوعيها بالتحديات التى تواجهها وبكيفية التغلب على هذه التحديات.

وعلى قدر عمق وعى الأمم بما تريد وبالتحديات التى تعترضها يكون عمق نضالها وعلى قدر شمول هذا الوعى يكون الشمول فى معاركها ويكون الشمول فى الحشد والتعبئة لهذه المعارك.

والثقافة هى التى تشكل الوعى وتعمقه وتعطيه طابع الشمول ومن هنا كان الدور البالغ الأهمية الذى تلعبه الثقافة فى معركتنا ومن هنا كانت الضرورة فى أن تكون المشكلة الرئيسية للثقافة فى بلدنا اليوم هى الإجابة عن هذا السؤال:

كيف نهزم العدو؟

إن ارتباط الثقافة بالمعركة ليس ارتباطا طارئا وآنيا، فالثقافة فى جوهرها وعلى مر العصور وفى جميع الظروف هى معركة، معركة لخلق الإنسان الجديد المتجدد وخلق القيم الجديدة له وخلق البيئة الجديدة. هى دائما معركة ضد كل ما أصبح قديما وسلبيا ولبعث وتطوير كل ما هو قديم وإيجابى كأساس للجديد الذى تفرضه حركة التطور.

إن معركتنا اليوم هى معركة حضارية شاملة، إنها معركة حضارة نامية ضد ظواهر غير حضارية هى العنصرية والإمبريالية.

إن العدوان الذى نتعرض له من هاتين الظاهرتين غير الحضاريتين العنصرية والإمبريالية لا يهدد فقط المستوى الحضارى الذى أنجزناه حتى اليوم بل هو يهدد بطمس حضارتنا وتراثنا الحضارى ويهدر آمالنا فى مزيد من التطور الحضارى، والنصر فى هذه

المعركة يعتبر على هذا الأساس نصرا حضاريا لماضينا وحاضرنا، والمعركة التى نخوضها اليوم هى معركة شاملة معركة نخوضها على الجبهات العسكرية والإنتاجية والسياسية والفكرية والثقافية بإسهامها فى المعركة، إنما ينبغى أن نتجه إلى كل هذه الجبهات ونستحث فيها كل عناصر المبادرة والإبداع والمنافسة البناءة.

ولكى تتمكن هذه الثقافة من أداء هذا الدور الواسع الشامل على كل الجبهات تحقيقا لشعار كل شىء من أجل النصر فإنها مطالبة بخلق وحدة فكرية حول كل القضايا الوطنية والقومية حتى تصب الجهود كلها من خلال مسالك مفهومة وواضحة فى مصب واحد وحتى تتجه الطاقات كلها خلال درب واحد واضح الملامح نحو هدف واحد هو النصر.

إن العدو يمارس عدوانه على ثلاث جبهات رئيسية

١- عدوان ثقافى يتمثل فى تصدير ثقافات تمزق القيم البناءة وتروج لعوامل التحلل واللامبالاة و ثقافات تشوه التراث الوطنى والروحى والعمل على طمسه، وعلى قطع صلة الأمة بماضيها ويشجع على الازدراء بالفضائل الوطنية والروحية الجميلة وبالتقاليد التى هى صلة الأمة بتراثها وتعمل على إضمحلال الشعور بالشخصية الوطنية.

٢- عدوان اقتصادى وسياسى يتمثل فى تصدير الاستثمارات الاحتكارية التى لم يقتصر دورها فقط على نهب الثروات الوطنية بل تكون ركائز تتجمع حولها قوى الثورة المضادة فى المجتمع وتشكل عبئا سياسيا على انطلاق الأمة فى مسيرتها التحررية التقدمية، كذلك تكون مسالك تعمل منها أجهزة المخابرات المعادية وشرايين تغذى كل المؤسسات الثقافية أو السياسية الرجعية وراء كل الثورات المضادة أو محاولات الانقلاب المضادة فى بلدان العالم الثالث.

٣- عدوان عسكرى وهو يأتى تتويجا لكل أشكال العدوان وأن العدو وأشكال نشاطه العدوانى وأهدافه من هذا النشاط شرط لكى تمارس الثقافة دورها فى المعركة ولكن الوقوف عند ذلك يعنى أن تقتصر مهمة الثقافة على التصدى لخطط العدو وأشكال نشاطه العدوانى، ذلك وحده يعتبر موقفا دفاعيا والموقف الدفاعى ليس هو طريق النصر، يجب أن تكون المبادرة فى أيدينا على كل الجبهات بما فى ذلك الجبهة الثقافية.

نداء إلى المثقفين فى العالم

إن الصوت الذى يرتفع من المؤتمر الأول للثقافة الجماهيرية معبرا عن المثقفين العرب فى كل موقع ومعبرا عن الشعب المصرى بمختلف جماهيره، يتجه إلى المثقفين فى العالم كله على اختلاف أوطانهم مؤمنا بأن المثقفين هم ضمير هذا العالم وهم ميزان الحضارة

فى عصرنا وهم القوة المؤثرة صوت الحق والخير والعدل.

إن الشعوب فى هذه المنطقة البالغة الحساسية من العالم تواجه الآن عدوانا نازياً على القيم الإنسانية والحضارية التى تهدر قيمة الإنسان والبشرية بالعدوان عليها وامتهانها.

وإن هذه المنطقة التى تقع فى تاريخ البشرية موقع موطن الحضارات تتعرض الآن لأخطار جسيمة يتجاوز تهديدها هذه المنطقة ويمتد إلى تهديد السلم العالمى بل تهديد كل إنسان فى العالم ومن أجل حماية حضارة الإنسان وحقه فى العدل والحرية والحياة الآمنة الجديرة بحياة الإنسان يرتفع هذه الصوت فى المؤتمر الأول للعمل الثقافى.

يهيب بكم أنتم يا ضمير العالم وميزان حضارته أن تقفوا مع المعتدى عليهم شعوبا وأوطانا وقيما إنسانية وحضارية. إنه يهيب بكم أن تتأملوا حقيقة هذا العدوان الوحشى القائم على فلسفة النازية وبغيها وعدائها لكل القيم الإنسانية والحضارية.

وإننا واثقون من أن تضامنكم مع هذه القيم هو تأكيد عميق لقضية العرب المعتدى عليهم، كما أننا واثقون من أنكم تستطيعون أن تشاركوا فى دفع العدوان ودحره لأنكم ضد كل ما يمثله القهر والعدوان والنازية من عدوان على الحضارة والثقافة.

أولاد الأرض وكابتن غزالى

انطلقت من بين الأطلال كلمات فرقة أولاد الأرض تأليف كابتن غزالى تحمل الذكرى وتمجد البطولة وتبعث الأمل وتمارس النقد وتستحث الهمة وتصر على الثأر وتحقيق النصر.

لم يكن أولاد الأرض من محترفى الغناء أو أدعياء الفن ولكنهم نبت من أرض السويس جمعهم خندق المقاومة ووحدت بينهم رفقة السلاح ووحدة الهدف وانطلقوا يعبرون عما فى نفوسهم من سخط وغضب وأمل.

وكان الكابتن غزالى وهذا هو اسم الشهرة حيث إن اسمه محمد أحمد غزالى واسم شهرته «كابتن غزالى» وهو شاعر ورسام وخطاط ومثقف تراه دائم الجلوس بين كتبه ومكتبته والتى لم تنقص رغم الاستعارات التى لا ترد، لم يحصل على درجات علمية جامعية، ولكنه حصل بقراءاته وتثقيفه لذاته على مساحة عريضة من الثقافة بلغت من العمق والإتساع ما يقفز به إلى مصاف المبدعين، وله أبحاثه فى الفنون الشعبية وآلة السمسمية التى تتميز بها منطقة القناة.

جمع الكابتن غزالى رفاقه من أفراد المقاومة فى بدروم عمارة اتخذوه خندقا ومركزا لتجمعهم وإقامتهم وفى الأمسيات التى كانت تمر ثقيلة أخذ الكابتن غزالى ينفعل بكلمات

وأهازيج وأشعار على نغمات السمسمية التى كانت تصاحب أمسياتهم وخرجت كلمات على نغمات تلقائية بمصاحبة الطبلة والملعقتين المقلوبتين لضبط الإيقاع التى تشتهر بهما فرق السمسمية فى منطقة قناة السويس، كانت الكلمات تعبر عن الأحداث والمراحل المعاصرة ومن هنا كانت إيجابياتها وفاعليتها فهى لم تكن فى الحقيقة كلمات ولكنها كانت طلقات انطلقت من صدور غاضبة وعيون ساهرة، وكانت الحناجر ترسل قصفا للاستكانة والخنوع وتدك معاقل التردد والسفسطائية وتزرع الأمل فى العودة وفى النصر، إنها صورة شعب محارب مرت به هزيمة عابرة فوقف أمامها سدا منيعا يعزز المقاومة المعنوية والنفسية لتستعيد الأمة ثقتها بنفسها وبقواها الذاتية على صنع النصر الذى كان يبدو حلما حتى تحقق فى أكتوبر ١٩٧٣.

ولعل هذه الروح التى بعثت من هؤلاء البسطاء بهذه الكلمات قد أينعت عملا جديدا نما بين الانقاض وترعرع بين الخنادق ونجح هذا الطرح الجديد على مستوى المدينة وبعث منها إلى جميع ربوع مصر ونجوعها، وتلقفته جماهير المهجرين المتطلعة إلى العودة وأخذت تردد ألحانها فى القرى وفى المدن وبدأت جماهير مصر تسمع لأول مرة إلى كلمات بسيطة بنغمة تعبر عن الواقع وتبشر بالأمل فرددت مصر كلها أغانى أولاد الأرض وأصبح الكابتن غزالى هو الأب الروحى لهذه الفرق وهكذا كانت هذه الكلمات إسهاما فى الصمود والمقاومة وتعزيز الروح القتالية فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣.

وإن كانت الكلمات تحمل البسمة والشعلة فى وقت كادت أن تعز فيه البسمة وتخبو الشعلة، فإن أبناء السويس من الشعراء والأدباء ظلوا يحملون راية المقاومة فى أدبهم وفى نثرهم وشعرهم، كما استطاعوا أن يبلوروا أدبا للمقاومة كان معينا ومنبعا استقى منه أولاد الأرض وجماهير شعب السويس.

وتمثلت هذه الكتيبة من الأدباء والشعراء والفنانين فى الأديب محمد الراوى الذى اتسمت أدبياته وقصصه بسمات المقاومة والانتماء، وكامل عيد شاعر السويس الذى عبر بطلقات شعره عن التضحية والوفاء والولاء للوطن، وكذلك الشاعر عطية عليان جماهيرى الإلقاء وأحد شعراء المقاومة المتميزين، وكذلك الشاعر عبد العزيز عبد الظاهر، كما حمل لواء الصحافة فى ذلك الوقت حسين العشى رئيس تحرير «الوعى» التى كانت تنتظرها وتتلقفها جماهير المهجرين على مستوى الجمهورية، ولعبت «الوعى» دورا أساسيا وهاما فى ربط المهجرين بوطنهم والعمل على طرح مشاكلهم ومتابعة حلها بالإضافة إلى ما بثته فى الجماهير من أمل وثقة وتبشير بيوم العودة بعد النصر.

الصمود

كلمات: كابتن غزالى

مهما كان الصبر مر
مر.. مر
أنا صامد
ومهما طال الوقت
ومر ومر
ح افضل صامد
مش راح أكل
ولا أمل
لجل بلادى
لجل ولادى
ولجل الشمس م تعرف بابى
أدوس ع الصعب
وازرع رعب
فى قلب عدوى
واحنِّى بدمه إيدى وكعابى

ح اخد تارى
وامحى عارى
واطهر أرض سينا وكنالى
بعزمى وحسمى
وحبى لوطنى
أفنى عدوى
دينى وآمالى
وعشان بلدى
وبسمة ولدى
ومجد عروبتى
يرجع تانى
أضحى بعمرى
وأهز الدنيا
وأجيب النصر
بدق ببانى
...
مهما كان الصبر
مر مر
أنا صامد

غنى يا سمسميه

شعر: كابتن غزالى

غنى يا سمسميه
لرصاص البندقيه
ولكل إيد قويه -
حاضنه زنودها المدافع
...
غنى للمدافع
واللى وراها بيدافع
ووصى عبد الشافع
يضرب فى الطلقه ميه
...
غنى للجنود
سمير وعلى ومسعود
وغباشى لجل يعود
وفى ايده النصر ليه

غنى لكل عامل

فى الغيط والمعامل
بيأدى واجبه كامل
واديله ورده هديه

غنى لكل دارس
فى الجامعة والمدارس
لمجد بلاده حارس
من غدر الصهيونيه

غنى لفلاحينا
اللى بتشقى وتديلنا
وتشوف الويل عشانا
م الصبح للفجريه

غنى لكل حارة
فيها م الحرب خساره
إصابه ولا إشاره
علامات النصر جايه

غنى للبيوت..
اللى خانقها السكوت
وقولى لها شدة تفوت
وح تشبع ملاغيه

غنى لكل مهاجر
فى الريف والبنادر
فى معسكر أو فى شادر
وقوليله على عنيه

غنى ودقى الجلاجل
مطرح ضرب القنابل
راح تطرح السنابل
ويصبح خيرها ليه

غنى يا سمسميه
للشبان السويسيه
واخواتهم فى اسماعيلية
أولاد مصر وحراسها

ومن أجل أن يعيش الأمل فى نفوس المواطنين واستنهاض الهمم كانت هذه الكلمات التى بلغ فيها الكابتن غزالى قمة تألقه بكلمات بسيطة وبليغة هى أبلغ من كل الكلمات وبلغ فيها قمة التصوير والتعبير الفنى فى قصيدته فات الكتير يا بلدنا .

فات الكتير يا بلدنا

فات الكتير يا بلدنا
م بقاش إلا القليل
إحنا ولادك يا مصر
وعنيكى السهرانين
نصرك أصبح نشيدنا
واللى يعادينا مين
فات الكتير يا بلدنا
....
الهمة يا شبابنا
القوة يا جنودنا
ح نشق الليل بسلاحنا
نجلب فجرنا بكفاحنا
ونجيب النصر هدية لمصر
ونكتب عليه أسامينا
...
بينا ياللا بينا

نحرر أراضينا
وعضم اخواتنا
نلموا... نلموا
نسنوا... نسنوا
ونعمل منه مدافع
وندافع
ونجيب النصر هديه لمصر
وتحكى الدنيا علينا
...
بكره يا بلدنا
ح نعوض اللى فاتنا
ح نكتر المصانع
ونخضر المزارع
ونجيب النصر.. هديه لمصر
تسعد به أجيالنا
...
يا رب اشهد علينا
مصر يا ضى عنينا
نفديها بكل أرواحنا
نصنع بشبابنا صباحها
ونجيب النصر هدية لمصر
ونرجع مجد بلدنا
...
فات الكتير يا بلدنا
ما بقاش إلا القليل

على فين «المثقفين»

على فين.. على فين.. على فين
يا جماعة يا مثقفين
علامكم صوته فين
دى بلدنا طحنها البين
شايفين بعينكو وخرستوا
أقلامكم راحت فين
...
يا سيد المثقفين
استنى حبتين
ح اقولك كلمتين
اسمعهم وانت ماشى
أخوك حسين وغباشى
حسين طخوه فى ضهره
وغباشى راح ولا جاشى
دبحوا الأمان فى بلدنا
وانت شايف وماشى

على فين؟

...

لميت ورقك وح تهرب
وسايب بلدك تتكهرب
مع إنك كنت يوماتى
تزعق بالصوت وتهاتى
دى بلدنا واحنا ولادها
كلنا ع الباب خطابها
وكتبت أساطير فى ترابها
ولما لمحت البين
نسيت غباشى وحسين
حسين طخوه فى ضهره
وغباشى راح ولا جاشى
دبحوا الأمانى فى بلدنا
وانت شايف وماشى
على فين؟

...

على فين والعار فى رقبتك
يا خاين بلدك وكتابتك
تهرب م العار على فين
دى بلدنا طحنها البين
شايفين بعنيكو وخرستوا
أقلامكم راحت فين
على فين.. على فين.. على فين؟

الشاعر كامل عيد رمضان

كامل عيد هو أحد شعراء السويس أسهم بشعره فى دعم صمود شعب المدينة وكانت كلماته تبعث الأمل وتبث الثقة وتؤكد أصالة الشعب وكانت الأوبريت الرائعة التى قدمها بعنوان «شعب لن يموت» جديرة بالحصول على المركز الأول فى مسابقة الثقافة الجماهيرية وكذلك أوبريت «السويس حبيبتى» عن نصر أكتوبر والتى سجلها التليفزيون، وكامل عيد من أبرز شعراء المقاومة بكلماته التى تهدم حصون الخوف والاستكانة وتستنفر روح المقاومة والنضال ورفض الأمر الواقع وتمجيد البطولة والفداء والتضحية فى سبيل تحرير الأرض، ومن كلماته فى أوبريت «السويس حبيبتى» على لسان جندى العبور:

راح خاف السما تنزل على الأرض
والموت موجود قبل ما أكون
ولبعد ما أموت
الموت بصحيح لو أرضى بذل
تدهسنى الناس
لما ابقى خيال واسير فى ركاب العالم ظل
لو اشوف الراية غريبة على أرض وأطاطى الراس
الموت فى العالم دلوقت شىء اسمه الخوف
وأنا عمرى ما خفت

من ست سنين وانا مستنظر
من ست سنين وانا مستنظر
فى اللحظة الجد نزلت
مع كل الصحبة نزلت
وكأن كنا لنا مراية
فى الميه شفت صورتنا
وإدينا رافعة الراية
وعيونا بتحضن فى عيون بعض
دفعتنى الروح بالروح جدفت
وصلنا الشط
م الفرحة حضنت الأرض
حنيت بترابها إيديا عزفت
يا حبيبتى يا مصر يا حبيبتى يا مصر

ومن كلماته أيضا التى غناها المطرب محمد قنديل
ريس البحرية

يا ريس البحرية يا مصرى
يا بو العرق مصرى
يا بو الكفاح عربى
هات الدراع
هات الدراع هات
ده بحرنا بحرنا
وابن البلد صياد
قول للقمر
قول للقمر لو فات
إيد للبنا
وإيد ع الزناد تصطاد
حنعدى ونحارب
نفرش رمال الصحرا بالحنة

ونحنى قلب أم الشهيد غنوة
الغنوة دى كفاحى
الغنوة دى سلاحى
ومدفعى الصاحى على الكنال سهران
يا سهرانين لجل ما تعود كل العباد
يا حلفانين ما تناموا
دوسوا الزناد
أدى الكلام المصرى
كل الكفاح عربى
بحر القنال بحرى، واحنا الشراع

من مفكرة راجل سويسى

الكلمة لبلادى
والصبر جلادى
الكلمة لبلادى فى بحر الصمت غنيتها
شالت حملى وغنت لى
بكيف كيفى وكيف كيفها
وقال:وا زمان
«ده يا ما الصبر بيهون أمور ياما»
شربت الصبر من نبعه
لقيت الصبر جلادى فى عصرى انا
عرفت الصبر زنزانه
ووخدانا لضلام جوفها
وانا دمعى كده صبرى
مصعب حمول الصبر بعد الصبر يا بلدى
مصعب يكون الصمت طبع الحب فى الدنيا
مصعب كلام الخلق جوه الحلق عن يونيه!!

* * *

م المينا للكنال لآخر الأربعين

بيوت صفوف وطوف
يفط ع الدكاكين
لو تنطق الحروف طعم الكلام حزين!!
ألف كل شارع حاضنه عنيا البيوت
وألف كل حاره واتصنت ع السكوت
اسمع دقة قلبيى فى الصمت والبارود
وصوت لطيف صبيه بيعلا ألف صوت
«الدم ع الحيطان والحزن فى القلوب»
لكن مع كل دانه فيها إصرار جنود
باشعر إن ابتدينا نكتب سطر ف نشيد
يتردد في الضماير وتغنيه الشعوب

* * *

حمامى يا حمامى
يا مهاجر فى البلاد
طمنى يا حمامى عن بسمة الولاد
وازاى رضعوا النسايم فى زحمة المداين
وكيف حال البنات؟
لسه شعورهم ضفاير واللا فات الميعاد؟

* * *

يا كلمة الحقيقه
يا سكة فـ كل ضيقه
ليه لما تبقى خضره
يسقوكى الود سخره
وانتى الحره المضيئه؟!
دورى يا كلمة دورى
وخضرى بذورى
لسه الأيام بريئه
لسه الأيام بريئه

٥ يونيه ١٩٧٠

أذكركم فى عيد نصر السويس

مقالوش بكام العمر فى عصر المزاد
ولا قبضوا عربون الثمن
مقالوش لمين الشهره ولمين الإيراد
أو مين حيكسب فى النغم
مقالوش لمين أو ليه ولا فكروا
مين اللى بكره يطل ع العيله
ويعدل الميله
ويرعى الطفل ويصون البنات
مقالوش ولا اتفقوا
لكنما اتقابلوا
طريقهم مصر يا مصر الهوى يا مصر
مصر العرق والخير والغلة فى الطواحين
مصر الربيع والنيل، الغيبة والراجعين،
مصر اللى داسها القهر داست قهرها وعدت
مصر التروس والفاس، بالناس ولا كلت

مصر النهار بتقول، والكلمة للطالعين.
مصر أيوب العفى
وست الدار وجرجس وأحمد الجندى
ومصر النصر فى الميادين
مقالوش ولا اتناقشوا... فى حيث ولأن
أو فى البند حين يسمح!!
مقالوش ولا اتجادلوا
فى مين حيعيش، ومين حيموت
ومين حيبان فى الصوره ع المسرح
مقالوش، غير إن الشمس غيمانه غيامه قهر
ولا دارت فى أفكارهم
«غير إن اليد لو كلت دى تبقى فى الرجال عيبه
ووصمة عصر»
كان آخر كلمة فى لسانهم عمار يا مصر
بتهتف للنسيم صابح وتهتف بالغنا تسابيح
بتهتف للكلام واضح وسابق الريح
بتهتف للناسات فى الحب، لما تحب وتقدر
وتجنى من غيطان الحكمة زواده
عن الإنسان فى لحظة صدق كيف يقدر
يسطر بالعزيمة تاريخ
باقولها لكم وهمس القلب قال أكتر
وباكتبها كلام يا سويس كتبها بدمهم ناسى
كتبها الشهدا فى أكتوبر باذكركم ومش ناسى
ده أنا صحبى اللى ضحا بالعمر واداني
ده أنا المكتوب على جبينى هنا بدمه
أعيش تانى
أدوق من خيرها واتمتع
وألم نسيمها فى أحضانى

وأبدر حبى فى الرملة شموسها الحرة تملانى
بلا دمعة ودون أحزان
أنا المكتوب على قلمى هنا باملى، حكاية العمر أحكيها
حكاها الدم من قبلى نسخها الدان
كتبها الناس بضوافرهم، على الأسفلت والجدران
كتبها عليوه وأبو خاطر وعم سويلم البقال أبو العيال
وناس مجهولة أساميهم فى دنيتكم، كما فى دفتر الأحوال
وحين يبقى الشرف غالى يهون الموت
وحين ننسى ونتواكل، ما نستاهل يا مصر القوت
نسيتم واللا أذكركم
بابو هاشم وحامد وإبراهيم سليمان
بكل الشهدا فى بلادى أذكركم
لكل الشهدا يا بلادى أطاطى الراس
واحنى الهامة للراية
فى أعيادكم باذكركم وأقول بحماس
أحب الغنوة فرحانة وذات معنى
وأحب الذكرى تجمعنا ضمير حساس
أحب الناس
وناس تنسى فى ذكرى نصرها الشهدا
متبقاش ناس!!
وعيدهم مهما كان زينة، ميبقاش عيد!!

متحف السويس القومى

فرضت الأحداث التى مرت بالسويس والتى تحدثت عنها الصفحات السابقة التفكير فى تسجيل التجارب والمواقف والبطولات التى قدمتها جماهير المدينة، ولم يكن نصر أكتوبر أو أحداث ٢٤ أكتوبر قد وقعت بعد.

لقد ترجم هذا الفكر المبكر فى مذكرة بتاريخ ١٩٧٠/٨/٢٠ تقدمت بها لجنة الثقافة والتوجيه القومى بمجلس المحافظة إلى رئيس المجلس تطلب فيها تطوير فكرة المعرض

الذى كان يقام عن آثار العدوان إلى وضع الأساس لتكوين وإنشاء متحف السويس القومى، وأشارت المذكرة إلى بعض العناصر التى يجب أن يحتويها المتحف.

ولقد حدث أن سافر محافظ السويس حامد محمود إلى الاتحاد السوفيتى وهناك زار مع الوفد المرافق له متحف ستالينجراد.

وكان لهذه الزيارة أثر كبير فى تفكير المحافظ بالنسبة لإنشاء متحف السويس وتطوير الفكرة على ضوء ما رآه وشاهده.

وفى أول جلسة بعد عودته أصدر القرار رقم ١٢٦ لسنة ١٩٧٠ بتشكيل لجنة فنية تختص بوضع خطة عامة لإنشاء المتحف تخليدا لصمود وبطولة شعب السويس مع توليها تنفيذ الخطة ومتابعتها وذلك على ضوء ما جاء بالاقتراح المقدم من لجنة الثقافة والتوجيه القومى.

ولم يكتف المحافظ بإصدار هذا القرار بل طلب من المجلس أن يكون عمل هذه اللجنة تحت إشرافه المباشر لتذليل أى عقبة قد تعترض التنفيذ.

ولكن يشاء القدر أن يقع اختيار القيادة السياسية على حامد محمود ليشغل منصب محافظ الجيزة ويترك السويس قبل أن يخرج المشروع إلى حيز التنفيذ.

ويتعاقب على السويس محافظون آخرون ويتوالى تقديم المذكرات لهم لبعث المشروع من جديد خاصة بعد أحداث الرابع والعشرين من أكتوبر وتجاربه وبطولاته مما يثرى المتحف ويعزز إمكاناته، خاصة أن بعض شهود الأحداث وصناعها ما زالوا أحياء يرزقون وهناك من أبناء المدينة من لديهم من الوثائق والمتعلقات والصور ما يسهم فى تعزيز إمكانات المتحف بالإضافة إلى صور الشهداء ومتعلقاتهم وتاريخهم وما خلفته المعارك من أسلحة العدو ومعداته.

وتحمس بعض المحافظين وخاطبوا وزارة الثقافة التى رحبت بالفكرة وأبدت استعدادها للمساهمة، وآخرون اكتفوا بقولهم إن هناك قطعة أرض قد خصصت للمتحف ولكن لم تخصص له ميزانية أوتوضع له دراسة، علما بأن هذا المشروع يتطلب إمكانات وجهود رسمية ومشاركة شعبية لأن شعب السويس هو الأدرى بتاريخه وأحداث مدينته.

ويثار الموضوع بين حين وآخر مع كل محافظ وأخيرا تقرر أن يوقع عقد إنشائه فى عهد المحافظ محمد سيف الدين جلال فى ديسمبر عام ٢٠٠٠، وقد بدأ فى إنشاء المتحف على طريق بور توفيق ولكنه متحف للآثار الفرعونية فقط!!!

ملاحق الفصل

مذكرة مقدمة إلى:

السيد الأستاذ: محافظ السويس...

تعتبر المرحلة التى تمر بها محافظة السويس هى إحدى المراحل الخصبة من تاريخنا المعاصر وقد وقفت السويس بقياداتها وشعبها موقفا بطوليا فى مواجهة العدوان منذ أحداث الخامس من يونيو ١٩٦٧ وما تلاها من تحمل القيادة المحلية مسئولية العمل على كافة الجهات حتى إعادة بناء قواتنا المسلحة ومباشرتها لمسئولياتها، وحيث إن المحافظة الآن بصدد إعادة تنظيم معرض السويس فى المعركة، تتقدم لجنة الثقافة والتوجيه القومى بالمقترحات الآتية:

أولا: تطوير فكرة المعرض إلى وضع الأساس لتكوين متحف السويس الذى سيقام بعد العودة تخليدا لصمود وبطولة الشعب فى مواجهة العدوان.

ثانيا: أن يضم المتحف جميع الأعمال الفنية التى يحتويها المعرض والتى تثبت قيمتها الفنية سواء من إنتاج فنانى السويس أو الفنانين الزائرين.

ثالثا: تجميع الصحف التى نشرت أنباء الاعتداءات والتحقيقات الصحفية المصورة عن السويس.

رابعا: أن يضم المتحف مكتبة شرائطية للتسجيلات الصوتية التى تمت للوفود الصحفية وزوار المدينة وبعض جلسات مجلس المحافظة كما يضم المتحف:

أ- الأغانى والمسرحيات التى تعكس حياة السويس فى مواجهة العدوان.

ب- التسجيلات الصوتية عن الاشتباكات والاعتداءات على السويس.

د- الأفلام والكتب والمذكرات التى نشرت عن السويس.

ج- صور الشهداء ومتعلقاتهم ونبذة عن تاريخ حياتهم.

من أجل تحقيق هذا الغرض تقترح اللجنة تشكيل لجنة فنية تضع خطة عامة لتحقيق هذا المشروع تمثل فيها الجهات التالية:

١- لجنة الثقافة والتوجيه القومى بمجلس المحافظة.

٢- العلاقات العامة بالمحافظة.

٣- الثقافة الجماهيرية.

٤- مركز الإعلام بالسويس.

٥- أعضاء مختارون تتعلق اختصاصاتهم بالموضوع.

رئيس لجنة الثقافة والتوجيه القومى

بمجلس المحافظة

١٩٧٠/٨/٢٠.

حامد محمد حسب

قرار رقم «١٣٦» لسنة ١٩٧٠

محافظ السويس:

بعد الاطلاع على القانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٦٠ بشأن نظام الإدارة المحلية والقوانين المعدلة والمكملة له ولائحته التنفيذية.

وعلى القرار الجمهورى رقم ١٥٩٣ لسنة ١٩٦٠ والقوانين المعدلة والمكملة له.

وعلى قرار مجلس المحافظة بجلسة ١٩٧٠/٨/١٨ بالموافقة على ما جاء بالاقتراح المقدم من لجنة الثقافة والتوجيه القومى.

وعلى كتاب السيد أمين لجنة المحافظة بترشيح السيد: أحمد عبد الحافظ أحمد ممثلا للاتحاد الاشتراكى.

وبناء على التطورات التى تمر بها المحافظة، قرر:

١- تشكيل لجنة فنية من السادة الموضحة أسماؤهم:

أ- السيد: حامد محمد حسب رئيس لجنة الثقافة والتوجيه القومى بالمجلس رئيسا.

ب- السيد: يحيى عواد سلامة مدير مركز الإعلام عضوا.

جـ- السيد: أحمد عبد الحافظ أحمد ممثلا للإتحاد الاشتراكى.

د- السيد: سيد توفيق قناوى مدير العلاقات العامة بالمحافظة عضوا. على أن تضم اللجنة ما تراه من أعضاء مختارين من المهتمين بالموضوع.

٢- تختص اللجنة بوضع خطة عامة لإنشاء متحف السويس القومى تخليدا لصمود بطولة الشعب مع توليها تنفيذ الخطة ومتابعتها وذلك على ضوء ما جاء بالاقتراح المقدم من لجنة الثقافة والتوجيه القومى.

٣- ينفذ فور صدوره.

تحريرا فى ١٩٧٠/٨/٢٠

محافظ السويس

«حامد محمود»

توصيات المؤتمر الأول للثقافة الجماهيرية

ولكى تكون الثقافة فى موقف هجومى فإنها إلى جانب تصديها لنشاطات العدو وفضحها يجب أن تعمل على الجبهات التالية:

١- تعميق الشعور بالشخصية الوطنية والقومية وذلك بما يلى:

أ- بعث كل ما هو إيجابى فى تراثنا الوطنى «المصرى والقومى العربى» وتقديم المواد من هذا التراث من خلال كل أجهزة الاتصال الجماهيرى (المسرح السينما، الراديو والتليفزيون، الفانوس السحرى، مسرح العرائس والأراجوز، الرقص الشعبى- الموال والغناء وغيرها).

ب- تعميق الوعى بما أنجزه شعبنا خلال مسيرته الثورية من إصلاح زراعى وتنمية صناعية وخدمات تعليمية واجتماعية وصحية أصبحت متاحة لكل المواطنين.

إن تعميق الوعى بهذه المنجزات وحمايتها وما يعنيه «النصر فى هذه المعركة» من فتح آفاق أرحب لعملية البناء يجب أن يكون المضمون الفكرى لمعركتنا الراهنة.

جـ- تقديم صورة من بطولاتنا الراهنة سواء من جانب قواتنا المسلحة أو شعبنا مستعينين أيضا بكل وسائل الاتصال الجماهيرى.

٢- تعميق روح التصميم على القتال وعلى تحقيق النصر وذلك يتطلب:

أ-دعم التفاف جماهير الأمة حول قيادتها السياسية وقواتها المسلحة.

ب- نشر الثقافة العسكرية بين الجماهير.

جـ- تعميق الالتحام بين الشعب وقواته المسلحة.

٣- تعميق الشعور بالمسئولية إزاء المعركة وذلك بنشر الوعى بضرورة كتم الأسرار وتجنب الثرثرة والمباهاة بما قد يقع تحت يد المرء من معلومات.

٤- على المستوى الإنتاجى تعميق الوعى بأن المعركة هى معركة مشتركة بين البندقية والآلة والفأس، إننا نواجه بحرب اقتصادية تتمثل فى محاولة ضرب مواقعنا الإنتاجية أو فى محاولة فرض الحصار علينا.

إن تعميق الوعى بدور الاقتصاد الوطنى فى المعركة واضعين فى الاعتبار مشاكل اقتصادية كثيرة ستطرأ مع نمو المعركة يتطلب نشر الوعى باقتصاد الحرب وبروح الاعتماد على النفس وتنمية الموارد والكفاءات الإنتاجية الوطنية.

٥- على المستوى النفسى: إن العدو يشن حربا نفسية والتصدى لهذه الحرب النفسية واجب من واجبات الخدمات الثقافية، إن تنشيط الحماس للمعركة وتعميق الوعى بها والتعريف بمدى قوتنا وحقيقة قضيتنا العادلة وبمدى قوة العدو وقضيته غير العادلة يجعلنا نقف فى الحرب النفسية فى موقف الهجوم.

٦- تعميق روح التضامن والوحدة بين كل قوى شعبنا، بين الشعب وقواته المسلحة، بين شعبنا والشعوب العربية، بين نضالنا ونضال الثورة الفلسطينية، وبين نضال الأمة العربية ونضال الشعوب فى كل مكان من العالم.

إن ذلك يعمق الوعى بأن المعركة الثورية فى العالم هى التى تقف موقف الهجوم وأن العدوان الإمبريالى العنصرى الرجعى هو الذى يقف موقف الدفاع وذلك بخلق الأمل فى النصر والأمل دائما مصدر للطاقات بلا حدود، وتنفيذا لهذه الخطة وضمانا لمتابعتها توصى لجنة الثقافة والمعركة بالمؤتمر الأول للثقافة الجماهيرية بما يلى:

أولا: إنشاء جهاز للثقافة والمعركة داخل إطار إدارة الثقافة الجماهيرية يخطط ويعمل ويتابع على المستويات الثلاثة التالية:

أ- التنسيق مع إدارة التوجيه المعنوى فيما يتعلق بالخدمة الثقافية للقوات المسلحة.

ب- التنسيق مع الأجهزة السياسية والتنفيذية فيما يتعلق بتقديم الخدمة الثقافية للمهجرين.

جـ- التنسيق مع كل الأجهزة المعنية سياسية وتنفيذية وخاصة لجان المواطنين من أجل المعركة فيما يتعلق بالخدمات الثقافية الخاصة بالمعركة لجماهير الشعب.

ثانيا: فتح باب التطوع لتشكيل كتيبة من الكتاب والفنانين والصحفيين والمثقفين عامة للعمل فى خدمة المعركة وفق ما تتطلبه خطة جهاز المعركة والثقافة وإدارة التوجيه المعنوى للقوات المسلحة.

ثالثا: تبين ملاحظات ممثلى إدارة التوجيه المعنوى أن هناك حاجة شديدة إلى المزيد من الخدمات الصحفية والإعلامية الخاصة بالقوات المسلحة وخاصة فى الجبهة حيث إن عدد الصحف الذى يصل غير كاف كذلك لنقص أجهزة الراديو المتاحة لدى الجنود، لذلك توصى لجنة الثقافة والمعركة:

أ- إصدار مجلة أسبوعية تلخص كل ما جاء بالصحف والمجلات فيما يتعلق بالوطن وبالوطن العربى وبالعالم عامة مع زيادة عدد الصحف التى ترسل إلى الجبهة.

ب- أن تساعد كتيبة الكتاب والفنانين والصحفيين فى إنشاء مجلات ميدانية للوحدات المختلفة.

جـ- حيث إن جهاز الراديو الترانزستور هو وسيلة إعلامية وترفيهية هامة وملحة بالنسبة للجندى لذلك توصى اللجنة كافة الهيئات والمنظمات الجماهيرية أن تعمل على تسهيل حصول قواتنا المسلحة على أكبر عدد من أجهزة الترانزستور وخاصة للقوات بالمناطق المنعزلة.

د- دعم البرامج الموجهة فى إذاعتنا للقوات المسلحة.

هـ- العناية بإصدار أشكال خاصة من الكتب التى تتناول الثقافة العسكرية وأدبيات المعركة سواء من حيث البساطة فى المضمون والإخراج ومن حيث التشويق بتكثيف استخدام الصور والرسوم والكاريكاتير، وحيث الصحف والمجلات ودور النشر على الإسهام فى هذا المجال سواء فيما يصدر عنها أو فى تسهيلات تقدمها.

و- أن يساهم جهاز الثقافة والمعركة بالثقافة الجماهيرية مع إدارة التوجيه المعنوى فى إنشاء مكتبات الوحدات فى المواقع المختلفة للقوات المسلحة.

رابعًا: لقد أفرزت المعركة تجارب ثقافية جديدة وبناءة نبعت من جو المعركة مثل سينما الخندق ومسرح الخندق والفرق الغنائية والشعبية.

وتوصى اللجنة فى هذا المجال بالآتى:

أ- ضرورة الاهتمام بنوعية الأفلام المعروضة وذلك بتوفير الأفلام النضالية التى تحكى تجارب الشعوب المناضلة التى تضع هذا الفيلم فى مرتبة الفيلم التعليمى.

ب- ضرورة القيام بإنتاج الأفلام التسجيلية التى تسجل بطولات الشعب وجنود القوات

المسلحة خلال المعارك بين قواتنا وقوات العدو.

جـ- الاهتمام بنوعية الأفلام الترفيهية التى تقدم لجماهير الجبهة والقوات المسلحة.

د- الاهتمام بإيجاد شكل مناسب لمسرح الخندق حيث يمكن تقديم العروض المسرحية سواء فى الخندق أو فى مواقع الجنود فى الجبهة.

خامسا: إن عشرات الآلاف من أبناء الوطن على خط النار قد تركوا كل ما هو عزيز عليهم الدار والعمل والأرض وارتضوا أن يتحملوا مشقة المعيشة فى مواقع التهجير فى بيئة جديدة عليهم وذلك لتسهيل مهمة قواتنا فى مواجهتنا للعدو.

سادسا: إن هؤلاء المواطنين الذين قدموا هذه التضحيات المجيدة يستحقون من أجهزة الثقافة الجماهيرية التحرك بشكل دورى بين مواقع المهجرين وتجمعاتهم لتقديم الخدمات الثقافية مع العناية بتجميع وتنشيط الفرق الفنية والمسرحية وغيرها من أشكال الغزو الثقافى فى صورة المختلفة سواء كانت سينمائية أو مطبوعات وأغانى وموسيقى مسجلة مع تشجيع كل أشكال التعاون الثقافى البناء مع الهيئات الثقافية العمالية الصديقة.

سابعا: تقديم المواد التى تعمق الشعور بالشخصية الوطنية والقومية والعربية وتبعث التراث الوطنى فى كل أشكال الخدمات الثقافية التى تقدم للجماهير مع العناية بالسير التى تبلور القيم النضالية والحضارية التى استهدفها نضالنا على مر العصور.

ثامنا: تنشيط المحاضرات والندوات وغيرها من أشكال الخدمات الثقافية التى تعمق روح التصميم على القتال والنصر وغرس تعميق الكراهية للعدو مع التأكيد على العمل التطوعى فى هذا المجال.

تاسعا: احتضان وتشجيع الطاقات الخلاقة المبدعة فى مجالات النشاطات الفنية والأدبية وتقديم التسهيلات والإمكانيات لها للإسهام فى الخدمات الثقافية المختلفة.

عاشرا: توجيه نداء من المثقفين المصريين المجتمعين فى المؤتمر الأول للثقافة الجماهيرية لمثقفى العالم للوقوف مع الشعب العربى فى نضاله ضد العدوان الصهيونى الإمبريالى.

حادى عشر: تشكيل لجنة من المؤتمر لمتابعة تنفيذ قراراته والتأكد من وضعها موضع التنفيذ.

هوامش الفصل الثانى

(١) طارق الحريرى مجلة النصر العدد ٧١٢ أكتوبر ١٩٩٨.

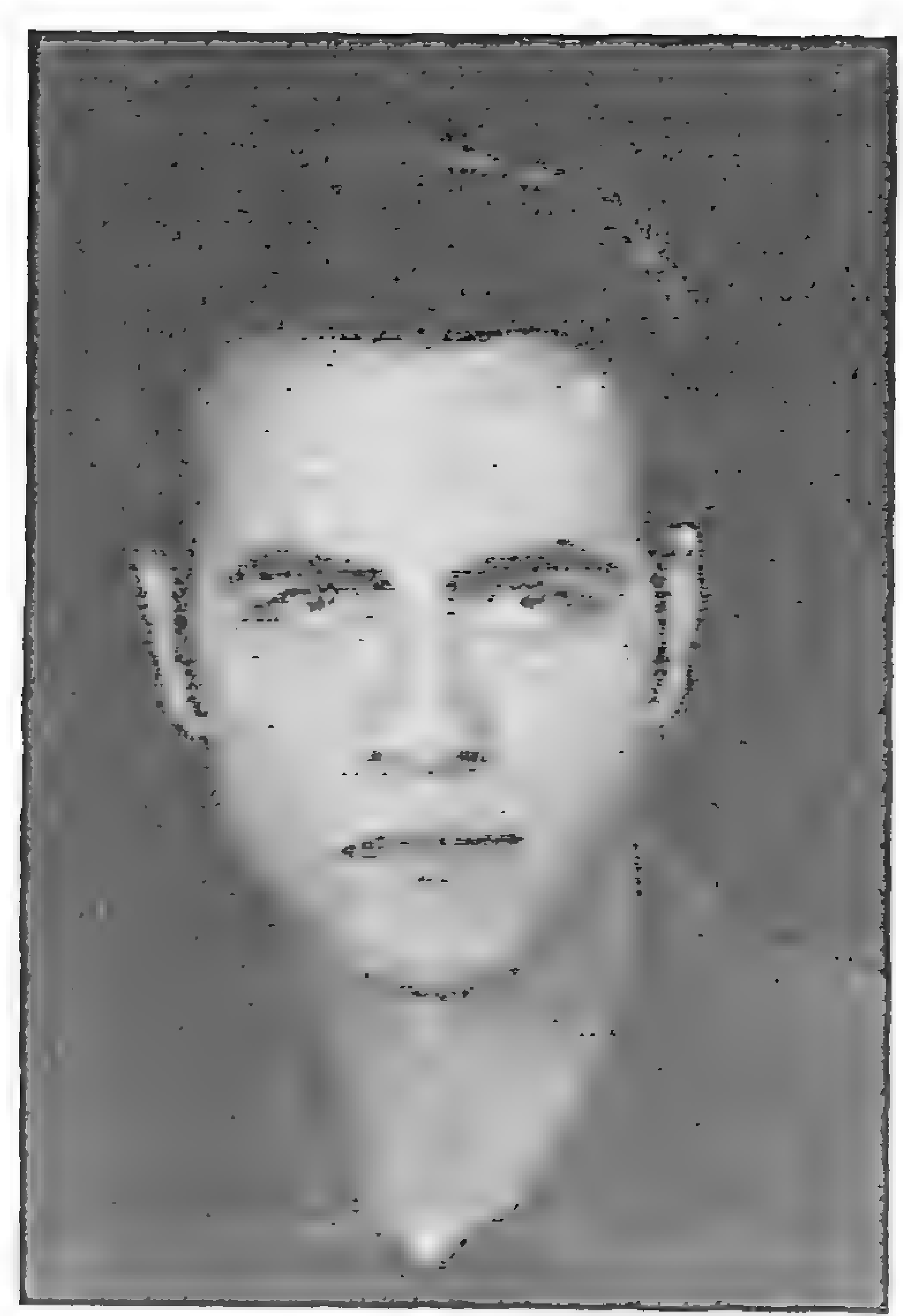
(٢) اللواء أ.ح.م عبدالمنعم خليل، مجلة النصر، عدد أكتوبر ١٩٩٨.

(٣) حديث الرئيس مبارك بمناسبة مرور ٢٥ عاما على حرب أكتوبر، أهرام ٣ أكتوبر ١٩٩٨.

(٤) من تقرير المؤتمر الأول للثقافة الجماهيرية.



سينما الخندق - جمهور الخندق وقد انتظم فى الجلوس بجانب الحائط انتظارا لعرض أحد الأفلام.



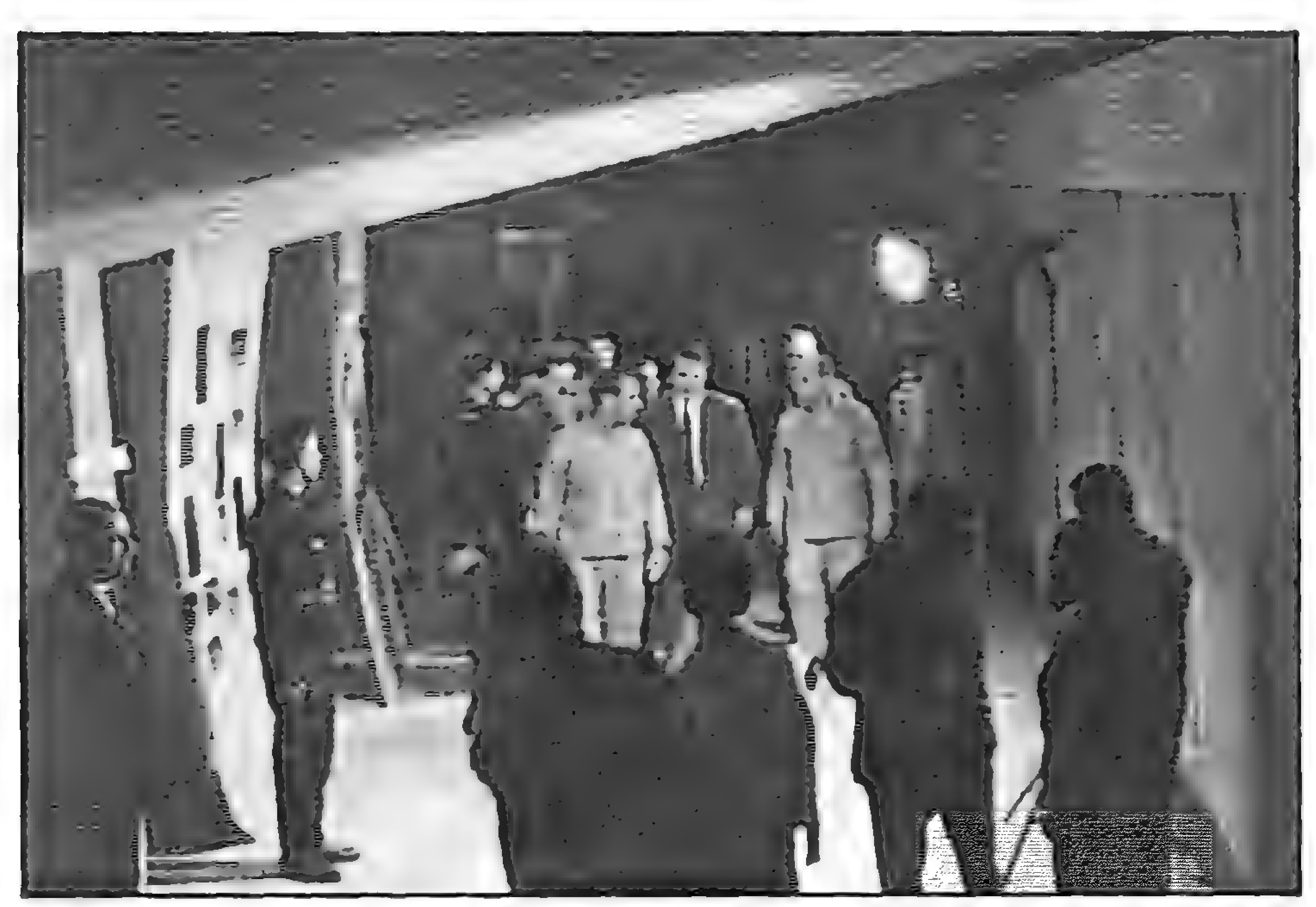
صورة شهيد الواجب مهندس محمد عبد العزيز حسب استشهد فى حادث انفجار مصنع الثلج فى١٩٧١



سعد الدين وهبة وكيل أول الثقافة الجماهيرية يتسلم درع المحافظة من حامد محمود وبينهما حامد حسب مدير الثقافة.



حسن صبرى الخولى فى زيارة للسويس داخل بدروم المحافظة



سعد الدين وهبه وحامد محمود فى افتتاح أحد العروض المسرحية فى قصر الثقافة



الفنان عصام الراوى ومعرض الفنون التشكيلية فى قصر الثقافة



الفنانون فى زيارة أحد المعارض التشكيلية التى كانت تقام بقصر الثقافة فى فترات الهدوء.



المحافظ حامد محمود وجمال سعد أمين الاتحاد الاشتراكى مع فرقة اولاد الأرض والفرقة المسرحية
بعد عرض مسرحية غنوة على خط النار.



أعضاء مسرحية غنوة على خط النار


الفنان زكريا صالح والسيد درويش فى أحد مشاهد مسرحية غنوة على خط النار


الفنانون فى زيارة الجبهة والمعارض التى كانت تقام فى فترات الهدوء.

الفصل الثالث:

مع أحداث أكتوبر

المفاجأة الكبرى

لم يكن هدف تحرير الأرض من الاحتلال الإسرائيلى هدفا خافيا أو سريا بل كان هدفا معلنا على لسان رئيس الجمهورية وقادة القوات المسلحة وهو أمل الملايين من أبناء الشعب.

ومن ناحية أخرى فإن أقمار التجسس وأجهزة الكشف الدقيقة وطائرات الاستطلاع ووسائل التصنت ونشاط المخابرات وحيلها المختلفة لم تترك لأى من الأطراف المتنازعة فرصة للإخفاء أو التستر، خاصة أمام التقدم العلمى الذى تهاوت أمامه كل الأسرار.

ولم تكن المفاجأة مفاجأة سلاح أو حرب بقدر ما كانت مفاجأة قرار وتصميم وإرادة لأنه حين بدأت المدرعات المصرية تتجمع فى الأسبوع الأخير من سبتمبر لم تنزعج إسرائيل على أساس أنها مناورات تقليدية تجرى فى نفس الموعد من كل عام، كما لم تكن عين المخابرات الأمريكية غافلة عن حماية إسرائيل وأبدت قلقها من أن هذه أول مرة يجرى فيها المصريون مناورات بهذا الحجم مستخدمين تشكيلات عسكرية على مستوى الألوية والفرق، وعزز هذا الشك كميات الذخيرة والمعدات المساعدة الكثيرة التى كانت تجمع بالإضافة إلى إقامة شبكات ميدانية للإتصال، وكان تقدير المخابرات المركزية لها أنها أكثر من احتياج هذه المناورات وقد التقطت المخابرات الأمريكية وفروعها المختصة بالتجسس الإلكترونى الإشارات التى انبعثت من هذه الأجهزة حين اختبارها وأسرعت أمريكا تنبه

إسرائيل وتسألها عن رأيها وعما إذا كانت ترى فى هذا دلالة على قرب هجوم مصرى تتوقعه بعض الأجهزة الأمريكية، لكن إسرائيل نفت هذه المخاوف.

وقد لفت نظر أمريكا أيضا ذلك التوافق الزمنى بين المناورات المصرية قرب القناة والطبيعة الحربية لحشود القوات السورية فى نفس الوقت على حد تعبير المصادر الأمريكية، فقام ديان بزيارة لقواته فى الجولان وعلى أثرها اتخذ قرارا بتعزيز قواته المدرعة هناك. وتأكد لأمريكا وقتها أن مسرح الشرق الأوسط يستحق المراقبة فأطلقت أحد أقمار التجسس من قاعدة فاند برج العسكرية فى كاليفورنيا فى مدار حول الشرق الأوسط وذلك للكشف عما يجرى وراء الكواليس. ورغم القلق والتحذير والتساؤل الأمريكى فإن إجابات إسرائيل كانت تؤكد أنه لا يوجد أدنى احتمال لنشوب القتال وأن العرب غير مستعدين لمعركة ما وأنهم سوف يسيئون التقدير كما هى عادتهم دائما، ولو فعلوا فسوف يهزمون فورا وعلى هذا الأساس فإن إسرائيل غير مهتمة بالحرب.

إسرائيل فى شراك التضليل

إن عملية التضليل العسكرية البارعة التى خططتها القيادة المصرية أوهمت قادة إسرائيل بعدم جدية الموقف وكانت سببا رئيسيا فى عدم إحساسهم بالخطر.

إن القيادة المصرية حافظت على سرية عمليات الخداع التى أوقعت بها قيادة إسرائيل ولكن بعض نماذجها يدل دلالة واضحة على سلامة التفكير ودقة التنفيذ، وعلى عمق النظرة وإدراك أساليب العدو ودراسة شخصيته بحيث عززت لديه إحساسه بالصلف والغرور واستثمرت الظروف المحيطة بالموقف استثمارا أمثل.

ولقد تمكنت القوات المصرية من تحقيق المفاجأة ويقول المرحوم الفريق أول أحمد إسماعيل على قائد القوات المسلحة:

فى كل حرب هناك خطة العمليات وهناك خطة الخداع وأعتقد أننا نجحنا، فلقد وضعنا خطة الخداع على المستوى المعنوى والاستراتيجى ووضعت لها جداول وتوقيتات سارت جنبا إلى جنب مع خطة العمليات وتوقيتاتها بجداولها ولقد وصلنا فى الكتمان إلى درجة أن يوم «ى» لم يكن معروفا بعد تحديده مبدئيا إلا لإثنين: الرئيس وأنا، وحتى عندما بدأنا العد التنازلى من يوم «ى» بالناقص وكان ذلك قبل شهر من بد العملية «ى»، ٣٠ و ى ٢٩ و ى٢٨ وهكذا فإن ،لسر ظل محصورا وعندما بدأنا الحشد وأنا أعرف أن العدو يستطلع كل يوم فلقد كنت أدفع إلى الميدان بلواء مثلا، وأعود فى الليل بكتيبة لكى يشعر العدو أن القوات التى ذهبت كانت فى مهمة تدريبية أدتها وعادت منها.

ولقد أخذت أرسل معدات العبور إلى أقصى حد ممكن فقد كان مؤكدا أن خروج هذه المعدات من مخازنها كفيل بتنبيه العدو إلى نوايانا وقد صنعنا لبعض هذه المعدات صناديق خاصة حتى لا يشعر أحد أن اللوارى الضخمة التى تحملها لوارى مهندسين، ثم رتبنا لهذه المعدات حفرا على جانب القناة نزلت إليها فور وصولها ليلا.

كانت الخطة خلال هذا كله بالطبع قد اكتملت إلى آخر التفاصيل بل إلى تفصيل التفاصيل وكان ذلك طول الوقت بالتنسيق مع سوريا.

وقبل أيام قليلة من يوم «ى» كانت تفاصيل الخطة تنزل من قادة الجيوش إلى قادة الفرق ثم قادة الألوية ثم قادة الكتائب.

بعض الجنود من طلائع الهجوم عرفوا قبلها بثمان وأربعين ساعة وبعضهم عرف يومها فى الصباح. كما تعمدنا تسريب بعض الأنباء لصرف الأنظار تماما عن نوايانا، فأذعنا مثلا:

أن وزير دفاع رومانيا قادم فى زيارة لى يوم ٨ أكتوبر وطلبنا من الأهرام نشر خبر بأننى فتحت الباب لقبول طلبات الضباط والجنود الراغبين فى أداء العمرة. ووصلت بنود الخداع الخمسة والستين إلى أصغر التفاصيل حتى أن جنودنا أمروا أن يسبحوا فى مياه القناة دون سلاح الساعة الواحدة ظهرا أى قبل ساعة الصفر بساعة واحدة.

كما تعودوا أن يفعلوا فى بعض الأيام حتى يظل شعور العدو بعدم الاستعداد كما هو، وقد قام هؤلاء بذلك وهم يعرفون أن القتال سيكثف بعد ساعة وأنهم فى وضعهم هذا قد يكونون من أول الضحايا.

ويمكن القول بأن إسرائيل قد ضللت نفسها إستراتيجيا حين أقنعت نفسها بأسطورتها بأنها القوة التى لا تقهر وأقنعت نفسها بأن العرب مقتنعين بهذه الأسطورة وبالتالى فإنهم لن يحاربوا.

وهكذا نجحت القيادة المصرية رغم اكتشاف العدو لحركة القوات غير العادية فى إخفاء نواياها النهائية الغامضة.

وبدأت معركة العاشر من رمضان

يوميات المعركة فى السويس[١]

١٩٧٣/١٠/٦

قواتنا تقصف مواقع العدو بشدة، واستمعت السويس إلى هدير مدافعنا وكانت قواتنا المسلحة قد قامت بالعبور إلى الضفة الشرقية فى عدة مواقع واشتبكت مع العدو

واستطاعت تدمير بعض التحصينات ولا زالت توالى تقدمها واشتباكها مع العدو.

وأبلغ قسم السويس يومها عن أوائل المصابين فى المعركة وهم:

السيد: عبدالله محمد أحمد بازرعة. سكرتير عام محافظة السويس

السيد: سمير البلاع تاجر بالسويس

بسبب اصطدام سيارتهم بإحدى الدبابات فى طريق مصر السويس الصحراوى أثناء عودتهم إلى المدينة، ولم تحدث يومها إصابات وخسائر بالمدينة. كما أذيعت تعليمات الدفاع المدنى واتخذت إجراءات الأمن بالنسبة للمنشآت والأفراد.

١٩٧٣/١٠/٧

الساعة ٢٠.٣: اشتباكات المدفعية مستمرة. طائرات العدو تظهر فوق السويس والقطاع الزراعى ووسائل دفاعنا الجوى تتعامل معها.. مدفعية الميدان ما زالت تدك مواقع العدو.

الساعة ٣٠.٥: طائرات العدو تحاول الإغارة على المواقع المدنية والعسكرية ومنطقتى الجناين والشلوفة ووسائل دفاعنا الجوى تتعامل معها وتحول بينها وبين تحقيق أهدافها. تمكنت قواتنا المسلحة من تعزيز مراكزها فى سيناء ولا زالت تواصل عملياتها ضد العدو.

قواتنا الجوية قامت بقصف أهداف العدو العسكرية.

١٩٧٣/١٠/٨

ما زالت مدافعنا تقصف مواقع العدو واشتبكت مدفعيتنا أيضا مع مدفعية العدو وبالقطاع الزراعى وعيون موسى. طائرات العدو تحاول الإغارة على المدينة وقصف بعض الأهداف المدنية.. مدفعية العدو توجه نيرانها إلى المواقع المدنية بالسويس وقواتنا تواصل تقدمها فى سيناء وكانت تصد الهجمات المضادة التى حاول العدو القيام بها. كما أتمت تطهير الضفة الشرقية للقناة والأرض التى تمركزت فيها وأسرت عددا من جنود العدو واستولت على النقط الحصينة شرق القناة.

أسقطت عدة طائرات معادية بمنطقة السويس كما تم أسر بعض طياريها. يسير العمل بانتظام وكفاءة فى جميع المواقع، والعاملون يتمتعون بروح معنوية عالية.

١٩٧٣/١٠/٩

تواصل قواتنا التى عبرت القناة تقدمها فى سيناء. سيطرت قواتنا على منطقة كبريت بالبر الشرقى وأسرت عددا من جنود العدو ودمرت آلياته ودباباته.. مدفعية العدو تقصف مواقعنا بالمدينة والمدفعية الثقيلة تشتبك معها. أسقطت عدد من طائرات العدو وأسر

طياروها عند محاولتهم الإغارة على مواقعنا. مرافق المدينة تقوم بجميع أعمالها بصفة منتظمة وبكفاءة، ومستشفى السويس تعمل بكفاءة فى استقبال الجرحى والمصابين.

١٩٧٣/١٠/١٠

قواتنا تتقدم فى سيناء وتصد هجمات العدو وتكبده خسائر فى المعدات والأرواح. الإمدادات تتدفق على قواتنا. وسائل دفاعنا الجوى تشتبك مع طائرات العدو. مدافعنا تقصف مواقع العدو. حضر وفد صحفى لزيارة المناطق المحررة.

الحياة فى المدينة تسير سيرتها الطبيعية بدون معوقات والمرافق تقوم بأداء وظيفتها.. تعاون تام بين الأجهزة التنفيذية والشعبية، لا توجد اختناقات تموينية. الروح المعنوية مرتفعة.

١٩٧٣/١٠/١١

الإذاعة المحلية بالمدينة تذيع تحذيرات إلى المواطنين بأن العدو يلقى شراكا خداعية على هيئة ساعات وأقلام حبر وراديو تنفجر بمجرد لمسها، على المواطنين عدم الاقتراب منها وسرعة الإبلاغ عنها.

١٠,٣٠: طائرات العدو تحاول الاقتراب من مواقعنا ووسائل دفاعنا الجوى تشتبك معها وهى تحاول ضرب القطاع الزراعى والجناين وتسقط عددا منها.. مدفعية العدو تضرب المدينة وبور توفيق ومدفعيتنا تشتبك معها وتسكت مصادر النيران.

٥,١٥: قواتنا الجوية تضرب مواقع العدو فى سيناء.

٧,١٥: طائرات العدو تحاول قصف القطاع الزراعى فى الجناين ووسائل دفاعنا الجوى تشتبك معها.

٩,٠٠: مدفعية العدو تحاول قصف قواتنا فى بور توفيق ومدفعيتنا تشتبك معها.. مدفعيتنا تركز نيرانها على مواقع العدو وتسكت مصادر نيرانه.

١٩٧٣/١٠/١٢

١٢,٥٠: مدفعيتنا تقصف مواقع العدو التى تحاول ضرب بور توفيق.

٥,٣٠: طائرات العدو تحلق على ارتفاع منخفض ووسائل دفاعنا الجوى تتعامل معها، تمت السيطرة على الحرائق التى نشبت فى منطقة جنيفة فى بعض مستودعات الوقود.

٢,٣٠: طائرات العدو تغير على مواقعنا فى إحدى المدارس والقطاع الزراعى وطريق مصر السويس الصحراوى، قواتنا تواصل تنفيذ مهامها بنجاح طبقا للخطة الموضوعة. قوات العدو فى موقع لسان بور توفيق تطلب التسليم بعد حصار قواتنا للموقع سبعة أيام،

بعد فشل قوات العدو فى إنقاذ الموقع رغم دعمه لهذا الموقع بقوات احتياطية خلال فترة المعارك.

١٩٧٣/١٠/١٣

استسلام موقع لسان بور توفيق

(لسان بور توفيق) يقع لسان بور توفيق الذى استولت عليه قواتنا بعد حصار سبعة أيام، رغم ما كان به من العتاد والمؤن والذخائر التى تكفيه لمدة ٣٠ يوما، ونشرت الأهرام فى ١٩٧٤/٩/١٥ حديث قائد الموقع السيد العميد أركان حرب محمد نبيه السيد إلى السيد الرئيس محمد أنور السادات أثناء زيارته للموقع وشرح تفاصيل عملية الإستيلاء قائلا:

كان موقع هذه النقطة يعتبر أحد المواقع الاستراتيجية العسكرية الهامة للعدو، فهو يشرف على المدخل الجنوبى لقناة السويس والمدخل الشمالى لخليج السويس، وقد استخدم العدو هذا الموقع .سكريا فى ضرب الأهداف المدنية، فى مدينتى السويس وبور توفيق ومنطقة المصانع، .خاصة مصنع السماد ومعامل البترول.

وأضاف قائلا:: إن العدو كان قد جهز هذا الموقع تجهيزا حصينا حتى أصبح من القلاع الرئيسية بل أقوى قلعة فى خط بارليف، وإن طول لسان بور توفيق يبلغ ٢٨٠٠ م وعرضه ١٥٠م وقد أعطاه ذلك حصانة طبيعية بالإضافة إلى التجهيزات العسكرية التى أقامها العدو فيه.

وكانت قوة العدو فى هذا الموقع تقدر بفصيلة مشاة وفصيلة دبابات مدعمة بعناصر من المدفعية، وفى خلال المعارك دعم العدو قواته فى الموقع بفصيلة أخرى من الدبابات. وأضاف قائد القوة المصرية التى استولت على الموقع: لقد قسم العدو هذا الموقع إلى ثلاث قطاعات رئيسية، قطاع جنوبى، وقطاع أوسط يعتبر أقواها، وقطاع شمالى يشرف على مدخل اللسان وقد جهز العدو هذا الموقع تجهيزا هندسيا من جميع الاتجاهات ليسيطر منه على جميع الاتجاهات أيضا، وزرع حوله الألغام والأسلاك بكثافة، وطبقا لخطة العمليات فقد كان على قواتنا أن تهاجم هذا الموقع وتدمره وقد بدأ الهجوم من اتجاهين بسرية صاعقة وقال: قائد المجموعة: إنه رغم حصانة الموقع إلا أن قواتنا أصرت على الاستيلاء عليه واستمرت قواتنا فى إصرارها حتى طلبت قوة الموقع يوم ١٢ أكتوبر الماضى التسليم. وفى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهر يوم ١٣ أكتوبر أى فى اليوم السابع للقتال تم استسلام الموقع نتيجة للأعمال الباسلة التى قامت بها قواتنا.

وقال: اللواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث للسيد الرئيس: لقد ظل العدو يدعم هذا الموقع بقوات احتياطية خلال فترة المعارك ولكن قواتنا تمكنت من الاستيلاء عليه وتم أسر ٣٧ من جنود العدو كانوا على قيد الحياة وتم تدمير جميع دباباته. وأضاف المشير أحمد إسماعيل معلنا: إن العدو حاول إنقاذ الموقع ولكنه فشل وقال: الرئيس ردا على سؤال وجه إليه عن انطباعاته وهو يرى مدينة بور توفيق من الشاطئ الآخر: لقد كانت آخر مرة لى هنا فى ٥ يونيو قبل ٦ أكتوبر وكان موقفى فى بور توفيق فى البناية التى تواجهنا، وكنت أنظر بألم وحسرة ولكن اليوم والحمد لله وقد رأيتم على جانبى الطريق الدبابات الإسرائيلية وعنف المعركة وضراوتها وشراستها حقيقة لقواتنا المسلحة المجد والخلود ولشعبنا الذى أنجب هذه القوات المسلحة أن يفخر بأبنائه ويفخر بالمستقبل إن شاء الله.

وأضاف الرئيس قائلا:: أى انطباع يشعر به الإنسان أكثر من الفخر، إننى فخور بأبنائى فى القوات المسلحة، فخور بشعبنا الذى صمد وتحمل طوال سنوات عجاف ودفع من قوته ودفع من عرقه ودفع من جهده، فخور بكل هؤلاء وأدعو الله أن يمكننا من أن نكمل المسيرة إن شاء الله.

ويروى السيد اللواء محيى الدين خفاجة مدير أمن السويس كشاهد أنه فى الساعة الحادية عشرة صباحا توجه مندوبو الصليب الأحمر والجهات المختصة كما توجه محافظ المدينة إلى بور توفيق ونادى مندوب الصليب الأحمر على القوة المعادية بواسطة بيجاثون وعلى الفور شاهدنا قائدة القوة المعادية يصعد الساتر الرملى المرتفع على ضفة القناة من الناحية الشرقية رافعا العلم الأبيض وعندئذ انتقل مندوب الصليب الأحمر والمختصون من الهيئات العسكرية بواسطة زورق عبر القناة إلى أن وصلوا إلى الضفة الشرقية وعادوا ومعهم قائد الموقع الملازم أول شلوم أردينست الذى سلم علم الموقع إلى القائد المصرى النقيب زغلول فتحى قائد كتيبة الصاعقة للفرقة ١٩ مشاة وكانت قوة هذا الموقع ٤٢ جنديا منهم ٥ قتلى و٢٠ جريحا.

١٩٧٣/١٠/١٤

١٢,٥ : أصوات المدفعية تسمع على الواجهتين من العدو.

١٢,١٥: مدفعية العدو تقصف مواقعنا فى الجبلايات وحوض الدرس.

٦ مساء: ظهرت أهداف معادية على ارتفاع عالٍ وتعاملت معها وسائل دفاعنا الجوى.

١١ مساء: طائرات العدو تحاول اختراق دفاعاتنا وحالت دونها كثافة نيران ووسائل دفاعنا الجوى.

٥: ما زالت أصوات مدافعنا تسمع على مسافات كبيرة داخل سيناء.

واصلت قواتنا تقدمها فى أرض سيناء وتدور بينها وبين العدو معارك شديدة وقواتنا تسيطر على الموقف وتواصل عملياتها وهجماتها، طبقا للخطة الموضوعة.. الحالة عادية والروح المعنوية مرتفعة بين المواطنين فى المدينة كما أن المستشفى تؤدى دورها بنجاح.

١٩٧٣/١٠/١٥

١٢,٥: وردت إشارة بأن العدو يقوم بدفع مجموعات تخريب خلف الخطوط ومعها عربات تحمل أرقاما مصرية كما لوحظ أنه بمجرد صدور طلقات حمراء من أى موقع من السويس يوجه العدو قصف المدفعية على نفس الموقع الصادرة منه الإشارة.

١٢,١٠: ما زالت المدفعية تسمع أصواتها بوضوح على طول جبهة القتال.

١,٣٠: إشارة من غرفة العمليات الحربية تطلب إخطار جميع المحافظات بأنه فى حالة سقوط قنابل يجب التحفظ عليها بعمل كوردون والإخلاء حولها طبقا للتعليمات ريثما تتمكن وحدات الإزالة من التعامل معها.

الساعة ٦: أهداف جوية عالية وتم التعامل معها من قبل قواتنا.

الساعة ٦,٣٠: طيران العدو يحاول قصف مواقع قواتنا فى سيناء واشتباكات مع دفاعاتنا الجوية.

الساعة ١٠: اشتباكات بين مدفعيتنا ومدفعية العدو.

الساعة ١٢: ظهرا طيران العدو يقصف المواقع المدنية والعسكرية بمنطقة القطاع الزراعى.

الساعة ٥ مساء: طيران العدو فوق مدينة السويس والقطاع الزراعى وقواتنا تتعامل معه.

الساعة ٧ مساء: وجهت قواتنا قصفة مركز على مواقع العدو وتدور معارك شديدة بين قواتنا وقوات العدو.. وقواتنا تسيطر على الموقف.

١٩٧٣/١٠/١٦

الساعة ١٢,٥: أصوات المدفعية تسمع على فترات متقطعة داخل سيناء.

الساعة ١٢,٦: طائرات العدو فوق السويس والقطاع الزراعى وقواتنا تتعامل معها.

الساعة ٥ مساء: حدوث اشتباك مركز بين قواتنا وقوات العدو.

قواتنا تشتبك مع العدو وتصد هجماته المضادة وتعمل على تحسين أوضاعها انطلاقا إلى مهمة أخرى. مواصلاتنا سليمة ومستمرة مع قواتنا لتعزيز مواقعها. الحالة المدنية مطمئنة والحياة تسير عادية.

١٩٧٣/١٠/١٧

١٢,٠٥: أصوات المدفعية تسمع بوضوح بين قواتنا وقوات العدو.

١٢,١٠: إشارة من غرفة العمليات أنه توجد داخل مظلات الطيارين بندقية عيار ٢٢ مفكوكة بالإضافة إلى ثلاث خزن من الذخيرة.

١٢,٥٠: طائرات معادية فوق السويس والقطاع الزراعى ومدفعيتنا تتعامل معها.

٥,٠٥: قواتنا تقصف مواقع العدو على طول خط المواجهة.. قواتنا تواصل اشتباكاتها بالعدو وتصد هجومه، مؤأصلاتنا سليمة والروح المعنوية مرتفعة والحياة فى المدينة طبيعية.

١٩٧٣/١٠/١٨م

١٢,٠٥ اشتباكات المدفعية مستمرة بين مواقعنا ومواقع العدو.

٧,٤٥ أهداف معادية فوق السويس وقواتنا تتعامل معها.

٨,٣٠ قواتنا تقصف مواقع العدو بعمق سيناء.

١٢,٣٠ طيران العدو فوق السويس والقطاع الزراعى ومدفعيته تقصف الجناين والجبلايات.

٤ مساء: مدفعيتنا تقصف مواقع العدو فى سيناء.

٨ مساء: دفاعاتنا الجوية مشتبكة مع طيران العدو.

٨,٠٥: اشتباكات متقطعة بين قواتنا وقوات العدو. قواتنا تتعامل مع العدو وتصد هجماته المضادة.

١٩٧٣/١٠/١٩م

١٢,٠٥: اشتباك بالمدفعية بين قواتنا وقوات العدو.

٧,٤٥: المدفعية تقصف بشدة مواقع العدو.

١١ أهداف معادية فوق مدينة السويس تم التعامل معها بوسائل دفاعنا الجوى.

٥,٣٥: اشتباكات المدفعية مستمرة بين قواتنا وقوات العدو.

٦,٤٠ مساء: تقنين استعمال المياه لمدة ساعتين يوميا من ١٢:١٠ ظهرا. تدور معارك شديدة بين قواتنا وقوات العدو فى سيناء. قواتنا تتمسك بالأرض وتحاول الحصول على مزيد من النصر.

المرافق بالمدينة تعمل بانتظام وكفاءة، والروح المعنوية عالية ويؤدى كل فرد ما يطلب منه بحماس وإخلاص.

وقد حدث قطع فى ترعة الإسماعيلية التى تمد المدينة بالمياه، فقد تعاونت هندسة الرى

مع القوات المسلحة فى إقامة سد لتخزن المياه بالترعة حتى لا تتسرب إلى الصحراء وتم عقد اجتماعات للتحكم فى كميات المياه المختزنة بالمحافظة سواء بالترعة أو الصهاريج وتفتح المياه المختزنة لمدة ساعتين يوميا.

٢٠/١٠/١٩٧٣م

١٢,٠٥: اشتباكات المدفعية مستمرة.

١,٥٠: ظهرت أهداف جوية على مدينة السويس وعتاقة عند الكيلو ٩٩ وإن دفاعاتنا الجوية تتعامل معها، تحذير من أن إسرائيل ترسل أفرادا من المتسللين الذين يجيدون اللغة العربية ويحملون جوازات سفر عربية من الرجال والنساء ويعملون خلف خطوطنا.

٣,٥٠: ظهرت أهداف جوية معادية فوق السويس وعتاقة بكم ١٠٩ وتقوم بقصف مواقعنا ومدفعيتنا تقوم بالتعامل معها.

انقطع التيار الكهربائى بسبب انقطاع التيار الواصل من القاهرة إلى السويس عن طريق خطوط الضغط العالى لتدمير أحد الأعمدة ثم أعيد التيار بواسطة المحطات البديلة. نشبت اشتباكات شديدة بين قواتنا وقوات العدو والمواصلات إلى الناحية الشرقية سليمة. والدفاع الجوى يتعامل مع طيران العدو، أما بالنسبة للمعركة القائمة جنوبى الدفرسوار فقد تعاونت المحافظة والقوات المسلحة فى إخلاء المنطقة من السكان ونقلهم إلى الزقازيق والقاهرة والقليوبية.

٢١/١٠/١٩٧٣م

١٢,٠١: أهداف معادية فوق مدينة السويس وقوات الدفاع الجوى تتعامل معها وتم إسقاط بعض طائرات العدو.

١٢,٤٥: طيران العدو يقصف مواقع قواتنا فى مدينة السويس والقطاع الزراعى وطريق مصر السويس الصحراوى.

٤,١٥: الطائرات المعادية تقوم بقصف الطريق الصحراوى بين الكيلو مترين ٣٥ و ٤٠.

نتيجة لقصف الطائرات المعادية لطريق مصر السويس الصحراوى حدثت إصابات فى الأفراد والسيارات ويجرى إصلاح الطريق وجارى توصيل بعض المواطنين من الإسماعيلية إلى مناطق تهجيرهم لظروف الطريق.

يقول محمد حافظ إسماعيل مستشار الرئيس للأمن القومى: فى الحلقة الثالثة عشرة من كتابه «أمن مصر القومى» فى الساعات الأولى من صباح ٢١ أكتوبر ٧٣ بعث الرئيس لاستدعائى إلى مقره بقصر الطاهرة وخلال دقائق كنت قد بلغت مكتب الرئيس حيث

أبلغنى أنه قد قرر طلب وقف إطلاق النار على ضوء تطور الموقف على الجبهة العسكرية وأضاف أنه قد بعث فى طلب السفير السوفيتى لإبلاغه بذلك كما إتفق رأينا على أن أقوم بإبلاغ الدكتور كيسنجر فى موسكو بقبولنا وجهة النظر التى تضمنتها رسالته بتاريخ ١٦ أكتوبر(٢)، مع إضافة التحفظات التى قررها الرئيس.

كان الاختراق الذى حدث فى الجبهة العسكرية منذ ١٦ أكتوبر قد تطور الآن بحيث أصبحنا نواجه هجوما إسرائيليا مضادا واسع النطاق. يستهدف عزل قواتنا فى شرق القناة، وكان مثل هذا التقييم يقتضى تثبيت القوات الإسرائيلية فى غرب القناة تمهيدا للقضاء عليها، ولتحقيق ذلك كان من الضرورى تخفيف قوات رءوس الكبارى فى شرق القناة حتى يمكن توفير القوات اللازمة وبخاصة المدرعة للعمل فى غرب القناة ضد منطقة الثغرة فى الدفرسوار مع استمرار الحفاظ على مراكزنا فى الشرق بصورة فعالة، إلا أن قرار الرئيس برفض أى اقتراح بسحب قوات من الشرق إلى الغرب بينما كانت قواتنا المتوافرة فى غرب القناة أضعف من أن تتمكن من تثبيت القوات الإسرائيلية داخل منطقة الاختراق- جعل من المحتم القبول بوقف إطلاق النار قبل أن تتمكن القوات الإسرائيلية من الانطلاق من منطقة الدفرسوار فتدمر النجاح الذى تحقق واحتمالات التسوية السياسية المرضية.

بعد ساعات وصلتنى رسالة من الدكتور كيسنجر يبلغنى فيها عن الاتفاق الأمريكى - السوفيتى حول قرار يصدره مجلس الأمن بوقف إطلاق النار خلال ١٢ ساعة من وقت صدوره وتنفيذ قرار ٢٤٢ بكل أجزائه وبدء المفاوضات تحت الإشراف المناسب بهدف إقرار السلام العادل والدائم. وذكر أن القوتين سوف تستخدمان مساعيهما الحميدة ومشاركتهما كلما اقتضى الأمر من أجل التسوية الأساسية.

فى نيويورك دعى مجلس الأمن للاجتماع فى مساء ٢١ أكتوبر، وفى الساعة الخامسة صباح ٢٢ أكتوبر أصدر مجلس الأمن القرار ٣٣٨ على أساس المشروع السوفيتى - الأمريكى ويقضى بما يلى:-

١- يدعو جميع الأطراف المشاركة فى الحرب الحالية إلى إيقاف إطلاق النار وإنهاء كل نشاط حربى فورا فى موعد لا يزيد عن ١٢ ساعة من لحظة صدور هذا القرار وذلك فى المواقع التى تحتلها الأطراف الآن.

٢- يدعو جميع الأطراف المعنية إلى البدء فورا عقب إيقاف القتال بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه.

يقرر أن تبدأ فورا وبالتزامن مع إيقاف القتال مفاوضات بين الأطراف المعنية تحت إشراف مناسب بهدف إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط.

لم تكد تمر ثلاث ساعات على وقف إطلاق النار حتى كانت شبكات الاستطلاع المصرية تلتقط التعليمات التى تصدرها القيادة الإسرائيلية إلى قواتها فى شرق القناة للإسراع فى العبور إلى غرب القناة ومنذ الحادية عشرة مساء بدأت القوات الإسرائيلية فى الانطلاق جنوبا من رأس الكوبرى فى اتجاه السويس.

ماذا تقول يوميات مديرية الأمن فى السويس؟

١٩٧٣/١٠/٢٢

أصوات الاشتباكات مستمرة وتوقع أن يقوم العدو بهجوم شامل بالنسبة لجبهة القتال والجبهة الداخلية ويحتمل أن يقوم بعمليات تخريب سواء بعملائه أو بقصف جوى للمنشآت والمناطق الحيوية وبث الذعر والإشاعات.

تتخذ إجراءات الأمن لتأمين الجبهة الداخلية وطلب تكثيف القوات فى أماكن المنشآت الهامة والحساسة مع التحقق من شخصية كل من يشتبه فيه.

٥,٣٠: قصف بالمدفعية من قوات العدو على مواقعنا بالسويس والقطاع الزراعى.

٩,٣٠: طيران العدو يقصف السويس وطريق مصر الصحراوى والقطاع الزراعى ومؤخرة قواتنا بالضفة الشرقية.

١١,٣٠: نتيجة لقصف طائرات العدو بمنطقة القطاع الزراعى انقطعت أسلاك الكهرباء والتليفون وانفجرت مواسير المياه. تمركز العدو فى أعلى جبل جنيفة وقام طيران العدو بضرب الأهداف المدنية والعسكرية.

الساعة ٤ مساء: طيران العدو يحلق فى سماء السويس والقطاع الزراعى، دفاعاتنا الجوية تتعامل معه، طيران العدو يقصف طريق مصر السويس الصحراوى وطريق السخنة، اشتبكت دباباتنا بدبابات العدو التى وصلت إلى جنيفة الساعة ٦,٢٥ مساء.

١٩٧٣/١٠/٢٣

تقرر تقييد الإضاءة بالمدينة.

٩,١٥ صباحا: العدو يقصف مواقع قواتنا بالقطاع الزراعى.

١٠,١٥: العدو يقصف مدينة السويس.

١٢,١٠: العدو يقصف مصنع السماد وقد أصيب المصنع واشتعلت فيه النيران وأصيبت محطة القوى الحرارية وقسم النوشادر وخزان المياه، وكانت الإصابات مباشرة وشديدة.

٥ مساء: طائرات العدو تحلق على ارتفاعات منخفضة فوق مدينة السويس وتقصف أهدافا مدنية.

١١,٣٠: تقدم العدو من جنيفة متخذا الطريق الصحراوى طريق القاهرة فى اتجاه السويس، عقدت اجتماعات لتنظيم الدفاع عن المدينة. قطعت الاتصالات التليفونية بين القاهرة والسويس.

طيران العدو يقصف المدينة والقطاع الزراعى ومنطقة الأدبية والسماد.

ويقول محمد حافظ إسماعيل:

منذ الحادية عشرة مساء بدأت القوات الإسرائيلية فى الانطلاق جنوبا من رأس الكوبرى فى اتجاه السويس.

قادت التقدم الفرقة المدرعة للجنرال أدن وتضم ٣ لواءات مدرعة ولواء مشاه من ٥:٦ كتائب وعلى يمينها وإلى الخلف منها تقدمت الفرقة المدرعة للجنرال ماجن وكان على فرقة أدن إحتلال السويس أو عزلها بينما [illegible] فرقة ماجن لاحتلال ميناء الأدبية جنوب غرب السويس.

منذ صباح ٢٢ أكتوبر كانت عناصر من الجيش الثالث الميدانى تقاتل معركة مريرة فى منطقة كبريت والشلوفة وتعطل تقدم مدرعات أدن التى واصلت تطهير المنطقة من جيوب المقاومة، وإزاء بطء التقدم واحتمال صدور قرار جديد بوقف إطلاق النار دفع أدن عند ظهر ١٠/٢٣ بعناصر لوائين مدرعين نحو السويس وعند المساء وصلت القوات الإسرائيلية إلى مشارف السويس. واستدارت عناصر منها فى اتجاه معامل التكرير لقطع خطوط المواصلات من هذا الاتجاه، وعند منتصف ليلة ٢٤/٢٣ أكتوبر وصلت وحدات لواء مدرع من فرقة ماجن إلى جنوب السويس حيث دخلت ميناء الأدبية.

بينما بدأت استعدادات القيادة الإسرائيلية لاقتحام مدينة السويس صدر قرار مجلس الأمن ٣٣٩ بوقف إطلاق النار اعتبارا من السابعة يوم ٢٤، وفى نفس الوقت أصدرت القيادة العامة تعليمات بالدفاع عن مدينة السويس بإغلاق كل مداخلها ولم تنم مدينة السويس. بينما القيادات العسكرية والمدنية والشعبية تعمل فى سرعة محمومة من أجل تنظيم الدفاعات وتوزيع القوات على محاور الهجوم المتوقع وترتيب حاجات المعيشة للتصدى للهجوم الذى أصبح وشيكا. وكان موقف السويس الدفاعى يتلخص فى التالى:

كانت خطة الدفاع عن المدينة قد اتخذت الشكل الآتى(٣):

١- استكملت سرية حماية الشعب (المقاومة الشعبية) وكلفت بواجب احتلال المشارف

الشمالية للمدينة فى القطاع حد يمين الترعة الحلوة، حد يسار طريق الشلوفة خارج مركز مجهودها الرئيسى فى اتجاه طريق الشلوفة، وكلفت بواجب منع العدو من دخول المدينة من هذا الاتجاه.

٢- سرية مشاة ميكانيكية مدعمة بأسلحة مضادة للدبابات تحتل المشارف الشمالية القريبة للمدينة، حد يمين طريق الشلوفة داخل حد يسار تقاطع طريق مصر السويس مع طريق العوايد داخل مركز مجهودها الرئيسى كأسبقية أولى على طريق مصر السويس وكأسبقية ثانية على طريق الشلوفة بغرض منع العدو من دخول المدينة من هذين الاتجاهين.

٣- شكلت سرية من الوحدات الإدارية التى لجأت للسويس من الدفرسوار لتكون احتياطى للقطاع الشمالى للدفاعات.

٤- تحتل كتيبة الدفاع الإقليمى والتى كانت إحدى وحدات الفرقة ١٩ وتقوم بمهمة الدفاع عن المدينة بعد عبور قواتنا كلفت بواجب منع العدو من دخول المدينة من اتجاه الغرب.

٥- أفراد منظمة سيناء ومواطنون عاديون وأفراد من القوات المسلحة انضموا فى تشكيل كمائن وزعت على الطريق الرئيسى المتقدم من المثلث إلى داخل المدينة بغرض التعامل مع مدرعات العدو لتدميرها وتكبيدها أكبر الخسائر.

٦- تقوم وحدات من الصاعقة بمهمة الدفاع عن مدينة بور توفيق ومنع العدو من الاستيلاء عليها أو دخولها، وقامت هذه الوحدات بزرع الألغام فى طريق السويس بور توفيق كجزء من خطة الدفاع عنها.

الفرقة ١٩ شرق القناة تدفع سرية صواريخ مضادة للدبابات إلى غربى القناة وتحتل خط نيران شمال السويس بثمانية كم لملاقاة العدو المتجه للسويس على طريق القاهرة شرقى مطار الشلوفة.

الموقف فى المدينة

مساء يوم ٢٣ انقطعت الاتصالات بين السويس والقاهرة وطيران العدو يسير على المنطقة وباتت المدينة تتوقع أحداثا جساما، الخطر يحدق بها من كل جانب.

وفود القادمين إلى المدينة تزداد كثافة، الفلاحون من القطاع الزراعى ومن قرى الإسماعيلية مع نسائهم وأطفالهم ومواشيهم يقطعون شوارع المدينة بالإضافة إلى آلاف الجنود القادمين عبر الصحراء من قوات المؤخرات التى استطاعت أن تفلت من قبضة

العدو يملأون المدينة، ولقد وفد على السويس بالإضافة إلى سكانها البالغ عددهم خمسة آلاف نسمة ما يزيد على أحد عشر ألفا من المدنيين والعسكريين يغشاهم القلق والتوتر والخوف والإشاعات وتوقع الخطر ويملأ أسماعهم هدير المدافع وصفير الصواريخ ودوى الانفجارات والطلقات.

كيف بدأت مقاومة العدو؟

يذكر الفدائى البطل رفيق الشهداء أحمد العطيفى أحداثا بدأت من يوم ٢٣ أكتوبر قبل وصول قوات العدو إلى مشارف السويس:

كنا نحن أعضاء منظمة سيناء متواجدين فى مركزنا حين سمعنا ضوضاء وأصوات تنبعث من الشارع الجانبى، فخرجنا نستطلع الموقف وكانت هناك سيارات محملة بالجنود آتية من ناحية المثلث وسمعنا شائعات عن تقدم قوات العدو ومحاولات دخول المدينة.

ولم يكن وقتها معنا غير سلاحنا الشخصى من البنادق الآلية والقنابل اليدوية.

وكانت أسلحتنا الثقيلة وصواريخنا موجودة فى مراكز انطلاقنا خارج المدينة.

وكذلك القنابل المضادة للدبابات فى مواقع بعيدة عنا، إذن ماذا نفعل؟

كان علينا أن نفكر ونتصرف بسرعة وفجأة طرأت علينا فكرة لامعة كومضة برق خاطف، المستشفى، المستشفى الأميرى كما نعرفها، هنا لنا زملاء من الجرحى والشهداء أتوا يحتضنون سلاحهم ولم يتركوه، هكذا نعرف جنودنا فالجندى المصرى لا يترك سلاحه حتى الموت، إذن سنجد السلاح فى غرفة مغلقة متحفظ عليه داخل المستشفى.

توجه الفدائيون أحمد عطيفى وأحمد أبو هاشم وإبراهيم سليمان إلى المستشفى لإحضار أى سلاح مضاد للدبابات.. قابلوا المسئولين عن غرفة السلاح، وكان المسئول ضابطا شابا برتبة الملازم أول، أوضحوا له حاجتهم إلى السلاح وأطلعوه على أوراقهم وكانت إجابته أنه يمكنكم أن تأخذوا ما تحتاجون إليه من السلاح، وأثناء الحديث برز عريف ذو عيون خضر اسمه على قائلا لهم: أنا ممكن أفتح لكم الحجرة وأعطيكم السلاح المطلوب ولكن بشرط، شرط واحد، ما هو؟ أن تأخذونى معكم فوافقوا على شرطه وعلى الفور دخلوا الحجرة وبحثوا بين قطع السلاح حتى وجدوا مدفع أربجيه ماركة «٧» ومعه ثلاث قذائف صاروخية.

ويستأنف الفدائى الحديث:

ونظرا لقلة عددنا فقد إنضم إلى صفوفنا عدد من المدنيين والعسكريين وعلى سبيل المثال انضم لنا الأخ: محمد محمد يوسف الذى كان يعمل عند الحاج: غندور اللبان

والمهندس الزراعى محمد البهنسى ومحمود عبد السلام من قوة المقاومة الشعبية وعلى سباق الذى كان يعمل فى البحيرات وغيرهم وبدأنا ندمجهم معنا وندربهم وسلحناهم بالبنادق الآلية.

وكانت الساعة قد بلغت السادسة مساء وكنا فى سباق مع الوقت وبعد مشاورات قصيرة استقر الرأى على أن نقسم أنفسنا إلى مجموعات صغيرة، مجموعة بجوار قسم الأربعين أمام أجزخانة هلال، مجموعة عند مدرسة الحرية وهى غرب المجموعة الأولى حتى تغلق طريق مزلقان الروض، ومجموعة ثالثة فى مؤخرة حى الأربعين شمال المجموعة الأولى عند مزلقان البراجيلى أمام مدرسة حمد الله حتى يمكنها أن تضرب مؤخرة العدو.

وكان هذا هو تصورنا يوم ٢٣ ثم عدنا مرة أخرى إلى مراكزنا للحصول على مزيد من الإمداد بعد أن استطلعنا ووضح لنا الموقف. وفجأة ونحن فى المركز سمعنا صوت دبابة فقفزنا جميعا لمعارضتها إلا أنه اتضح لنا أنها دبابة مصرية متوجهة إلى الاستاد الرياضى لتحتل لها موقعا هناك وأخذنا مواقعنا فى الكمائن لنتناوب الحراسة حتى الصباح حيث نجحنا فى الحصول على قنابل الـم.د المضادة للدبابات.

٢٤ أكتوبر

كان الموقف مساء يوم ١٩٧٣/١٠/٢٣ كالتالى:

القوة الرئيسية للعدو المتقدمة من اتجاه الشمال واصلت التقدم جنوبا من الشلوفة وجنيفة فى اتجاه السخنة والأدبية وقامت باحتلال الأدبية فى آخر ضوء يوم ١٠/٢٣ وسيطرت بهذا على المدخل الجنوبى للمدينة فى نفس الوقت دفع العدو قوات من اتجاه جنيفة شمالا للجنوب لتأمين أجناب قواته من جهة الغرب لمنع وصول أى إمدادات من القاهرة إلى السويس، فقامت هذه القوة بتدمير النقطة ١٠٩ كما دفع العدو أيضا طائرة هليكوبتر من الخليج فى اتجاه نقطة الكيلو ١٠٩ حيث أنزلت أطقم هاون قامت بتقديم المساعدات للقوات التى دفعتها لتدمير النقطة ١٠٩. وكانت مداخل الشوارع بالمدينة قد سدت بالسيارات حيث قام الشهيد أشرف بعمل متاريس منها، وذلك بتوجيه من الحاج حافظ سلامة حين كان الشهيد يؤدى صلاة الفجر بالمسجد.

التمهيد للهجوم

بدأ طيران العدو من الساعة السادسة والنصف صباحا ضرب المدينة ضربا مركزا ورهيبا وبدأت المدفعية تقصف المدينة وكذلك دبابات العدو المتمركزة حول المدينة شاركت فى القصف لزيادة الضغط على المدينة الجريحة.

وكان توزيع الكمائن داخل المدينة كالتالى:

الكمين الموجود أمام قسم الأربعين من ناحية أجزخانة هلال يضم الفدائى محمود عواد، إبراهيم سليمان، على سباق وآخرين، الفدائى محمود عواد يحمل مدفع أربجيه مضاد للدبابات علاوة على سلاحه الآلى والقنابل اليدوية.

المجموعة الثانية تقف عند مدرسة الحرية بجانب مزلقان الشهداء وتتكون من الفدائى أحمد العطيفى ويحمل أيضا مدفعا مضادا للدبابات، ومحمد سرحان وفايز حافظ ومعهم آخرون من العسكريين والمدنيين.

كانت مهمة المجموعة الأولى منع العدو من التوغل، وظلت الكمائن تترقب الموقف. طيران العدو مستمر فى ضرب المدينة. السكون تقطعه أصوات الانفجارات وأصوات الطائرات وكل من فى المدينة لجأ إلى المخابئ إلا أفراد الكمائن.

لأننا كنا نعلم ماذا سيحدث بعد هذا الضرب المركز وقد رتبنا أنفسنا على أساس حرب المدن كما تعلمنا، لأنه لم يكن من الممكن الخروج إلى العدو فى الصحراء مثلا فعددنا قليل وإمكانياتنا محدودة وضعيفة ولا تتحمل المواجهة خارج المدينة ولم يكن هناك بد من انتظار مدرعات العدو فى شوارع المدينة لأننا سوف نستعمل خبرتنا التى اكتسبناها من التعامل مع العدو منذ عام ٦٨ وفى حرب الاستنزاف.

كانت توقعاتنا أن العدو سوف يدخل إلى المدينة من ناحية المثلث حتى مبنى الإسعاف قبل قسم الأربعين، وعند مزلقان الشهداء بجوار الإسعاف سوف يدخل بتشكيل مفتوح وعلى ذلك أعددنا أنفسنا لهذا الاحتمال.

كانت مهمة المجموعة الموجودة عند مزلقان البراجيلى قرب مدخل المدينة هى ترك العدو يدخل المدينة من شارع الجيش وهى كامنة فى باطن السكة الحديد إلى أن تمر آخر دبابة من أمامها فعليها أن تنقض عليها بكامل أفرادها بالقنابل ٤٣ المضادة للدبابات وبحيث تضرب مؤخرة العدو.. وعلى المجموعة الأولى وهى مجموعة محمود عواد أن يضربوه فى المقدمة فيفقد بهذا السيطرة على نفسه فلا يستطيع التقدم أو التقهقر، وبهذا يمكن أن يحدث ارتباك فى صفوف العدو.

ثم بدأ الهجوم

بدأ الهجوم البرى الساعة العاشرة والنصف صباحا تقريبا تقدم العدو بكتيبتين مدرعتين ومشاة ميكانيكى محمل على مجنزرات واصلت إحداها التقدم فى طريق السماد، وطريق السويس عند الكيلو ٩ طريق السويس القاهرة وواصلت التقدم شمال المحطة

العسكرية بالمثلث متجهة إلى طريق الشلوفة حيث اتخذت تشكيل الهجوم من شمال المدينة فى ثلاثة محاور.

فى نفس الوقت تقدمت كتيبة ثانية على طريق الزيتيات/ السويس حتى تقاطع طريق العوايد الزيتيات، من اتجاه الزيتيات حيث تفرعت إلى ثلاثة محاور اقتحام من الغرب إلى الشرق، الأوسط منها إتجه للاقتحام فى مواجهة كتيبة الدفاع الإقليمى فتصدت له ولم يكمل الاختراق من هذا الاتجاه، المحور الشمالى من هذا التقدم أمكنه الاختراق والتقدم من العوايد خاصة مدخل المدينة من اتجاه مساكن المثلث، المدخل الرئيسى.

وتصدت له القوات الموجودة هناك ولكنها لم تتمكن من وقفه واستطاع أن يحدث ثغرة ووصلت مدرعاته إلى مشارف المدينة فى اتجاه كوبرى ترعة المغربى، حيث تراجعت إلى هذا الموقع عناصر من قوة حماية الشعب فى كفر أحمد عبده وتصدت له على كوبرى ترعة المغربى، ودمرت للعدو دبابة بواسطة الملازم أول شهيد توفيق حسان بكر.

كانت الساعة حوالى الواحدة ظهرا حين بدأت الدبابات الإسرائيلية تظهر فى الشارع الرئيسى وهى ترفع أعلام المغرب والجزائر، وكان تشكيل الهجوم يتكون من دبابة ثم عربتين نصف جنزير وعربة حاملة جنود وكانت الطائرات الهليكوبتر تغطى الموجة الأولى للهجوم.

الحاملات والعربات المدرعة والنصف جنزير ركب عليها العدو دمى وهى على شكل جنود وهياكل حتى يمكنه أن يكتشف كثافة ومصادر النيران المضادة، وبدأنا فى أول الأمر الضرب عليها ثم بدأ الفدائى محمود عواد يضرب أول دبابة فى أول مواجهة بيننا وبين العدو وبالمدفع المضاد للدبابات الأربجيه وكانت الدبابة من طراز باتون الأمريكى ولكن القذيفة أصابت البرج إصابة غير مباشرة واستمرت الدبابة فى السير وكانت هذه الموجة شديدة السرعة أثناء اختراقها الشارع تحت حماية الهليكوبتر واستمر الطابور المتقدم فى الاختراق حتى وصل إلى مشارف مدينة بور توفيق وهناك اصطدمت مقدمته بلغم على طريق بور توفيق – السويس فتعطلت الدبابة الأولى وسحبت فى اتجاه الزيتيات.

معجزة من السماء

تحرك الفدائى الشهيد إبراهيم سليمان إلى الكمين الموجود عند مزلقان الشهداء يطلب النجدة لأن العدو دخل فى هجوم مخترقا الشارع الرئيسى إلى ما بعد مبنى الإسعاف عكس توقعاتنا تماما وخشى أفراد الكمين أن يقوم العدو بعملية إلتفاف ولكنهم إزاء هذا الموقف تحركوا بسرعة لمواجهة العدو واتخذوا مواقعهم فوق الخندق الموجود أمام سينما رويال[٤] بعد قسم الأربعين وبدءوا فى التعامل مع العدو وأطلق الفدائى أحمد العطيفى

قذيفة أصابت إحدى دبابات العدو التى توقفت أمام سينما حنفى على بعد ١٠ أمتار ولكنها واصلت السير بعد فترة قصيرة، وبدأ العطيفى يركب الدانة الثانية فى مدفعه حيث بدأت طلائع الموجة الثانية للهجوم تظهر وأمسك المدفع الذى كان لا يزال ملتهبا بيده فاحترقت فأخذه منه الشهيد إبراهيم سليمان وأطلقه على أول دبابة وصلت أمامه وكانت من طراز سنتوريون وهو يردد الآية الكريمة {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}، وكان أفراد الكمين فوق الخندق والشارع لا يبعد عنا أكثر من خمسة أمتار، رغم أن مدى الضرب يجب ألا يقل عن ٢٥ مترا ولا يزيد عن ٣٠٠ متر، وكان العطيفى عن يمينه ومحمد سرحان وفايز حافظ عن يساره وكأن أبواب السماء كانت مفتوحة لقراءة الآية الكريمة وأصيبت أول دبابة إسرائيلية داخل المدينة إصابة مباشرة ودخلت القذيفة من الفتحة التى أمام السائق وانفجرت داخلها ففصلت رأس السائق عن جسده وتتعطل الدبابة ويبدأ طاقم الدبابة فى الاشتباك بأفراد الكمين ووجهوا نحوهم مدفع الدبابة ١٠٥ مم وأطلقوه عليهم ولكنهم لم يصابوا.

لقد حدثت معجزة حيث مالت فوهة المدفع نحو الأرض وانفجرت الطلقة فى أكوام الرمال الموجودة على جانبى الخندق، الفدائى محمود عواد فى الكمين المقابل كان قد وضع يديه على عينيه حتى لا يرى زملاءه وهم ينسفون من فوق الخندق.

ويقول الفدائى بعدها وجدناه يشير إلينا بيده فهمنا منها أنه يطلب منا تخفيف الضرب وكنا مشتبكين مع الدبابة المصابة ومع المدرعات الأخرى التى وقفت خلفها وكان بين كل منها مسافة تتراوح بين ١٥٠-٢٠٠ متر وفعلا خففنا الضرب ولكنه أشار بيده مرة أخرى فأوقفنا إطلاق النار فإذا به يقفز فوق الدبابة المصابة وكان برجها مفتوحا لأن جنود العدو يحاولون الخروج منه نظرا لشدة الحرارة داخل الدبابة وأسقط فيها قنبلة يدوية دخلت إلى جوف الدبابة ونزل منها مسرعا لينبطح فى باطن سور السكة الحديد وفى لحظات انفجرت الدبابة وقتل من فيها، وبدأنا فى التفرق بسرعة من فوق الخندق لتجنب طلقات العدو الذى بدأ يوجه مدافعه الرشاشة نحونا وتفرقنا إلى أماكن مختلفة.

مواجهة

كان علينا أن نتفرق بسرعة لتجنب طلقات العدو والذى بدأ جنوده يقفزون من المدرعات والحاملات ويحتمون بالمبانى وهم يطلقون النار من المدافع الرشاشة السريعة الطلقات وكذلك بدأت المدرعات إطلاق مدافعها على مواقعنا فوق الخندق.

حدث أن الفدائى أحمد العطيفى دخل صالة سينما رويال وهى صالة شباك التذاكر

وكمن فيه، وأخذ يراقب مدرعات العدو وأخرج قنبلة يدوية ضرب بها حاملة جنود حيث اصابها داخل البرج فانفجرت وقتل عدد من افرادها وفر الباقون ولجأ كل منهم إلى أقرب مكان وكانت المدرعة بجانب سينما رويال يسار الخندق وهرع أحد جنود العدو إلى داخل السينما ليختبئ فيها وفى صالة شباك التذاكر وجد نفسه وجها لوجه أمام أحمد العطيفى لا يفصلهما شيء وبسرعة فتح الإثنان النيران على بعضهما فى لحظة واحدة وبينهما أقل من نصف متر فماذا فعلت إرادة الله فى هذا الموقف وماذا تم فى هذه المواجهة؟ شاءت إرادة الله عز وجل أن تصيب طلقات أحمد العطيفى خزنة الرشاش الذى يحمله الجندى الإسرائيلى فيتعطل المدفع ويعجز الإسرائيلى عن الدفاع عن نفسه ويتمكن العطيفى من إصابة جندى العدو وطرحه أرضا وتم الإجهاز عليه.

وقد تنبه العدو إلى أن فى داخل السينما جنوداً مصريين فبدأ الضرب عليها بشدة وبالرشاشات النصف بوصة ولكن الطلقات تصدت لها أعمدة الصالة الخرسانية وتلقتها لتحمى الفدائى البطل الذى كان قد بدأ ينادى على زملائه إبراهيم سليمان ومحمد سرحان وطلب منهم أن يستروه حتى يتمكن من الخروج لأنه غير قادر على الخروج لأن ذخيرته كانت قد نفدت والعدو مستمر فى الضرب عليه بالمدافع الرشاشة عيار نصف بوصة.

فى هذه اللحظة كان إبراهيم سليمان واقف وراء كشك خشبى بجوار الخندق وسرحان يقف وراء الخندق محتميا بأحد أعمدة الإنارة، قام الشهيد إبراهيم سليمان بتركيب آخر طلقة فى المدفع المضاد للدبابات وقام سرحان بنزع الفتيلة وأخذ الشهيد الوضع مرتكزا وضرب المدرعة التى كانت تضرب على الفدائى العطيفى فدمرها عن آخرها فتملكه الفرح الشديد لأنه ضرب مدرعتين للعدو بآخر طلقتين وكان رحمه الله لاعب جمباز ورياضى ممتاز ومن أبطال الجمهورية فى هذه اللعبة وأخذ يصفق بيده من فرحته ويقول: يا واد يا أبو خليل يا جن.

ثم أخذ إبراهيم مكانه وأخذ يقاتل مع زملائه بالسلاح الآلى وتمكن العطيفى من الخروج من الصالة وذهب سرحان والعطيفى لإحضار ذخيرة وقنابل يدوية وليطمئنوا الناس أن المدرعات قد دمرت.

ملحمة قسم شرطة الأربعين

دخل عدد من جنود العدو المبانى المجاورة للسينما وكذلك مبنى قسم شرطة الأربعين فتصدى لهم العريف محمد عبد اللطيف سعد وهو المعين لحراسة القسم إلا أنه استشهد كما استشهد معه العريف محمد سعد أحمد وأصيب الرقيب حواس محمود طه الذى كان

متخذا موقعه فى فناء القسم واضطرت باقى قوة القسم إلى الانسحاب إلى المنزل الموجود خلف القسم حيث بدأت المقاومة من هذا الموقع أثناء الاشتباك مع هذه القوة. أصيب الرائد نبيل شرف والعريف محمد محمد السنى، وعندما علم النقيب محمد عاصم حمودة بواقعة احتلال القسم توجه إلى موقع فى مواجهة القسم محاولا اقتحام القسم إلا أن طلقة أصابت العريف محمد مصطفى حفنى فقام بإخلائه بسيارة جيب وانطلق إلى المستشفى ولكن السيارة أصيبت بنيران رشاشات العدو فتعطلت واستشهد النقيب محمد عاصم حمودة.

ويقول الفدائى: ونظرا لأن ذخيرتنا قد بدأت فى النفاذ أخذنا فى تجميع عدد من المدنيين والجنود وفعلا بدأت مجموعات كبيرة من جنود المؤخرات فى الانضمام إلينا وبدأنا فى توزيع هذه المجموعات على المبانى المحيطة بالقسم، وكانت بعض المنازل بها يهود ومصريون وحدث ارتباك بسبب شدة النيران التى تزداد كثافتها باستمرار وعندما سمع المواطنون باحتلال اليهود للقسم وبدأنا على الفور عملية إغارة سريعة على مبنى القسم لاختبار دفاعاته وكثافة القوات المعادية التى لجأت إليه واحتمت به فوضح لنا أن العدو قد تحصن بمبانى القسم واستفاد من موقعه المتحكم فى أربعة اتجاهات علاوة على التحصينات الداخلية للقسم من سواتر وشكاير رمل.

كان الموقف يتطلب وضع خطة محكمة لاقتحام القسم ولم يكن حتى هذه اللحظة قد استشهد منا أحد واتفقنا على خطة ولكن حال بيننا وبين تنفيذها أننا كنا نبدأ فى التنفيذ ومحاولة الاقتحام تعوقنا الطلقات التى يطلقها الجنود والمواطنون البعيدون عن القسم حيث كان الكل يضرب فى اتجاه القسم وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة والنصف ظهرا ونحن حول القسم نحاول تنفيذ الخطة وفجأة خرج من القسم أحد جنود الشرطة من المحتجزين داخل القسم وقال: إن العدو يطلب الاستسلام وإنه يتخذ من الجنود المحتجزين داخل القسم رهينة تحت يده، وإن العدو يجهز دفاعاته عن القسم واتضح لنا أن العدو جهز الدفاعات على شكل دائرى تحيط بالقسم وتتحكم فى أربعة اتجاهات وأخبرنا الجندى أن العدو يطلب التسليم بشرط أن يضمن حياته.

ويقول الفدائى: إننا اتصلنا بقائدنا الذى طلب أن نبلغ العدو أن عليه أن يلقى سلاحه من البلكونة ويرفع الراية البيضاء، ويخرج مستسلما ولكن جندى البوليس الذى خرج وأبلغنا بشروط العدو، اشترط العدو أنه هو الذى يعود ليخبرهم عن الشروط – رفض العودة إلى العدو رفضا مطلقا ولم تجد معه محاولات التهديد أو الضغط نظرا لأن العدو

كما ذكر كانت معاملته سيئة للغاية وخلال هذه الفترة حضر إلينا الزميل الشهيد أشرف عبدالدايم وأخبرنا أن مجموعة الشهيد أحمد أبو هاشم قد نفذت بنجاح العملية الموكولة إليها ودمرت آخر دبابة للعدو بالقنابل ٤٣م. وذلك فإنه لم يتمكن من الانسحاب وحال ضيق الشارع دون المناورة وشدة المقاومة من جانب لآخر فترك مدرعاته سليمة ودخل إلى البيوت المجاورة أيضا، وجرى الاشتباك بينه وبين أفراد الكمين والمواطنين والجنود كما أخبرنا أن قائد الكمين الشهيد أحمد أبو هاشم قد أصيب إصابة بالغة خلال هذه العملية.

واقترح أشرف أن نتعقب الدبابات التى دخلت المدينة فأخبرناه أن الدبابات قد دمرت وأن الموجة الأولى قد انسحبت بعد اصطدامها واصطدام مقدمتها بالألغام التى وضعتها القوات المتمركزة فى بور توفيق وأن الحالة داخل المدينة مطمئنة وأننا سنقوم بعملية اقتحام لمبنى القسم لتطهيره فوافقنا وانضم إلينا وكانت الساعة حوالى الثالثة عصرا، بدأنا تنفيذ خطتنا التى كانت تقضى بتطهير المنازل المجاورة من جيوب العدو التى احتمت بها أولا لتأمين ظهورها خلال عملية الاقتحام وحصار القسم وبدأنا فى قتال العدو حتى طهرنا المنازل المجاورة وتم القضاء على من فيها ولم يعد أمامنا إلا مبنى القسم.

كانت خطة اقتحام مبنى القسم تقضى بإحضار عدد كبير من الجنود وليطلقوا نيرانهم فى اتجاه القسم بعد تحديد زوايا الضرب وأقواس النيران، الشهيد إبراهيم سليمان بطل الجمباز يقول: سأقفز قفزة عالية أعبر بها السور إلى داخل القسم، أشرف عبد الدايم سيقتحم من الباب الرئيسى، فايز حافظ سيقتحم الباب الخلفى بجوار السجل المدنى، قوات العدو وتبلغ حوالى العشرين جنديا أو أقل قليلا موزعة على المواقع الدفاعية وعلى منافذ القسم، بدأنا تنفيذ الخطة وبدأت مجموعات الجنود فى إطلاق سيل من النيران الكثيفة والمركزة على مبنى القسم، بدأ إبراهيم فى الاستعداد للقفز يغطيه الزميل الزقازيقى وقفز إبراهيم السور الذى يبلغ ارتفاعه حوالى المترين ولكن قفزته كانت عالية جدا عرضته للإصابة بدفعة رشاش أصابته فى وجهه، وصدره فسقط شهيدا فوق السور وظل راقدا فوقه لأننا لم نتمكن من إنزاله نظرا لكثافة النيران.

تمكن الشهيد أشرف من اقتحام الباب الرئيسى ولكنه اصطدم بالدفاعات الداخلية للعدو واشتبك معها إلى أن أصيب داخل القسم.

فايز حافظ تمكن من دخول القسم واشتبك مع العدو وتمكن من إصابة بعض جنوده إلا أن العدو ركز عليه نيرانه إلى أن سقط شهيدا أيضا.

وكان علينا بعد أن تبين لنا أن العدو قد استفاد إلى أقصى درجة من الدفاعات

والسواتر الداخلية للقسم وكذلك الموقع المتحكم الذى يكشف ويسيطر على المنطقة المحيطة بالقسم من جميع الاتجاهات أن نعيد حساباتنا مرة أخرى، وبتقدير سريع للموقف وجدنا أن الاقتحام سوف يكلفنا الكثير.

وقررنا التخلى عن فكرة الاقتحام وضرب القسم بالقنابل الحارقة.

كنا قد فقدنا ثلاثة شهداء من خيرة مقاتلينا فدائية وبطولة الشهيد إبراهيم سليمان والشهيد فايز حافظ الذى اقتحم القسم والشهيد أشرف عبد الدايم الذى أصيب برصاصة سببت له نزيفا حادا.

كما أصيب منا زميل رابع هو الفدائى محمود عواد الذى كان قد أصيب فى ذراعه إلا أنه عاد إلينا من المستشفى بعد تضميد جراحه ورفض الإصغاء إلى نصيحة الأطباء بالبقاء وحضر إلينا ومعه ذخيرة ليزودنا بها ويقاتل معنا. أخذنا فى تضييق الخناق على العدو وحصار القسم حتى لا يتمكن من الإفلات وتسلل الزميل محمد سرحان إلى أحد المنازل التى تقع خلف القسم مباشرة وصعد إلى الدور العلوى وبدأ بفتح الشباك بحذر ليستطلع العدو وفاجأ العدو بنيران مدفعه الرشاش وتمكن من إصابته وقتل عدد من جنود العدو، وتنبه العدو إلى مصدر النيران وبدأ يشتبك مع سرحان الذى أخلى موقعه بسرعة وتمكن من مغادرة المنزل رغم نيران العدو الشديدة واشترك معنا فى حصار القسم.

وخلال حصارنا للقسم واشتباكنا بالعدو فقدنا شهيدا رابعا هو الشهيد إبراهيم محمد يوسف الذى أسرعنا بنقله إلى المستشفى ولكنه لفظ أنفاسه ولقى ربه.

محاولة أخرى

حاول الفدائى محمد سرحان ومعه اثنان من أفراد القوات المسلحة أحدهما ضابط برتبة نقيب والآخر جندى القيام بعملية انتحارية جديدة لاقتحام مبنى القسم إلا أن العدو تنبه إليهم وكشف محاولتهم وألقى عليهم عددا كبيرا من القنابل اليدوية وانفجرت جميعها على مقربة منهم، ولكنهم كانوا أسرع فى الالتصاق بالأرض ولم يصب أحد منهم وما أن غادروا المكان حتى ألقى العدو قنبلة أخرى فى اتجاه الفدائى سرحان الذى قفز منبطحا على الأرض.

وانفجرت القنبلة على مسافة غير بعيدة عنه، إلا أن شظية منها أصابت النقيب إصابة بالغة خطيرة سقط على إثرها على الأرض، ونادى على الفدائى سرحان وقال: له يا أخ خذ القنبلة اللى فى إيدى وخللى بالك أن تيلتها مفكوكة أمسكها بحرص أحسن بعدين تصيبك

أنت كمان أخذ سرحان القنبلة بحذر وضرب بها العدو داخل القسم الذى رد عليه بنيران كثيفة واستمر الاشتباك حتى آخر ضوء فى نهار ذلك اليوم.

اتصل القائد بالفدائى محمود عواد وأخبره أنه يوجد فى منطقة معينة من مناطق المدينة سيارة محملة بصاروخ سام ٦ ويخشى أن يصل إليها العدو ولابد من الإسراع بنسف الصاروخ، أو تجهيزه للنسف إذا حاول العدو الاقتراب منه وفعلا قام محمود عواد بتجهيز الصاروخ للنسف إذا ما اقتربت أو تقدمت قوات العدو.

كما تم أيضا إحراق جميع سيارات ومدرعات العدو التى تركها سليمة خشية الاستيلاء عليها مرة أخرى واستخدامها ضدنا.

أفلت منا العدو ولكن

كان الموقف بعد غروب شمس يوم ٢٤ أكتوبر كالآتى:

جيوب العدو التى تسللت إلى المنازل المجاورة انهارت مقاومتها تماما وأبيدت عن آخرها.

دبابات العدو ومدرعاته السليمة أشعلت فيها النيران وبدأت الانفجار حتى تم تدميرها تماما لمنع العدو من الاستيلاء عليها وإعادة استخدامها افتراضا لأسوأ الاحتمالات.

جثث جنود العدو تملأ الشوارع وتدوسها الأقدام.

لم يبق للعدو سوى جيب ما زال متحصنا ومستفيدا من موقعه الاستراتيجى الممتاز فى مفارق الطرق تحميه سواتر من الحوائط وشكاير الرمال والموقع محاصر والاشتباكات مستمرة بين رجالنا وقوات العدو.

وكانت الخطة تقضى باستمرار الاشتباك مع العدو ومحاصرته حتى نفاد ذخيرته مع محاولات التسلل إلى داخل القسم ولكن الأوامر صدرت بانصراف الفدائيين إلى المهام التى سبقت الإشارة إليها؛ إحراق دبابات العدو، وسياراته وتجهيز الصاروخ للنسف حتى لا يقع فى أيدى العدو.

الروح المعنويةعالية جدا بين المواطنين بعد رؤية معدات العدو المحترقة خرج المواطنون من مكانهم ليشاهدوا جثث العدو وقتلاه وكانت هذه الظروف مواتية ليتأهب الفدائيون إلى أداء مهامهم على أن يعودوا بسرعة وفى أسرع وقت.

ويصف الفدائى البطل حالته وزملاءه فيقول: التعب والإرهاق والجوع أخذ منا كل مأخذ، كما أن الحصول على السلاح والذخيرة يشكل أمامنا صعوبة كبيرة وكان علينا رغم كل هذه الظروف الصعبة أن نفكر ونستعد لليوم التالى فسوف يعاود العدو محاولته

لاقتحام المدينة ولابد أن نستعد لملاقاته.

قسمنا أنفسنا إلى مجموعات صغيرة لتوزيع المهام عليها، وكذلك لعدم تجمعنا فى منطقة واحدة بعد أن فقدنا عددا من زملائنا الشهداء.

وما أن انتهينا من أداء مهماتنا التى كلفنا بها حتى عدنا بسرعة إلى الجيب المحاصر لنجد أن العدو قد نجح فى الإفلات من الحصار مستترا بالظلام.

ونيران المدفعية التى بدأت تطلق بكثافة وتتساقط قنابلها حول القسم وقد اكتشفنا عقب وصولنا أسهما فسفورية من موقع القسم فى اتجاه بيوت الشباب وهى المنطقة التى كانت تتمركز بجانبها بعض المدرعات للعدو والتى دخلت شركة النصر للبترول.

قمنا بجمع الفسفور وتوجيه الأسهم إلى كمائن أقمناها حتى يقع فيها العدو افتراضا منا أن بعض جنود العدو ما زالوا فى القسم.

وقد أيقنا أن العدو قد أفلت حيث لم يظهر أثر لجنوده كما أيقنا أن العدو قد شاهد مدرعاته ومعداته محطمة كما شاهد جثث قتلاه متناثرة ورغم حذرنا البالغ للحيلولة دون إفلات هذا الجيب الذى كلفنا شهداء أعزاء من خيرة رجالنا، إلا أن لهذا الإفلات جانبا آخر نقله عنا العدو إلى قيادته وإلى جنوده، وكان له أبلغ الأثر فى سير المعركة واستمرار صمود المدينة وجبن العدو وإحجامه عن محاولات اقتحامها مرة أخرى فقد اعتقد العدو أن بالمدينة قوات كبيرة وأنها قلعة مسلحة، وقد تولى هذا الجيب نقل الصورة البشعة التى رآها لمعداته وجنوده مما أصابهم بالذعر وجعلهم يتقوقعون فى الأماكن التى وصلوا إليها وباتوا يخشون مهاجمة الفدائيين لهم ليلا وقد وضح هذا الخوف من مكالماتهم المتعددة مع المسئولين كما سيأتى.

شهادة حافظ إسماعيل لمعركة السويس أهميتها وخطورتها[٥]

كانت المعركة التى نتوقعها معركة السويس هى ذروة الصدام خلال هذه الحرب، لم تكن معركة شعب مدينة السويس بل كانت معركة مصر، ولم تكن الهزيمة أو الانتصار فى معركة السويس تخص شعبها وحده بل تمثل هزيمة أو انتصار شعب مصر كله، وكان يوم ٢٤ أكتوبر طويلا وثقيلا بينما تحتدم المعركة.

فى الفجر قررت القيادة الإسرائيلية وقبل سريان وقف إطلاق النار ووصول مراقبى الأمم المتحدة أن تسارع بالهجوم لاحتلال مدينة السويس التى حولت عنها ترعة المياه العذبة إمعانا فى الضغط عليها.

ولهذا كلف لواءان من ألوية فرقة ادن المدرعة تعززهما كتيبتان مختلطتان كانتا قد تم

احضارهما ضمن وحدات أخرى سحبت على عجل من جبهة الجولان لاقتحام مدينة السويس من الشمال والغرب على أن يسبق الهجوم قصف الطيران والمدفعية لعدة ساعات لتحطيم الروح المعنوية للمدافعين، وفى قلب النار والدخان بدأ اقتحام المدرعات والمشاة للمدينة، وفى وجه مقاومة وحدات من الفرقة ١٩ تؤيدها فئات شعبية استطاعت لساعات تعطيل الهجوم المدرع وتشتيت وحدات المشاة المصاحبة وإنزال خسائر فادحة بها إلا أن العناصر الأمامية للواءين بلغت فى النهاية وسط المدينة وتعجز الكلمات عن وصف القتال الذى دار بين المدرعات والعربات المدرعة من ناحية والرجال والأطفال المسلحين بالإيمان والحماس وبالأسلحة الخفيفة التى لا ترقى إلى مستوى تسليح الوحدات المهاجمة فى قتال امتد فى الشوارع وبين المبانى وفى داخلها حيث يتشبث الإسرائيليون بمواقعهم وأمام حجم الخسائر فى الأفراد والمعدات قرر الجنرال أدن أن يفض الاشتباك داخل السويس قبل غروب شمس ٢٤ أكتوبر.

شهادة إسرائيلية عن معركة السويس(٦)

اتضح أن الانطباعات بأن مدينة السويس خالية من الناس كانت خاطئة فبالإضافة إلى السكان الذين بقوا فيها فرت إلى المدينة فلول الجيش الثالث غرب القناة والتحقت بها ثلاث كتائب كومندوز مصرية كانت ترابط فى المدينة واختبأت بين المنازل ولم تتوقف عن قنص الجنود الإسرائيليين المحاصرين حتى ساعات الليل وتمدد الجرحى على الأرصفة ولم يكن بالإمكان التقاطهم وقد جرح بعضهم مرات عديدة حيث كان يصيبهم فى كل مرة المزيد من العيارات النارية. وبعد مضى بضع ساعات دخلت المدينة بعض المجنزرات والدبابات التى حضرت لالتقاط الجرحى ولديها أوامر بإخلاء المصابين بالجروح الطفيفة والقتلى وترك المصابين بجروح بالغة فى الأماكن المخفية مع الجنود الأصحاء خوفا من ألا يحتملوا الاهتزازات فى الطريق.

روى نيف: لم يكن معنا مضمد فى المنزل الذى اختبأنا فيه، وخرج أربعة جنود لاختبار أماكن النجاة، وفى تلك الأثناء وصلت مجنزراتنا إلى المفرق فساعدتنا على التقاط الجرحى وتحميلهم عليها، ولكننا لم نستطع العودة إلى المنزل الذى خرجنا منه فحاولنا العودة إلى حيث بقيت شاحناتنا لنتخلص من المصيدة فى المدينة.

وكان من الواضح لنا فى هذه المرحلة أنه لابد من الانسحاب.

كنا سبعة رفاق اقتربنا من الشاحنات التى حرقت منها اثنتان فقط فأطلقوا علينا النار فاختبأنا فى صالون الحلاقة فى الطابق الأسفل من منزل مجاور، وبقينا محجوزين هناك

ساعتين تقريبا وخرج من المنطقة التى اعتقدنا أنه تم تطهيرها جنود مصريون برشاشات كلاشينكوف ولكنهم استطاعوا الفرار عندما أطلقت عليهم النار خطأ، وفجأة اقترب منى ثلاثة جنود مصريين وكانوا على مرمى الرصاص منى فوجدت نفسى فجأة غير قادر على إطلاق النار عليهم وأخيرا وبعد جهد جهيد أطلقت النار فقتلت واحدا منهم وأصيب آخر وهرب الثالث وحاولت الهروب فأطلقوا على النار مرة أخرى، وانفجرت شاحنة محملة بالذخيرة كانت واقفة بالقرب منا ففرقتنا شدة الانفجار إلى صالون الحلاقة سمعنا شخصا على سقف المنزل اكتشفناه بعد أن أطلق أحد الجنود الرصاص عن عصبية كما يبدو، وخرجت زاحفا ثم شاهدت جنديا مصريا يحاول إلقاء قنبلة يدوية علينا فأطلقت عليه النار فنسف والقنبلة التى فى يده وفجأة نسف صالون الحلاقة بأسرة ولم أعرف سبب الانفجار، ربما كان ذلك بسبب شاحنة الذخيرة أو بسبب صاروخ أو قذيفة مدفع، أطلقنا النار صوب الباب لاعتقادنا أنه ألقيت منه قنبلة فغمرنا الغبار جميعا ولكننا لم نصب وصرخت على الجميع بالخروج، أصبح نيف بصورة طبيعية قائد ومجموعة الجنود الصغيرة التى حاولت الخلاص من الآتون دون أن يعينه أحد، كان جميع جنود هذه المجموعة أكثر أقدمية وخبرة منه، وأصبحوا فى وقت لاحق مدينين بالجميل للمعاون الشاب الذى أخرجنا من هناك.

وتذكر نيف: بدأنا الانسحاب فى الساعة السابعة أو الثامنة مساء وركضنا فى المقدمة وفقدت كل إتصال مع جنود سائر القوات الذين بقوا كما يبدو فى المدينة حتى منتصف الليل وأطلقنا النار داخل الأزقة الصغيرة وألقينا قنابل يدوية على كل ما وقعت عليه عيوننا ووصلنا حتى آخر مصفحة لنا وكانوا يطلقون علينا النار طوال الوقت بصورة مخيفة ولكننا قفزنا إلى داخل المصفحة الواحدة تلو الآخر ووقفنا فيها وأطلقنا النار فى جميع الاتجاهات واستطعنا تشغيل محرك المصفحة وخرجنا من المدينة بسرعة كانت دباباتنا على مدخل المدينة وتطلق النار إلى داخلها فأخذنا نشغل الأضواء ونطفئها لكى لا يطلقوا النار حتى وصلنا إلى محطة تجميع الجرحى فاتضح هناك أننا الوحيدون الذين استطاعوا الخروج وظل الباقون محجوزين وبقينا نحن السبعة سويا، ولم نرد مفارقة بعضنا بعضا.

بعد انتهاء الحرب حصل نيف على إجازة وسافر إلى بلدته وقبل سفره حمله قائده رسالة أشاد فيها بعمله لكى يكون لديه ما يرويه لوالديه على حد قول نيف، وأضاف: كان الجميع هناك مسرورين منى وقالوا: إن هذا جميل من شاب تل أبيبى لم يساعد الحظ مقاتلين آخرين ظلوا محجوزين فى مدينة السويس بالمقدار نفسه ونجح أحد سائقى

الباصات فى القفز إلى الرصيف وتشغيل الباص والعودة به فى اتجاه خلفى، دون وقوع أية إصابة بينما بقى سائر الجنود محجوزين وسارع بعضهم إلى الاختباء وراء حاجز السكة الحديد القريب.

تذكر «شلومو عراد» المصور الصحفى: أنهم أطلقوا علينا النار من كل نافذة ولم يكن هناك منزل لم يطلقوا منه النار وكان الجرحى ممدين على الطريق يستغيثون فانطلق المظليون نحوهم فى محاولة لإنقاذهم من النيران فأصيب بعضهم أيضا وسمعت أيضا صرخات استغاثة من داخل الباصات المصابة، وألقى الجنود المصريون الذين تحصنوا داخل المنازل قنابل يدوية علينا دون أى جهد وببساطة ألقوها من النوافذ وتمدد الجرحى فى وسط الطريق وأخذوا يتلقون الرصاصة تلو الأخرى وكانت أجهزة اللاسلكى تولول دون انقطاع «نطلب المساعدة لم نعد نحتمل أكثر من ذلك» وتلقت مصفحة «يوسى» قائد القوة إصابة بازوكا مباشرة وجرح القائد وجرح الرجال الذين كانوا معه أيضا أو قتلوا.

روى أحد جنود القوة فى تلك اللحظة: بينما كان إطلاق النار فى ذروته توقفنا بالقرب من مبنى بدا وكأنه محصن وقررنا القفز إلى داخل ساحة هذا المبنى لكى نحاول تحديد مصدر النار وازداد إطلاق النار وشاهدنا عددا من الجنود المصريين خارجين من المبنى فأطلقنا النار عليهم وأصبناهم وتمكن بعضهم من الفرار ودخل ثلاثة جنود وهم رونى خام وأبا ليبل الذى قدم من كندا ليشترك فى الحرب ودافيد زوهر إلى المنزل لتطهيره من الجنود المصريين الذين تحصنوا فيه.

قال دافيد زوهر: بدأنا الانقضاض وإذا بالذخيرة تنفذ وبقى المصريون فى الطابق الثانى من المنزل واستولينا نحن على الطابق الأول ثم دخلت مفرزة أخرى لمواصلة المهمة.

اكتشف المظليون دشمة فى الساحة وألقوا إلى داخلها قنبلة فسفورية فخنقهم دخانها وتم تطهير الدشمة وعلى الفور واصل المظليون الاندفاع إلى داخل غرف المنزل. وأضاف: خرج من أحد الغرف ثمانية من رجال الشرطة المصريين رافعين أيديهم وأخرجناهم من المبنى أنهت المفرزة مهمتها فى تطهير الطابق الثانى خلال عشر دقائق بعد أن اصطدمت بجنديين مصريين وأصابتهما.

والآن وبعد أن اصبح المظليون داخل المبنى لاحظ المصريون ما يجرى وبدءوا يطلقون النار من البازوكا على الغالب صوب المبنى الذى إتضح للمظليين أنه مركز شرطة.

وروى دافيد:

تطايرت علينا أجزاء من الجدران ولكن المظليين لم ييأسوا فحاولوا تنظيم هجوم مضاد

لإحتلال مبنى الشرطة من جديد وخلال الهجوم استطاع جندى مصرى التسلل إلى داخل المبنى وإلقاء قنبلة فرآه دانى عوزى وأطلق عليه النار من مدى قريب فأصابه.

وتمركز المظليون فى المبنى وكان الهاتف يدق دون أن يرد أحد فدخل شرطى مصرى لم يكن يعرف أن المبنى قد احتل لكى يحذر رفاقه من اقتراب الإسرائيليين فلاحظه رفيق له شرطى مصرى جريح ممدد على المدخل وهو يدخل فلم يحذره من الخطر بل شجعه فدخل ووقع فى الأسر.

كان الجرحى ممدين فى الشوارع ويستغيثون، وحاول الجنود الإسرائيليون ضرب المصريين المختبئين وراء أكياس الرمل المثبتة فى النوافذ، وأخذ إطلاق النار يعربد بكل شدة انتشل شلومو عراد جريحا وأراد إدخاله إلى أحد المنازل لمعالجته فوقف بالقرب من الباب وانقض مظلى آخر لتطهير المنزل، وما أن اقترب من الباب حتى أصيبت خوذته وسقطت عن رأسه ثم رأى تحتها قبعة محاكة وألقوا قنبلة يدوية إلى داخل المبنى ثم دخلوا وبعد مرور دقيقة أو دقيقتين حيث كان الجرحى عند المصعد دحرج جندى مصرى قنبلة يدوية على السلالم الداخلية وتم داخل المبنى نفسه تصفية سبعة جنود مصريين خلال وقت قصير.

طلب الجنود الإسرائيليون المحجوزون المساعدة وطالبوا بإخلائها وتصاعدت من الطريق صرخات الجرحى: «أماه أريد أن أعيش» وقد ضاعت هذه الصرخات وسط أزيز الرصاص وصوت الانفجارات، وبحث المظليون عن منفذ فى مبنى الشرطة للتخلص من الحصار وحاولت دبابتان الحضور لمساعدتهما ولكن نظرا لعدم وجود أجهزة لاسلكية معهم مر رجال المدرعات بهم بسرعة ووصلوا إلى أحد المفارق ثم عادوا كما جاءوا تحت النيران الشديدة، وحاول المصريون إحتلال المبنى مرة أخرى ولكنهم صدوا.

كان الوضع حرجا فقد تكبدت القوة الإسرائيلية عشرات الجرحى ولم يستطع أحد إنقاذهم ولم يكن بالإمكان تأمين مساعدة لهم من قيادة المنطقة الجنوبية، خيم الليل وفى الظلام شوهد اللهب يتصاعد من المصفحات الإسرائيلية وفجأة سمعت انفجارات شديدة لخزانات الوقود وانطلقت صرخة قوية من جندى داخل المصفحة التى تلتهمها النيران واستطاع هذا الجندى القفز فى اللحظة الأخيرة من المصفحة المشتعلة وانطلق نحوه مضمدان وأدخلاه إلى المبنى وأخذت الذخيرة تنفد، وكان المصريون يطلقون النار من فوق المنازل المجاورة ولم يكن للمظليين ما يردون به عليهم فجمعوا ذخيرة من الرفاق الجرحى وردوا بإطلاق النار صوب أهداف محددة ولما كان المصريون قريبين، منهم ألقوا عليهم

قنابل يدوية وفى مرحلة معينة خفت النيران المصرية وشاهد المظليون فى منزل مقابل لمركز الشرطة جنودا مصريين يتجولون بحرية ونادوا عليهم بالعربية للاقتراب. اقترب أحدهم حتى دخل مبنى الشرطة وكان رافى غنيش ينتظره هناك فأمره برفع يديه فهرب المصرى بينما يطلق رافى النار وراءه دون أن يصيبه.

أما المظليون الذين تمركزوا داخل المنازل فانصرفوا طوال الوقت تقريبا إلى إنقاذ الجرحى ومعالجتهم وأطلقوا النار أيضا صوب قوات كبيرة كانت تسير بعيدة داخل المدينة.

وفى أسفل اشتعلت المصفحات وانفجرت الذخيرة التى كانت داخلها وبذلت محاولات لحصر مصادر إطلاق النار.

وركض «إيلى شفرتس» قائد الفصيلة على الطريق وهو جريح محاولا اكتشاف مكان وجود المصريين بدقة وكان يتمركز داخل أحد المنازل عشرة جنود إسرائيليين من بينهم أربعة جرحى ولم يعرفوا مكان القوات الأخرى، وصدرت إليهم تعليمات مفصلة باللاسلكى تحدد المكان الذى عليهم الوصول إليه فحملوا الجرحى على ظهورهم، والتحقوا بقوة أخرى كانت على مقربة منهم، وفى النهاية التحقت القوة بأسرها بالجنود المحاصرين فى مبنى الشرطة.

كيف تسلل العدو من القسم؟

بدأ الخلاص يلوح فى الأفق واستعدت القوة للنوم والحراسة وتحت جنح الليل تسلل بعض الجنود الإسرائيليين إلى المجنزرات لكى يحضروا منها ما تبقى من ذخيرة ومؤن.

ووجدوا داخل أحد المجنزرات «يغتال» وهو مضمد ميدانى حظى بوسام خلال حرب الأيام الستة مصابا فى رأسه فانتشلوه من داخل المجنزرة ونقلوه إلى مبنى الشرطة.

التقطوا فى غرفة عمليات القيادة الجنوبية فى سيناء الرسائل اللاسلكية التى بعثت بها القوة الإسرائيلية المحاصرة.

وكان من الواضح أنه إذا لم يتم إنقاذ القوة من داخل المدينة خلال ساعات الليل فيستقرر مصيرها فى الصباح وحاول دوديك قائد السرية أن يحدد للقيادة مكان وجوده وأمره الجنرال غوين بالصعود إلى السطح وأن يصف له باللاسلكى ما تشاهده عيناه.

وفى غرفة العمليات تناول الجنرال صورة جوية لمدينة السويس وتابع أوصاف دوديك وفى نهاية جهد استمر وقتا طويلا استطاع الجنرال تحديد موقع المنزل حيث كانت الوحدة الإسرائيلية محجوزة فيه داخل المدينة.

ومنذ تلك اللحظة أخذ يوجه دوديك وجنوده العشرة لكيفية الخروج من المصيدة وهو

يرشدهم باللاسلكى بموجب الصورة الجوية.

وفى الساعة الثانية ليلا انطلقوا فى الطريق. وروى دوديك: صدر الأمر على الطريق بالسير على الطريق الرئيسى حتى الخروج من المدينة مسافة أربعة كيلو مترات ولكن كان من المستحيل السير على الطريق الرئيسى فقد كان مليئا بالقوات المصرية.

بدأنا السير ومررنا بالقرب منها، سرنا بهدوء وبينما كنا نسير على الطريق وطأنا على صفائح وقطع من حديد وحدثت ضجة هائلة وأخذنا نرتجف من الخوف.

عبرت القوة والفرقة وسمعت أصوات الجنود المصريين أمامها ووراءها وفى حالة واحدة على الأقل مرت على بعد مترين فقط من الجنود المصريين. وروى رفائيل غنيش: اعتقد المصريون أننا منهم ولم يسألوا أسئلة.

اصطدمت أيضا بعض المفارز بجنود مصريين واشتبكوا معهم وأصابوا بعضهم ثم واصلوا السير وسار بعض الجرحى مشيا على الأقدام وفجأة أضىء مصباح فتوقفت القوة الإسرائيلية لحظة واعتقدوا أن هؤلاء هم مصريون فاقتربوا بحذر واكتشفوا حاملة جنود إسرائيلية وكان رجال المدرعات الذين كانوا فى الموقف الذى وصل إليه المظليون متوترين فقد كانوا يتابعون طوال الليل جهود الإنقاذ اليقظة وأما قائد السرية المدرعة فلم يسيطر على انفعاله يا رفاق خذوا سجائر خذوا سجائر، وقال آخر: قلقنا عليكم.

توهج من بعيد مصباح آخر وقال: أحد رجال المدرعات عندما تصلون إلى هذا المصباح تستطيعون أن تغنوا وترقصوا وواصلت القوة السير حتى وصلت إلى مكان أمين.

كانت عقارب الساعة تشير آنذاك إلى الساعة ٤،٣٠ فجرا.

كبدت المعركة التى دارت فى مدينة السويس قوة المظليين الإسرائيلين خسائر جسيمة ولكن رغم الخسائر وقفت القوة على مشارف المدينة وبينما كانت المعركة فى مدينة السويس مستمرة مرت القوة المدرعة التابعة لفرقة ماجين على المحور الذى يلتف حول مدينة السويس وانطلقت فيه حتى ميناء الأدبية ولكن لم يتم إحراز هدف الهجوم الإسرائيلى غربى القناة بأكمله، لم يستطع الجيش الإسرائيلى محاصرة الجيش الثالث فى القطاع الشمالى شرقى القناة.

٢٥ أكتوبر

ويستطرد الفدائى البطل فى سرد الأحداث التى حدثت بعد يوم الصمود العظيم للمدينة الباسلة وقهرها للعدو.

فى هذا اليوم بدأنا فى استخدام السيارات الكثيرة الموجودة بالمدينة فى إخلاء ميدان

المعركة من الشهداء وجنود العدو القتلى الذين سقطوا فى معركة الأمس وقمنا بدفن الشهداء بجانب إخوانهم مصطفى أبوهاشم وسعيد البشتلى الذين سبقوهم إلى الاستشهاد فى عام ١٩٧٠.

قابلنا النقيب شرطة حسن أسامة وهو زميل لنا وصديق منذ أيام الطفولة، وكان معه الزميل على عبد العزيز من مسجد الشهداء وأبدى استعداده للعمل معنا وقام الزميل أحمد العطفى بتدريبه على استعمال المدفع الأربجيه والقنابل اليدوية «٤٣» المضادة للدبابات والقنابل اليدوية، ولما علم بحاجتنا إلى الذخيرة أمدنا بأربعة صناديق من طلقات المدافع المضادة للدبابات أحضرها من سيارته حيث كان يمده بها أحد مواطنى المدينة من المجندين بالقوات المسلحة وهو الأخ سعيد عبد الحميد الذى اتصل به وأمدنا على الفور بعدد من صناديق طلقات الأربجيه وكذلك صناديق الذخيرة الخاصة بالبنادق الآلية، وعلمنا أنه كان يقوم بالبحث عن سيارات الذخيرة ويؤمنها فى مناطق معينة حتى لا تكون عرضة للإصابة فتنفجر داخل المدينة وكذلك لإمداد المقاتلين وكانت إحدى مجموعات البحث عن الذخيرة تمر من أمام باب مسجد الشهداء فوجدت الحاج حافظ سلامة واقفا أمام الباب الخلفى للمسجد وحوله جمع من المدنيين والعسكريين يوزع عليهم السلاح من خندق النادى المجاور وحيته المجموعة وطلبت منه إمدادنا بالذخيرة فأعطاهم قنبلتين حسام كانتا كل ما تبقى عنده.

شائعات التسليم

فى الظروف الصعبة وتحت ضغط العدو وتهديده بدك المدينة وتدميرها وطلبه المستمر تسليم المدينة، ومع قلة الامكانات المتاحة ليس فى السلاح فقط بل فى وسائل الإعاشة من غذاء وماء ودواء- تكثر الشائعات وتتوتر الأعصاب ويقع المسئول بين أمرين أحلاهما مر هل يرفض الاستماع إلى تهديد العدو وأن يتحمل وزر تدمير المدينة والقضاء على من فيها، أم يقبل إنقاذ ما يمكن إنقاذه خاصة أن تقدير الموقف وحساب الإمكانات التى لديه لا تشى بالنجاح بل تؤكد الفشل وهنا يتفاوت البشر فى قوة الاحتمال ورباطة الجأش وثبات الأعصاب ورجحان العقل والتفكير الموضوعى المتزن الهادئ وحتى يصل إلى القرار الصحيح، علما أن الكرامة والشرف وروح التضحية والفداء لا تخضع لحسابات القوة ولا لتفوق السلاح، ويتشاور المسئول مع من حوله ويخبرهم بتهديد العدو فمنهم من يعارض ومنهم من يؤيد ومن هنا تتناثر الشائعات.

وإن كان تعريف الشائعة هو الترويج لخبر مختلق لا أساس له فى الواقع أو تعمد

المبالغة والتهويل أو التشويه فى سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة بهدف التأثير فى الروح المعنوية وتفتيت وحدة الصف وانقسام الرأى تحت تأثير ما يثيره العدو من التهديد وإثارة الرعب، ومن هنا وجدت إشاعات التسليم آذانا صاغية.

وفى حوالى الساعة الحادية عشرة من صباح ٢٥ أكتوبر راجت فى المدينة شائعة قوية عن اتصالات العدو بقيادات المحافظة طالبا منهم التسليم وانهيار بعض هذه القيادات وعجزها عن مواجهة الموقف.

والشائعات تقول إن البعض قبل التسليم حفاظا على الأرواح خاصة أن مرافق المدينة كانت قد دمرت أو أصيبت إصابات مباشرة مثل مرفق المياه والكهرباء واحتراق مخازن الدقيق وأسقط بعضها فى أيدى العدو بعد تمركز قواته على مشارف المدينة والشائعات تؤكد وقوع الخلافات بين القيادات الرافضة لمبدأ التسليم والقيادات الرسمية التى تتحمل المسئولية.

والشائعات تتوالى وتقول: إن ملابس مدنية طلبت من بعض أعضاء قيادات الاتحاد الاشتراكى للقيادات الرسمية والبعض يؤكد أنها لتضليل العدو حتى لا تقع القيادات الرسمية أسرى فى أيدى العدو والبعض يرى أنها لتسهيل الهرب بين المواطنين الذين بدءوا يتجهون إلى مديرية الأمن لركوب السيارات التى قيل إنها ستتجه إلى القاهرة حيث طلب العدو إخلاء المدينة.

جو متوتر ومشحون بالانفعالات والتشنجات والبعض يده على الزناد شاهرا سلاحه ويبحث عن هذا الذى قالت عنه الإشاعات إنه يقوم بتجهيز أعلام بيضاء للتسليم.

الشائعات تؤكد أن المحافظ ترك مكتبه واختفى.

وكانت دبابات العدو قد وصلت إلى مبنى المحافظة ووقفت بعضها أمام غرفة العمليات التى كانت تضم أعدادا كبيرة من المواطنين بينهم المحافظ.

قرر المحافظ أنه لو تمسك بالبقاء فى المحافظة سيصبح من الممكن أسره والمزايدة سياسيا به حتى لو لم تسقط المدينة، إضافة إلى أن دوره الحقيقى فى هذه اللحظات هو بين الجماهير فى قلب المدينة.

وبالفعل اتخذ الرجل مقرا بديلا واستقر فى منزل الحاج مصطفى محمد على فى منطقة شميس بحى الأربعين، وفى غرفة متواضعة نقل له فيها التليفون الخاص بمحل البقالة الذى يملكه الحاج مصطفى وجلس بجانب مكتب صغير وقديم عليه قلة ماء وسبرتاية لعمل الشاى ولمبة جاز يجرى اتصالاته بمعاونيه ويجتمع مع قيادات العمل

والقادة لإدارة دفة الأمور.

ولكن الموقف كان متوترا والشائعات كثيرة.

حوار فى المسجد

كان مسجد الشهداء وبه مكتب الحاج حافظ سلامة مركزا لتجمع الكثير من القيادات، كما كان المسجد يضم أعدادا كبيرة من المواطنين.

الحاج حافظ سلامة: أثناء قيامى بتوزيع الذخيرة من الباب الجانبى للمسجد جاءنى الضابط المهندس عبد المنعم حبلص يناديني.

المهندس عبد المنعم حبلص: تعالى بسرعة.

الحاج حافظ: لماذا؟

المهندس حبلص: العميد عادل إسلام عاوزك «المستشار العسكرى للمحافظة».

الحاج حافظ: انتظر حتى أنتهى من توزيع الذخيرة.

المهندس حبلص: لا، هناك أمر يستدعى حضورك فورا

الحاج حافظ: تركت ما فى يدى لبعض الإخوة وصعدت إلى الطابق العلوى للمسجد وكان يجلس فيه العميد عادل ومعه مجموعة كبيرة من ضباط القوات المسلحة والدفاع الشعبى من رتبة عميد إلى ملازم كما كان يوجد بعض المدنيين ورؤساء الأهداف بالمدينة وعند حضورى إلى المكتب وجدت كل من بالمكتب يتهامسون ومنهم من كان يتكلم بصوت عال.

صوت: إحنا رايحين نعمل إيه، هو إحنا نقدر نقاوم الطيران. وكنت لا أعرف لماذا استدعيت من صحن المسجد.

العميد عادل إسلام: يا حاج حافظ معى على التليفون السيد المحافظ وقد أرسل إليه اليهود إنذارا بتسليم المدينة أو تدميرها بالطيران فما رأيك فى التسليم؛ قوللى بسرعة علشان المحافظ مستعجل.

الحاج حافظ: وهل لا بد من أخذ رأيى.

العميد عادل: نعم، لأنك تمثل رجال الدين فلا بد من أخذ رأى الدين.

الحاج حافظ: رأيى عدم التسليم.

أصوات، اختلطت الأصوات بين مؤيد ومعارض.

المحافظ فى التليفون: يا عادل انت مستنى إيه لماذا لم تجبنى؟

العميد عادل: أنا أستطلع الرأى.

المحافظ: رأى مين؟

العميد عادل: رأى الحاج حافظ سلامة.

المحافظ: وحافظ ما له هو حافظ راجل عسكرى عشان تسأله.

العميد: إنه يمثل رجال الدين لذلك فأنا استطلع رأيه مع باقى رجال الدين.

المحافظ: يا عادل اليهود اتصلوا مرة ثانية ولم يبق إلا خمس دقائق فقط واستمرت المناقشة وفهمت أن فى الأمر شىء وحتى أقطع الشك باليقين قلت للعميد عادل...

الحاج حافظ للعميد عادل:

إذا كانت هناك شكوك تساوركم فى جدوى المقاومة أو الإذعان لتهديد العدو فاذهب أنت والمحافظ كما تشاءون أما نحن أنا ومن معى فى المدينة فسنقاوم إلى آخر قطرة من دمائنا، وأنتم الآن لا تمثلون إلا أنفسكم فاذهبا أينما شئتما، أما التهديد بالطيران والدبابات فنحن نضرب بالطيران منذ ٦ سنوات فلتكن ٦ سنوات وأيام والذى أعاننا عليهم بالأمس وأكرمنا سيعيننا عليهم اليوم.

وعلى كل حال فإنه من الأفضل لنا أن نموت كراما ونقاوم من تحت الأنقاض من مجرد التفكير فى التسليم.

بعد هذه الكلمات لم يجب العميد عادل بشىء ولكن رفع سماعة التليفون وطلب المحافظ.

العميد عادل: يا افندم الرأى بعدم التسليم ووضع سماعة التليفون.

الحاج حافظ: بعدها نزلت من المكتب لكى أخبر من فى المسجد.

الحاج حافظ للمجموعة المتواجدة بالمسجد مدنيين وعسكريين: لقد قررنا عدم التسليم ورفض الإنذار الإسرائيلى ومن الأفضل لنا أن نعيش كراما أو نموت شهداء.

جموع المسجد: الله أكبر، الله أكبر.

ويواصل الحاج حافظ: ما دام الأمر أنهم يهددون بالطيران وهذا موقف المسجد منهم فالأفضل أنكم تتفرقوا إلى المنازل المجاورة فى هذه المنطقة حتى لا نعطى العدو فرصة لتضحيات أكبر لو ضرب المسجد.

الحاج حافظ: لقد أحسست أن هناك بلبلة وشائعات كثيرة بعد الجدال الذى دار حول إنذار العدو وشعور بعض الناس وتصديقهم للشائعات التى تقول إن بعض القيادات اهتزت من إنذار العدو، لذلك أصدرت من المسجد هذا البيان.

بيان من المسجد

بعد صلاة الظهر انطلق من مسجد الشهداء هذا النداء بصوت الحاج حافظ سلامة..

الحاج حافظ من ميكروفون مسجد الشهداء المعلق على المئذنة: يا أفراد القوات المسلحة الباسلة.. يا أبطال المقاومة.. يا شعب السويس المكافح لقد قررنا على بركة الله أن نستمر فى المقاومة إلى آخر قطرة من دمائنا لنعيش كراما فى بلادنا أو نموت شهداء فى سبيل الله.

ولا يمكن لنا أن نفكر فى التسليم وعلى كل فرد أن يؤدى دوره فى المعركة متوكلين على الله ومعتصمين بالله.

وأنتم أيها الأنذال اعلموا أننا فى انتظاركم بأرض السويس فإن استطعتم أن تدخلوا السويس مرة أخرى فأهلا بكم لأن أرض السويس الطاهرة فى حاجة إلى أن تروى من دمائكم القذرة، فأهلا أيها الأنذال فى الميدان.

مكالمات العدو

القائد الإسرائيلى الموجود فى شركة السويس لتصنيع البترول يتصل بالمحافظ عن طريق قائد المقاومة فى الشركة الأستاذ سعد الهاكع الذى استطاع بذكاء أن يموه على العدو ويقنعه بأنهم عمال الشركة وليسوا رجال مقاومة.

ولم يصدق العدو وبحث عن بنادق المقاومة ولكنه لم يجد لها أثرا.

القائد الإسرائيلى: عليكم بالحضور إلى الاستاذ الرياضى ومعكم العلم الأبيض خلال نصف ساعة.

المحافظ يساوم القائد الإسرائيلى ليعطى نفسه فرصة الاتصال بالقاهرة إذا كان هناك تسليم فعن طريق الصليب الأحمر.

القائد الإسرائيلى: مفيش صليب أحمر.

المحافظ يقطع الاتصال بالقائد الإسرائيلى.

المحافظ يتصل بالقاهرة ويعطى صورة للموقف الحقيقى للمدينة من ناحية المرافق والتموين ولكنها تبدو متشائمة فى نظرة المسئولين.

المحافظ: يتصل بالقائد العسكرى للمقاومة العميد عادل إسلام الذى ظل يؤدى واجبه حتى آخر لحظة.

جاء الرد من القاهرة: لا تسليم بمعرفة المحافظ، قاوموا حتى آخر لحظة والله معكم.

القائد الإسرائيلى: يحاول التأثير بالضغط والتهديد مرة أخرى.

سعد الهاكع يتصل بالتليفون بمكتب مفتش مباحث أمن الدولة العقيد أمين الحسينى

يسأله عن المحافظ: أين السيد المحافظ؟

العقيد أمين الحسيني: لماذا؟

سعد الهاكع: أنا ورجالي رهينة عندهم.

القائد الإسرائيلي يأخذ التليفون من سعد الهاكع، يسأله في لهجة فلسطينية: أين بدوي؟ يقصد المحافظ محمد بدوي الخولي.

العقيد أمين الحسيني: بدوي غير موجود

القائد الإسرائيلي: أين؟

العقيد أمين: يستقبل قوة الطوارئ الدولية.

القائد الإسرائيلي: مافيش قوة طوارئ دولية.

(العقيد أمين يضع سماعة التليفون)

القائد الإسرائيلي يتصل مرة أخرى: فين بدوي؟

العقيد أمين الحسيني: أنا بدلا منه، عاوز إيه؟

القائد الإسرائيلي: اللي عاوز يمشي يمشي واللي عاوز يقعد يقعد.

العقيد أمين: وطيب انت مالك بقى؟

القائد الإسرائيلي: لما نخش المدينة مفيش حد يتعرض لنا.

العقيد أمين: ده مش راح يحصل أبدا.

القائد الإسرائيلي: الناس ما عندهاش ميه.

العقيد أمين الحسيني: مالكش صالح بينا.

العقيد أمين الحسيني ينهي المكالمة بوضع السماعة.

سعد الهاكع يتصل بالعقيد أمين الحسيني.

سعد الهاكع: إيه اللي حصل انت قلت لهم إيه؟

العقيد أمين: ليه؟

سعد الهاكع دول قالوا إحنا رايحين نضرب محطة المياه وندمرها.

العقيد أمين: لا تخف دول جبناء، ويهددونا عشان نستسلم ويستلموا البلد بسهولة وأنا رايح أرسل لك مقاومة. ووضع السماعة.

سعد الهاكع: يتصل بالتليفون: الطلب بتاعهم خف وقال:وا مش رايحين ندمر محطة المياه، بس مفيش حد يتعرض لنا.

كانت الساعة الثالثة مساء، القائد الإسرائيلي يتصل بمكتب العقيد أمين الحسيني

مفتش أمن الدولة ويتحدث بلهجة تعبر عن الخوف والذعر.

القائد الإسرائيلى: الليل جاى واحنا عاوزين نتفاهم.

العقيد أمين: إنت عاوز إيه؟ «فى لهجة حاسمة».

القائد الإسرائيلى: إحنا مش عاوزين نقف لكم أو تقفوا لنا.

العقيد أمين: طيب إيه اللى جابك؟

القائد الإسرائيلى: جينا وخلاص.

العقيد أمين: تستاهل بقى.

ويقول العقيد أمين الحسينى: كان لا بد من استثمار موقف الرعب الذى قذفه الله فى قلوبهم واعتقدوا أننى أنا الذى أقود المقاومة ضدهم.

دق جرس التليفون مرة أخرى، المتحدث غير الذى حدثنى بالأمس وحدثنى فى لهجة مصرية فصيحة

النقيب عصام: آلو مين؟

الإسرائيلى: مستر أمين الحسينى؟

النقيب عصام شفيق يناولنى السماعة.

العقيد أمين: آلو.

الإسرائيلى: صباح الخير.

العقيد أمين: عاوز إيه؟

الإسرائيلى: إذا لم تسلموا راح أقتلك.

العقيد أمين: يا جبان، يا كلب، أنا اللى راح أقتلك وأخليك تحصل إخواتك.

العقيد يضع السماعة، ليقطع محاولة الإسرائيلى، والإسرائيلى يتصل محاولا رد الشتيمة: آلو، مستر أمين الحسينى؟

- **العقيد أمين:** يا كلب يا ابن... ويغلق السماعة.

قرار سرى للغاية

يقول الفدائى أحمد العطيفى:

كان هذا هو حال المدينة يوم ٢٥ أكتوبر، محاولات تهديد بالتدمير وطلب استسلام وتردد من جانب البعض وإصرار على المقاومة من جانب البعض الآخر.

ولكن هذا الموضوع كان يعنى بالنسبة لنا شيئا آخر تماما.. إن تسليم المدينة معناه أن نقع أسرى فى يد العدو لأنه من السهل بعد دخول العدو إلى المدينة أن يتعرف على

الفدائيين، لأنه إذا استجوب أى إنسان فسوف يدله عليهم بسهولة فهم من أبناء المدينة ومعروف أنهم قوات خاصة.. التسليم هنا معناه أن نقع أسرى ثم إعدامنا جميعا لأننا لسنا جنودا نظاميين فالقتل هو مصيرنا.

ولهذا كان للفدائيين قرار آخر يتناسب مع هذا المصير المنتظر لهم ولمدينتهم، وكان القرار الذى احتفظوا به فى سرية لا يعلمها أحد هو:

أولا: سوف يقتل من يوافق على التسليم.

ثانيا: الاستمرار فى القتال حتى آخر لحظة وآخر قطرة.

وكان قرارا يتناسب مع عقيدتنا التى آمنا بها وبذلنا أرواحنا فى سبيلها.

استولى الفدائيون على الأسلحة التى كانت تحملها مدرعات وسيارات العدو قبل احتراقها مثل الرشاشات النصف بوصة والعوزى، والرشاشات.

ولم يكن بين هذه الأسلحة غير سلاح واحد هو الذى كان جديدا عليهم ولم يكونوا قد استعملوه من قبل وهو قاذف صاروخى تسلمته إسرائيل بعد ٦ أكتوبر وهو سلاح أمريكى يتكون من علبة مصنوعة من مادة تشبه الميلامين أو بلاستيك قوى ويستطيع تدمير المدرعات. ويقول الفدائى: ونظرا لأن طريقة الاستعمال كانت مكتوبة عليه لأنه أحضر لهم على عجل حتى يمكنهم استعماله بسرعة- فقد استطعنا استعماله بعد ترجمة طريقة الاستعمال واستخدمناه ضد العدو. بدأ العدو يتقدم إلى المدينة بطريقة حذرة فكان يدفع مجموعات قتال صغيرة حتى إذا وجد مقاومة فإنه يتراجع بسرعة وإذا لم يجد يزيد من هذه المجموعات ويعززها وبدأ العدو يضرب المدينة فى مساء يوم ٢٥ أكتوبر من مواقعه خارج المدينة.

وصلت إلى المدينة أول مجموعات قتال من قوات بدر مساء يوم ٢٥ أكتوبر ليلا، وكانت إحدى هذه المجموعات بقيادة النقيب سعيد حسنين من اللواء السابع من الفرقة ١٩ التابعة للجيش الثالث وهو من أبناء المدينة وكان معه ١٤ مقاتلا من قوات الاستطلاع تولوا حماية المنطقة التى تقع بعد المدرسة الثانوية حيث إن العدو بدأ يتسلل إلى هذه المنطقة عند مدرسة التجارة وطلب من الفدائيين إمدادا بالرجال حتى يتمكن من معاونتهم فى تغطية المنطقة أمام قوات العدو، وقد إنضم إليهم عدد كبير من أفراد القوات المسلحة التى دخلت المدينة، ولإمكان السيطرة على هذه القوات التى كانت تملأ المدينة اضطر بعض الفدائيين إلى وضع رتب عسكرية.

ولقد قامت هذه القوات بقيادة النقيب سعيد حسنين بالاشتباك مع العدو يومى ٢٦، ٢٧

أكتوبر فى معارك كبيرة لمنع العدو من التقدم ونجحت فى إيقافه عند بيوت الشباب.

حاول العدو التقدم من منطقة الجبلايات للاستيلاء على وابور المياه وكان معنى هذا حرمان المدينة من أهم مرافقها علاوة على ما يشكله هذا الاستيلاء من أثر مادى ومعنوى بالنسبة لنا وما يمكن أن يستغله العدو فى دعايته وحربه النفسية، ونظرا لهذه الأهمية وحساسية الموقف فقد تعاونت جميع العناصر الموجودة بالمدينة وكان تعاونا رائعا بين المدنيين والعسكريين وقوات الشرطة حال دون تحقيق العدو لأغراضه، وبدأ التنسيق بين قوات بدر التى وصلت إلى المدينة وبين الفدائيين وقوات الشرطة للسيطرة على مداخل الطرق والمناطق التى يحاول العدو التسلل منها، وبدأ التركيز على منطقة الزراير وبيوت الشباب وكذلك منطقة المثلث وتمركزت فيها عناصر مقاتلة من القوات المسلحة لمنع تقدم العدو من هذه المنطقة.

وصول المراقبين

وصل المراقبون الدوليون إلى السويس يوم ٢٨ أكتوبر.

ويقول بعض المقاتلين عن أثر وصولهم فى نفوس الرجال: إننا لم نكن سعداء بوصولهم ولم نكن راضين عن أنفسنا لأنهم وجدونا فى حالة دفاع عن النفس.

وكان الفدائى أحمد العطيفى والنقيب أسامة من قوات الشرطة متوجهين إلى النقيب سعيد حسنين ببعض الإمدادات من الطعام الذى حصلوا عليه من المهندس علاء الخولى مدير التموين والذى كفل لجميع القوات التى وفدت على المدينة الإمداد بالطعام والغذاء رغم الخسائر التى حاقت بمخزون واحتياطى التموين بالمدينة وتقابلوا فى الطريق مع المراقبين الدوليين ومعهم الحاج حافظ سلامة ونزلوا من السيارة أمام مبنى المحافظة وفور نزولهم بدأت قوات العدو فى التحرك من منطقة بيوت الشباب ومدرسة التجارة لكسب أرض جديدة ومحاولة الاستيلاء على المدرسة الثانوية، وكانت إحدى مجموعات النقيب سعيد حسنين تغطى المنطقة من ناحية الشاطئ ومسلحة بالمدافع الأربجيه وبدأت على الفور الاشتباك بقوات العدو وإطلاق النار عليها وهرع على أثره المراقبون للاحتماء بمبنى المحافظة.

وأجبر العدو على إيقاف محاولاته والتراجع إلى مواقعه الأولى وقد سجل المراقبون شارع محمد حافظ كمنطقة فاصلة بيننا وبين قوات العدو وكان بين المراقبين ضابط اتصال إسرائيلى.

وأيضا وصلت معلومات تفيد أن العدو يحاول اختراق منطقة حوض الروض للوصول

إلى الأحياء الشعبية ولكن قواتنا كانت أسرع فى التحرك لتغطية هذه المناطق لتمنع تقدم العدو.

حاول بعض الفدائيين التحدث مع المراقبين إلا أنهم رفضوا الحديث معهم على أساس أنهم قوات غير نظامية، ولأنهم كوماندوز وطلبوا من الفدائى سرحان أن يتجرد من سلاحه لآنه رجل غير نظامى.

ويقول الفدائيون: لقد لاحظنا تعاطف هذه القوات الفنلندية التى قدمت لنا تحت علم الأمم المتحدة مع القوات الإسرائيلية وكان جنودها يعلقون فى رقابهم سلاسل تتدلى منها النجمة السداسية.

ولقد وضعنا أنفسنا وخبرتنا ومعلوماتنا تحت إمرة قيادتنا بعد أن قام الحاج حافظ سلامة بتوثيق وتنسيق التعاون بيننا وبين قيادة الجيش الثالث واستخدمنا ورق اللف من محلات عمر أفندى بالسويس فى إعداد الخرائط لمواقع العدو التى طلبتها منا القيادة وسلمت إلى اللواء يوسف عفيفى.

ثم حضر قائدنا العسكرى ووضع لنا برنامج مدته أربعة أيام للانتهاء من التدريب على الأسلحة التى استولينا عليها ثم قمنا بتدريب بعض المجموعات القتالية من المتطوعين فى أماكن مختلفة.

وبدأت مرحلة جديدة تحت إمرة قيادتنا العسكرية وفى حدود عملياتنا الخاصة واقتصر إتصالنا على الحاج حافظ سلامة وقائد المقاومة الشعبية فى المدينة.

قناوى وراء خطوط العدو(٧)

لم يقتصر عمل الفدائيين من منظمة سيناء أثناء حرب الاستنزاف على العمل المسلح والمواجهة المباشرة مع العدو بل كان منهم من قام بأعمال التجسس خلف خطوط العدو.

وكان عبد المنعم قناوى أول جاسوس من المنظمة يعمل خلف خطوط العدو قبل وبعد نصر أكتوبر.

طلب المقدم فتحى عباس قائد المخابرات العسكرية والمسئول عن المجموعة الفدائية من محمود عواد قائد المجموعة أن يرشح له أحد أفراد المجموعة للقيام بمهمة فدائية خاصة بدون سلاح وعندما علم بطبيعة المهمة استقر رأيه على ترشيح اثنين من أفراد المجموعة أحدهما احتياطى إذا ما اعتذر الأول وكان الأول الذى لم يعتذر عندما طلب منه القيام بهذه المهمة هو الفدائى عبد المنعم قناوى وهكذا صدقت فراسة قائد المجموعة فى معرفته برجاله.

وقف قناوى أمام قائد المخابرات مندهشا وهو يسمع أنه سيقوم بمهمة فدائية بدون سلاح ضد قوات العدو فى سيناء ولم تطل دهشته حين أخبره القائد أنه سيزرع كجاسوس فى سيناء لاستطلاع تحركات العدو والإبلاغ عنها.

وأردف القائد أنها مهمة سرية عن الزملاء وعن أقرب الأقارب وتساءل ماذا أقول عن مدة غيابى، اتفقا على أنه مسافر إلى السلوم لشراء ورق تصوير وأفلام للاستديو الذى

يملكه تمهيدا لاستئناف نشاطه وأضاف القائد: لقد رشحك قائدك وأعطاك رقم ١ حيث استند إلى أنك صاحب الرقم القياسي فى الطلعات الفدائية وأنك جسور لا تهاب الموت بالإضافة إلى أن ملامحك أقرب إلى بدو سيناء، كما أنك مصور محترف.

الجمعة ١٩٧٣/٩/١٤

فى مكتب قائد المخابرات ووعبد المنعم قناوى يؤدى التحية العسكرية للقائد ويسمع تفاصيل مهمته والمعدات التى سيحملها والتى تتكون من منظار مكبر مداه ٥ كم وآلة تصوير وجهاز لاسلكى لإبلاغ الرسائل بعد سماع النداء من إذاعة صوت العرب عقب كل نشرة أخبار من هذا الراديو الصغير، وستكون بمفردك من غير سلاح وعليك التخفى عن أعين العدو وأنت خلف خطوطهم الدفاعية وكن يقظا حذرا وعيناك مركزتان على تحركاتهم من خلال عدسة منظارك والتقاط الصور بقدر الإمكان.

قناوى: إذا اكتشفوا موقعى ووقعت فى الأسر؟

القائد: تكون المهمة قد فشلت وخسرناك.

قناوى: من أين وكيف سأعبر إلى الضفة الغربية لسيناء؟

القائد أشار إلى نقطة على خريطة خليج السويس: ستعبر من هنا من الزعفرانة وهناك ستجد فى انتظارك من يساعدك من رجالنا.

قناوى: متى سأعبر؟

القائد: الساعة الثامنة مساء بعد حلول الظلام وبعد وصولك إلى الشاطئ ستجد أعرابيا يسألك عن كلمة السر، وسيصحبك مشيا حتى موقعك بجبال ممر متلا ويتركك هناك لتنفذ مهمتك. فى الموعد المحدد نزل قناوى إلى القارب المطاطى يعاونه أحد المتطوعين على الإبحار ومعه معداته فوق ظهره وسار فى اتجاه الشاطئ، وحين وصل إلى العمق كانت الأنوار الكاشفة للزوارق الحربية للعدو تمسح الخليج فتوقف القارب عن الحركة وكلما ابتعدت الأنوار تحرك القارب واستغرقت هذه المناورات ٤ ساعات حتى وصل إلى الشاطئ الرملى المتفق عليه وودع صاحبه البحار شاكرا، وفى الموقع المحدد وجد أعرابيا جالسا القرفصاء، فألقى عليه السلام ثم سأله هل تعرف كلمة السر.

الأعرابى: وانت عبد المنعم قناوى؟

قناوى يحتضن الأعرابى ويسأله أن يقوم بتوصيله.

الأعرابى لا بد من تغيير الأفرول. وأعطاه ملابس أعرابى للتخفى. ومن فوق التل الرملى على الشاطئ خلف جبل حمام فرعون سارا فى اتجاه الغرب حتى بلغا موقع ممر

متلا عند سفح أحد الجبلين الذى يمتد بينهما ممر متلا لمسافة ١٧كم.

الأعرابى: لقد وصلت يا أخى بسلامة الله وهنا ستتمركز لتنفيذ مهمتك.

قناوى: كيف سأحصل على الماء والطعام بعد نفاد الكمية القليلة التى معى؟

الأعرابى: لا تتحرك من هنا وسأتردد عليك كلما سمحت الظروف لتزويدك بالماء والطعام.

وجلس قناوى لينال قسطا من الراحة وبعد أن أدى صلاة الفجر وتناول بعض الطعام ثم أخذ يستطلع المكان بمنظاره وجهاز الراديو مفتوح على إذاعة صوت العرب، وبعد نشرة السادسة سمع من ينادى عليه: من جمال إلى كمال، نفذ سالم، وأسرع إلى جهاز اللاسلكى ونادى: من كمال إلى جمال حول، حمدا لله على سلامتك اثبت مكانك ونفذ مهمتك.

ومكث قناوى لا ينام الليل إلا قليلا، وكان دائم الاستطلاع ليلا ونهارا يبلغ عن تحركات العدو عقب كل نشرة أخبار.

اللقاء الأول على سطح جبل ممر مـ ستلقى قناوى على جانبه وبجواره الراديو فى انتظار نشرة الساعة الثامنة مساء وأ... إغفاءة تنبه بعدها إلى صوت يقف خلفه ويلقى عليه السلام وكلمة السر وأحضر له زميله الأعرابى بعضا من الطعام والماء وكيسا من تمر وقدرا من اللبن، وقال له الأعرابى: كل سنة وانت طيب غدا شهر رمضان.

قناوى: ما رأيك لو تتناول السحور معى؟ الأعرابى: كان بودى ولكن الأوامر أن تظل بمفردك. وودعه الأعرابى وانصرف.

العبور

٧٣/١٠/٦

العبور: صباح يوم العاشر من رمضان كان السكون يخيم على مواقع العدو وتذكر أن اليوم هو عيد الغفران عند اليهود، وعندما اقتربت الساعة من الثانية ظهرا حتى سمع أزيز أسراب من الطائرات قادمة من جهة الشرق تضرب دشم ومواقع ومراكز العدو وتشعل فيها النيران، أسرع إلى جهاز اللاسلكى ونادى: من كمال إلى جمال حول، من جمال إلى كمال نفذ سالم.

شاهدت، أبق مكانك وانتظر النداء. وظل مكانه يمارس مهمته فى الرصد والإبلاغ عن تحركات العدو حتى وجد نفسه بعد فترة محاصرا بين القوات المتحاربة.. مما صعب عليه أداء مهمته.

عقب إذاعة إحدى نشرات الأخبار جاءته التعليمات:

من جمال إلى كمال.. نفذ سالم

من كمال إلى جمال.. حول

نفذ الأمر وعد فورا إلى جبل عتاقة.

قناوى: كيف أعود وكل الطرقات مسدودة أمامي؟ وهل من الضرورى العودة إلى الجبل؟

القائد: نعم، كى تكون قريبا من السويس لتنزل إليها وتجمع المعلومات.

قناوى: العودة للجبل شبه مستحيلة.

القائد: تصرف وعد من سيناء فورا.

١٦/١٠

لم يكن يعرف أن العدو قد اخترق من الثغرة وسار محاولا اكتشاف سبيل للعودة، وشاهد أثناء سيره طائرات الهليوكوبتر الإسرائيلية تسقط كتلا كبيرة من الخرسانة على سطح سفينة أغرقوها فى مياه القناة لتصنع طريقا يصل بين ضفتى القناة.

مكث بعيدا وسط كومة من الرمال وطرأت عليه فكرة انتحارية ولكن ليس أمامه غيرها فقد استقر رأيه على التسلل ليلا عبر الكوبرى الذى أقامه العدو وحين حل الليل بدأ السير ببطء وعيناه ترقبان حركة العدو بالجرى تارة والزحف تارة أخرى حتى وصل إلى الضفة الشرقية عند منطقة الدفرسوار ومنها أمكنه اختراق المنطقة حتى وصل إلى مقر قيادته ليقدم آخر تقاريره عن العدو.

مهمة جديدة

كان المهمة الجديدة هى التسلل إلى جبل عتاقة لكشف تحركات القوات الإسرائيلية التى كانت قد احتلت ميناء الأدبية.

قناوى: ليس لدى خبرة بدروب جبل عتاقة.

القائد: كلفنا أعرابيا من أعضاء المنظمة لإرشادك.

قناوى: هل من الممكن أن أطلب إجازة قصيرة لرؤية والدتى.

القائد: أمامك ٤٨ ساعة وتذكر أنك لا زلت فى السلوم ووجدت عملا هناك فالمهمة سرية وبعد وصولك السويس لا تنس مقابلة المقدم فتحى عباس.

وأخذ قناوى طريقه إلى السويس وتوجه فورا لمقابلة قائد المخابرات العسكرية الذى هنأه على نجاحه فى مهمته ولبس الأفرول الكاكى وذهب لقضاء إجازته بين أسرته التى

استقبلته بحفاوة بالغة. بعد يومين عاد إلى قائده وتسلم معداته وركب سيارة أوصلته إلى وادى حجول وقال: له قائده: احذر فقد تحول الموقف إلى الأصعب. وتركه قائده بعد وداعه، وفى منطقة وادى حجول مسح المنطقة بمنظاره فوجد أعرابيا جالسا على تل فذهب إليه وألقى عليه السلام وكلمة السر.

الأعرابى: أنا اسمى سالم وحمدالله على سلامتك يا وحش.

قناوى: إذن هيا نقترب من السويس وسار فى بطن الوادى وسطح الجبل حتى وصل إلى شريط السكة الحديد المؤدى إلى مصنع السماد وهناك كانت الدبابات الإسرائيلية تسد الطريق.

غارة جوية

فى صباح ٢٢ أكتوبر وأثناء الإرسال سمع أصوات مجموعة من الفتيات يتحدثن معا وسألته إحداهن ضاحكة: الله أنت صوتك حلو قوى يا ترى أنت فين؟ وبتتكلم منين؟، صمت ولم يرد وعادت تقول: مش عايز تقولى أنت فين وأنا نفسى أتعرف عليك وأشوفك.

ولم يرد فقد فطن أن هذه الفتاة تتجسس عليه بأجهزة التصنت الإليكترونية لاكتشاف مكانه فقطع الإرسال فورا وبعد دقائق سمع أزيز طائرة هليوكوبتر هبطت على الأرض فأسرع بالاختباء مع زميله خلال فتحة ضيقة لحجر محفور فى صخرة ضخمة وصعدت الطائرة لأعلى تحوم حول الموقع الذى غطته بطلقات مدافعها الرشاشة بدرجة كثيفة ثم انضمت إليها ثلاث طائرات أخرى وأخذت تصوب رشاشاتها إلى الصخرة وهما قابعان داخل الحجر حتى انتهت الغارة التى استمرت من العصر وحتى غروب الشمس. ثم قررا مغادرة المكان بعيدا عن استطلاع الطائرات وفى الموقع الجديد كان يسمع النداء عقب كل نشرة أخبار ولكنه لم يرد خوفا من اكتشاف موقعه الجديد وصدق ظنه فقد شاهد فى الصباح طائرات قوات إسرائيلية تمشط المنطقة وخلال الليل كانوا يطلقون المشاعل التى تحيل الليل إلى نهار فقررا النزول من فوق الجبل والاتجاه إلى وادى الآثار الشرقى المؤدى إلى السماد ووادى الآبار الغربى المؤدى إلى حجول للتمويه على العدو وتضليل قواته، ولاقا فى السير صعوبات جمة واستطاع أن يبلغ قيادته بتحركات ومواقع، وكانت لهذه المعلومات قيمة بالغة جعلت المقدم فتحى عباس يستدعى قائد المجموعة محمد عواد لوضع خطة مواجهة العدو وجها لوجه وانتهت المعركة بفشل العدو وعدم تمكنه من اقتحام المدينة وكان قناوى واقفا يستطلع بمنظاره من فوق الجبل «عتاقة» لا يدرى ما حدث ولكنه تلقى رسالة تخبره بالنصر وتؤكد عليه الثبات فى مكانه لمتابعة تحركات العدو وحامت طائرة إسرائيلية فوق الوادى الذى كان يختبئ فيه عبد المنعم وصاحبه وما لبثت أن ابتعدت، وبسرعة تحرك

الاثنان إلى جوف الوادى وأخذ يستطلع المنطقة بمنظاره فشاهد مجموعة من الجنود قادمة كانوا خمسة أفراد أحدهم يحمل خوذته وبها بعض قطرات الماء والثانى يحمل جركن به ٣ أكواب من الماء والثالث يحمل زمزمية وفى جرابه مسدس والباقون لا يحملون شيئا وقد ظهر عليهم الإرهاق الشديد ووضح أنهم تائهون بالجبل وبعد أن أوقفوهم رافعين أيديهم اتضح أنهم مصريون وطلبوا منهم إنقاذهم فسار بهم حتى وصلوا إلى منطقة عوبيد بالقرب من الكيلو ١٠١ وهناك شاهدوا مركزا للاستطلاع فابتعد عنه، ولكنه شاهد مركزا آخر بادرهم بإطلاق الرصاص فوق رؤوسهم فجلسوا القرفصاء وأيديهم فوق رؤوسهم واقترب منهم الجنود المصريون وقبضوا عليهم واقتادوهم إلى قائدهم الذى سألهم: هل أنتم يهود؟

قالوا: نحن مصريون فأخذوهم حتى وصلوا إلى اللواء عبد المنعم واصل فاستجوبهم فأخبره قناوى بمهمته بل ذكره بأنه هو المصور الذى أرسل له صورة بمناسبة احتفال ٢٢ مارس عيد السويس القومى فاطمأن إليه وعرفه وبعدها طلب إعادته إلى الجبل لاستطلاع العدو وإرسال البرقيات عقب نشرة الأخبار بصوت العرب.

إنقاذ قيادة الجيش الثالث

قبل أن أغادر مكتب اللواء عبد المنعم واصل أبلغته أننى وأنا فى طريقى إليه اكتشفت نقطة استطلاع متقدمة للعدو فوق مركز قيادة الجيش الثالث وطلبت منه أن ينظر من نظارة الميدان.

وعلى الفور طلب اللواء واصل العقيد المسئول عن الاستطلاع بالجيش وراح يؤنبه بعد أن شاهد بعينه خمسة جنود للعدو وبجوارهم طائرة هليكوبتر صعدت إلى الجو أثناء حوارنا فشكرنى وأمر إحدى السيارات أن تعيدنى إلى موقعى واعطانى كرتونتين سجائر بلمونت وبعض الطعام.

فى اليوم التالى قامت الطائرات الإسرائيلية بدك موقع قيادة الجيش الثالث، حزنت كثيرا لاعتقادى أن كل من كان بالموقع قد قتل ولكنى علمت بعد ذلك أن اللواء واصل قد أمر على الفور بنقل القيادة إلى موقع قيادى فى منطقة الربيكى عند الكيلو ٥١ وأن عملية النقل استمرت من المغرب حتى طلوع الفجر. وبذلك تم إنقاذ قيادة الجيش الثالث من الدمار.

رحيل العدو

فى يوم ٢٨ يناير ١٩٧٤ رحلت قوات العدو وفتح الطريق وسمع عبد المنعم النداء من

جمال إلى كمال.. نفذ سالم، من كمال إلى جمال.. حول مبروك يا وحش انتهت مهمتك وعد إلى السويس فودع زميله سالم وسار فى الطريق إلى السويس وهناك وجد معرضا للغنائم أقامة الفدائيون ودخل إلى المعرض ووقف أمام زميل أحمد العطيفى الذى لم يتعرف عليه فى بادئ الأمر لكثافة لحيته وتحول جسده وعينيه الغائرتين وأفروله الباهت وعندما احتضنه عبد المنعم قناوى مال العطيفى على زميله له يسأله: مين ده يا وحش؟ فانهمرت دموع عبد المنعم قناوى وسأل أين باقى الزملاء؟ أجابه العطيفى: نقصنا أربعة يا وحش ولكنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

يوميات الحصار

الجمعة ٧٣/١٠/٢٦

أول أيام عيد الفطر والمدينة محاصرة وقد أدى المواطنون صلاة عيد الفطر فى مسجد الشهداء وقام العدو بقصف المدينة بالطائرات والمدفعية من جميع الجهات وحاول العدو اقتحام المدينة بالخداع وأحضر بعض المواطنين بالقطاع الريفى بحجة توصيلهم للمدينة وخلفهم فوج مدرع من الدبابات والمجنزرات إلا أن نقطة الحراسة تنبهت لهذه الخدعة وتصدت له القوات المدافعة عن المدينة ودمروا له دبابة فتراجعت على الفور باقى الدبابات.

اشتباكات بالأسلحة الخفيفة

٧٣/١٠/٢٧

وصلت قوات الطوارئ الدولية إلى المدينة عن طريق صلاح نسيم وتقدمت قوات العدو من خلفها محتمين بها ولكن بعض المجموعات الفدائية وكان من بينها الضابط حسن أسامة وهو ضابط شرطة، تمكنت من ضرب إحدى دبابات العدو وإصابتها وأوقفت تقدم العدو وفشلت هذه المحاولة إلا أن العدو تمكن بمجهود وبعد عدة محاولات من الربط بين محاوره الثلاثة من السيطرة على طريق صلاح سالم بعد تدمير دبابتين أخريين له على مقربة من نقطة تفتيش العوايد خلال هذه المحاولات.

٧٣/١٠/٢٨

الساعة ١٢،١٥: قدمت قوات الطوارئ الدولية لمقابلة المحافظ وتحديد نقط المراقبة لتتمركز بها قواتها ولكن العدو استمر فى اعتداءاته فى نفس اليوم فقام بردم الترعة الحلوة التى تمد المدينة بالمياه اللازمة للشرب فى نحو الساعة الواحدة مساء وبعدها اقتحم محطة المياه وقصف بعض منشآتها نحو الساعة ٢ مساء واشتعلت النيران بسبب القصف بأحد مخازن الدقيق المتطرفة، ولعدم وجود مياه لإطفائها قام بعض أفراد قوات الشرطة

والمطافئ والمواطنين باقتحام النيران وإنقاذ أحولة الدقيق وقد تم بالفعل إنقاذ جزء كبير منها ونقله إلى مخازن أخرى.

يوم ٧٣/١٠/٢٩

توقف قصف المدينة لكن دبابات العدو ومدفعيته استمرت فى قصف مواقع قواتنا داخل سيناء وعرباتها التى كانت تقوم بتوصيل المياه العذبة إليها وقد تمكن فعلا من إصابة وتدمير بعض هذه السيارات ففى حوالى الظهر وصلت كميات من الأدوية والمهمات بصحبة مندوبى هيئة الصليب الأحمر الدولية وتوجهت إلى مستشفى السويس العام وفى هذا اليوم تمت زيادة كميات الدقيق كما صرفت وجبة جافة لكل فرد من المواطنين والقوات.

٧٣/١٠/٣١

قام المتطوعون والمواطنون بدفن جثث الشهداء المدنيين التى كانت محتجزة لمدة طويلة بالمستشفيات وتم دفنها فى مقبرة الشهداء بالروض فى احتفال مهيب.

٧٣/١٠/٣١

قامت قوات الأمن بدفن باقى جثث الشهداء بمقابر الشهداء العسكريين خارج المدينة كما بدأت إدارة المستشفى العام بالسويس فى توزيع لجان إسعاف داخل المدينة لتطعيم المواطنين والعسكريين ضد الأمراض بصفة احتياطية منعا من انتشارها خاصة مع أزمة المياه القائمة حينئذ.

استمر العدو فى القصف بدباباته ومدفعياته محاولا إصابة المعابر التى تخدم سيارات القوات المسلحة لنقل المواد التموينية والمياه اللازمة للشرب واحتياجات القوات المسلحة الأخرى بمدينة السويس ولكنها لم تصب حتى قامت قواتنا بالرد على العدو. صدر بالنسبة للظروف والعمليات العسكرية قرار من الحاكم العسكرى باعتبار المدينة منطقة عسكرية وصدرت الأوامر العسكرية لتنظيم الحياة واستقرارها لعدم الإخلال بالأمن والتلاعب فى المواد التموينية.

شكلت وحدة الشرطة العسكرية من القوات المسلحة بالمدينة للسيطرة على أفراد القوات المسلحة الذين زاد عددهم وتواجدهم بالمدينة واتخذت مبنى مدرسة الست آمنة مقرا لها وبدأت فى أداء واجبها.

يوم ٧٣/١١/١

بدأت القيادات العسكرية فى سيناء فى سحب الأفراد الذين دفعتهم لحماية مؤخراتها بعد عملية الثغرة فى منطقة الدفرسوار اكتفاء بالقوات التى تفرغت لمراقبة مداخل المدينة وبقوات أخرى مساعدة دفاعية عن المدينة حتى يخف الضغط على المخصصات التموينية

المحدودة للمدينة.

قوات العدو بمناطق الجبلايات تقوم بإطلاق المدفعية فى محاولة منها لضرب المعابر الموجودة جنوبا باتجاه مدينة السويس مستعينة بإحدى الطائرات المروحية.

٧٣/١١/٢

روج العدو إشاعات عن نقص المواد التموينية وعدم وجود مياه واستمر العدو فى محاولة قصف المعابر.

٧٣/١١/٣

استمر العدو فى محاولاته لإصابة المعابر والسيارات التى تنتقل من الشرق إلى الغرب وأذيع فى المساء عبور قوات الطوارئ الدولية بطريق الإسماعيلية إلى الضفة الشرقية لتأخذ أماكنها فى سيناء وعززت الحراسة على مداخل المدينة والمخازن التموينية.

٧٣/١١/٤

اكتشفت بعض الآبار بالمدينة وأجريت الفحوص والتحاليل للمياه المستخرجة ووجدت صالحة للاستعمال، كما شكلت لجنة قوات الشرطة العسكرية للعمل بالمدينة بالنسبة للقوات المسلحة. ما زالت محاولات العدو مستمرة لقصف المعابر.

٧٣/١١/٦

استمرت الحالة كما هى عليه وبدأت الشرطة العسكرية فى أداء واجبها وتحسنت الحالة من حيث النظام والمراقبة والأمن.

٧٣/١١/٧

تمت الموافقة على تشكيل أعمال البريد المصرفية من قبول إيداع المبالغ من المواطنين حرصا عليها بحيث لا يزيد رصيد خزينة البريد عن ٤٠٠ جنيه فقط بخزينة مديرية الأمن.

وكذلك بالنسبة للبنك الأهلى اعتبارا من ٧٣/١١/٢٠ نظرا لحاجة المواطنين إلى سيولة مالية تمكنهم من شراء احتياجاتهم استمرت محاولات العدو لقصف المعابر.

تم تنظيم القيادة العسكرية لقطاع المدينة للنظر فى الشئون العسكرية. شكلت محكمة عسكرية لمحاكمة أحد أصحاب المخابز لإنتاجه خبزا غير صحى ومخالف للمواصفات القانونية.

عقد مؤتمرعسكرى بين القيادات وتعزيز حراسة مداخل المدينة.

٧٣/١١/٨

تولت الشرطة توزيع الخبز على المواطنين المدنيين حتى يحصل كل مواطن على

حقه..محاولات العدو مستمرة لقصف المعابر.

٧٣/١١/١٠

اجتمع المسئولون بالمواطنين بمسجد أبو الليف.

٧٣/١١/١٤

تقديم وجبة غذائية من اللحوم للمواطنين والهيئات، وقد تم طهى اللحوم الخاصة بالمدينة فى مستشفى السويس العام، ووزعت صباح يوم ٧٣/١١/١٥ مع الخبز.

٧٣/١١/١٥

وضع نظام استلام المواد التموينية القادمة من القاهرة.

٧٣/١١/١٧ ،١٦

تكررت عملية تفريغ المواد التموينية. تلقت غرفة العمليات مساء يوم ٧٣/١١/١٢ فى المركز القيادى للمحافظة بمدينة نصر الاتفاق الذى تم فى محادثات الكيلو ١٠١ بشأن السماح بحصول مدينة السويس على إمدادات يومية من الطعام والماء والدواء بفرح بالغ ودب فى الغرفة نشاط محموم لتدبير الاحتياجات المطلوبة واستيقظت مصر كلها لتلبية احتياجات السويس، استيقظ وزراء واستيقظ رؤساء مجالس إدارات ومحافظون خارج القاهرة كل منهم يلبى ما يطلب منه ويدفع به إلى المقر المؤقت فى مدينة نصر حتى تكون أسطول من السيارات به كل ما تحتاج إليه المدينة.

ووقفت السيارات تنتظر الأمر لها بالتحرك ولكن مماطلات العدو وتعمده اطالة فترة الانتظار وحرمان المدينة من احتياجاتها أملا فى انهيارها، كان وراء هذا التعطيل المتعمد للامدادات التى تنتظرها المدينة.

بالإضافة إلى تعنت العدو بمنع بعض السلع من الوصول إلى المدينة بحجة أنها تستعمل فى الأغراض العسكرية مثل حجارة البطاريات والوقود.

بيان بالإمدادات التى وصلت السويس

١١/١٥: ٢٥ سيارة نقل اشتباكات بالأسلحة الصغيرة.

١١/١٦: ٣٢ سيارة. واعتراض العدو على سيارتين محملتين بالوقود.

١١/١٧: ٣٣ سيارة.

١١/١٨: ٢٥ سيارة. طائرات العدو تحلق على ارتفاع شاهق فوق السويس. اشتباكات بالأسلحة الصغيرة.

١١/١٩: ٣٢ سيارة. العدو يقصف بور توفيق.. طائرات العدو فوق المدينة.

١١/٢٠: ٣٢ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١١/٢١: ٣٣ .. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١١/٢٢: ٣٣ سيارة.

١١/٢٣: ٣٣ سيارة.

١١/٢٤: ٣٥ سيارة، اشتباكات بالأسلحة الصغيرة.

١١/٢٥: ٣١ سيارة أعيدت سيارتان محملتان بالوقود حيث اعترض العدو على تموين المدينة بالوقود لأن الاتفاقية لم تتضمن الحصول على الوقود وكذلك أحجار البطارية.

١١/٢٦: ٣٣ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١١/٢٧: ٣٠ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١١/٢٨: ٣٣ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١١/٢٩: ٣٣ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١١/٣٠: ٣٣ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١٢/١: ٣٢ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١٢/٢: ٣٣ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١٢/٣: ٣٠ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١٢/٤: ٣١ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١٢/٥: ٣٠ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١٢/٦: اشتباك بالأسلحة الصغيرة فى منطقة جبلاية السيد هاشم.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.. اشتباك بالمدينة بين قواتنا وقوات العدو.

١٢/٧: ٣٥ سيارة. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١٢/٨: ٢٨ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.. العدو لم يسمح بدخول المجلات إلى مدينة السويس واستولى عليها وسمح فقط بدخول الصحف اليومية.

١٢/٩: ٢٧ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١٢/١٠: ٢٧ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة اشتباك بالأسلحة الصغيرة.

١٢/١١: ٢٨ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة اشتباك بالأسلحة الصغيرة.

١٢/١٢: ٢٩ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١٢/١٣: ٢٦ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.. اشتباكات بالأسلحة الصغيرة.

١٢/١٤: ٢٨ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١٢/١٥: ٢٨ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١٢/١٦ اشتباك بالأسلحة الصغيرة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.

١٢/١٧: ٣٠ سيارة.

١٢/١٨: ٣٣ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.. اشتباك بالمدفعية والأسلحة الصغيرة.

١٢/١٩:٣٠ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة

١٢/٢٠:٣٢ سيارة.. طائرات العدو تحلق فوق المدينة.. اشتباك بالمدفعية والاسلحة الصغيرة.

١٢/٢١:٢٥ سيارة.. اشتباك بالأسلحة الصغيرة.

١٢/٢٢:٢٥ سيارة.. اشتباك بالأسلحة الصغيرة.

١٢/٢٣: ٣٠ سيارة.. اشتباكات بالمدفعية والرشاشات.

١٢/٢٤: اشتباكات بالمدفعية والأسلحة الصغيرة بين قواتنا وقوات العدو .

١٢/٢٥: اشتباكات بالمدفعية والرشاشات.. أمر عسكرى بحظر التجول فى المدينة من الساعة السادسة مساء حتى السادسة صباحا.

١٢/٢٦–٣٠ سيارة.. اشتباكات بالأسلحة الصغيرة.

١٢/٢٧–٣٠ سيارة.. اشتباكات بالأسلحة الصغيرة والمدفعية.

١٢/٢٨: ٣٠ سيارة.. اشتباكات بالأسلحة الصغيرة.

١٢/٢٩: ٢٨ سيارة.. اشتباكات بالأسلحة الصغيرة.

١٢/٣٠: ٢٤ سيارة.. اشتباكات بالأسلحة الصغيرة.

١٢/٣١: اشتباكات بالأسلحة الصغيرة و المدفعية.

١/١:٢٦ سيارة.. اشتباكات بالرشاشات. .

١/٢:٢٦ سيارة.. اشتباكات بالرشاشات.

١/٣: اشتباكات بالمدفعية والأسلحة الصغيرة وطلب ضابط قوة الطوارئ الدولية تأخير دخول السيارات من منطقة المثلث لحين انتهاء اشتباك العدو.. رفض السماح بدخول سيارات التموين القادمة من القاهرة.

١/٤: ٣٥ سيارة.

١/٥: ٢٧ سيارة.

١/٦: لا يوجد شيء.

١/٧: ٢٨ سيارة.. اشتباكات بالرشاشات.

١/٨: ٢٦ سيارة اشتباكات بالأسلحة الصغيرة.

١/٩: ٣٣ سيارة.. العدو منع هذه السيارات عند منطقة الكيلو ١٠١ نظرا لوجود اشتباك فى هذه المنطقة.

١/١٠:١٨ سيارة.. اشتباكات بالمدفعية والأسلحة الصغيرة.

١/١١:٣٠ سيارة.. اشتباكات بالأسلحة الصغيرة.

عادت السيارات بدون تحميل بعد أن أفرغ حمولة السيارات القادمة من القاهرة بمنطقة التفريغ وتبين أن العدو رفض إدخال المواد التموينية إلى المدينة لوجود اشتباكات مع قواتنا بمنطقة الكيلو ١٠١.

١/١٢: ٢٦ سيارة.

١/١٣: ١٣ سيارة.. اشتباكات بين قواتنا وقوات العدو بالمدفعية والأسلحة الصغيرة.

١/١٤: ٢٧ سيارة.. أوقفت عملية تفريغ السيارات بناء على طلب العدو بسبب الاشتباكات عند الكيلو ١٠١ وعند الإسماعيلية. العدو يقيم ساتراً ترابياً على طريق مصر السويس عند التقائه بطريق مصر الإسماعيلية، وأنه تم رفع الردم إلى مستوى ٣ متر.

١/١٥:١٨ سيارة.. اشتباكات بالمدفعية والأسلحة الصغيرة، وإصابة ٨ منازل.

١/١٦:٢٤ سيارة.. اشتباكات بالأسلحة الصغيرة.

١/١٧: ٢٣ سيارة.. اشتباك بالمدفعية والرشاشات. إصابة ٣٣ منزلا.

١/١٨:٢٢ سيارة.. العدو رفض دخول كميات من الملابس والأغطية وشفرات الحلاقة وإعادة السيارات الحاملة لها إلى القاهرة.

١/١٩:٢٣ سيارة.

١/٢٠: لم تقع حوادث.

١/٢١:٢١ سيارة.

١/٢٢: ٢٠ سيارة.

١/٢٣:٦ سيارات.

١/٢٤:٦ سيارات.

١/٢٥:٦ سيارات.

١/٢٦:٣ سيارات.

كيف عاشت المدينة أيام الحصار؟

كانت أيام الحصار للمدينة التى بدأت بعد وصول قوات الطوارئ الدولية أياما قاسية وعصيبة، انتصر فيها الإنسان المصرى على نفسه أولا، وظهر فيها الإيثار بأجلى معانيه وفجرت الشدة وفجر العناد قيما أصيلة وكامنة فى أعماق وضمير ووجدان هذا الإنسان المصرى وما تميز به من أصالة وعراقة.

لقد تنازلت المدينة راضية عن مخزون المياه لأبناء جيشها الباسل لتمكنهم من الصمود والمقاومة وأخذت المدينة تبحث فى تربتها عن الماء حتى وجدته مالحا قرب سطح الأرض أحيانا وفى مواسير المياه أحيانا أخرى أو فى بئر تفجر ماؤه بقدرة الله ليخفف الشدة فى وقت عصيب.

كما تحملت المدينة ضيوفها الذين وفدوا إليها من جنود المؤخرات وسكان القطاع الزراعى فى المناطق التى اخترقها العدو واكتفى الفرد فيها برغيفين من الخبز، وقبلها كان البحث جاريا فى المخلفات عن كسرة خبز جافة تسد الرمق.

ولو أردنا أن نستكشف كيف أدى كل قطاع من قطاعات الخدمات دوره وكيف تغلب على ظروفه المعوقة التى كانت تقف دونه فى استحالة تمنعه من أداء دوره- لأفردنا لذلك صفحات طوال. ولو أردنا أن نبحث عن أولئك الذين أدوا أدوارا بطولية لاستحال ذلك أيضا رغم أن البيانات فى الكشوف الرسمية حددت بعض الذين أدوا هذه الأدوار، ومع كل التقدير والاهتمام لهذه البيانات والكشوف الرسمية لا يستطيع أى انسان أن يحدد أو يفرق بين من أدى ومن لم يؤد أدوارا بطولية فالكل يعمل بقدر طاقته وفى ضوء إمكاناته، وأعتقد أن كل من عاش خلال هذه الفترة بطل يستحق وساما فالجميع وبدون استثناء ثبتوا وصمدوا ولم يتذمروا من شىء ولم يتعاركوا على شىء والجميع تعففوا عن كل المغريات التى طرحها العدو وتحملوا الحصار والجوع والحرمان.

إن الكثيرين ممن لم تذكر أسماؤهم فى هذه القوائم كانوا أكثر تعرضا للجوع والعطش من هؤلاء الذين تصدروا القوائم ورغم ذلك صمدوا وتحملوا برجولة وشرف.. فتحية إلى الرجال الذين عاشوا الحصار فقد أعادوا إلينا بطولات وأخلاقيات وسلوكيات تعتبر مثالا يحتذى.

كيف واجهت المدينة أزماتها؟

السؤال الذى يتبادر إلى الذهن بسرعة هو كيف واجهت السويس أزماتها وماذا فعلت لتلبية احتياجات حيوية وضرورية تحت ظروف متغيرة وسريعة.. الدمار ينتشر فى كل مكان وفى كل لحظة.. خبر احتراق مستودع أو تدمير مرفق أو فقد مخزن وضياع مخزون

يمثل ضياع بند تعتمد عليه خطة الطوارئ التى بدأت دعائمها تنهار وبهذا دخلت أجهزة الخدمات امتحانا عسيرا.

وكان عليها أن تتصرف بسرعة وتحت ظروف الضرب والقصف المستمر لسد هذه الاحتياجات وتمكين المدينة من الصمود وتمكين المقاتلين من المقاومة والثبات.. وبدأت فى داخل المدينة التى تقاوم الغزو من الخارج معركة أخرى بين الحياة والموت فى الداخل سلاحها إمكانيات هزيلة وضئيلة ووقودها جهد وعرق الرجال ودماؤهم.. وفى إطار من إيمان وإخلاص وتضحية فى كل القطاعات سوف نستعرض بعض نماذج من قطاعات الخدمات التى كان لها أهمية خاصة:

أولا: شهادة من تقرير المهندس علاء الخولى مدير التموين

إن المواجهة العسكرية ومواجهة العدو كانت قدر هذه المدينة الباسلة التى استطاعت وقفه وتدميره ثم هزيمته بأرواح شهدائها وتضحية أبنائها.

ولكن مواجهة النفس أشق وأصعب وتلبية المطالب الحيوية من الغذاء والماء والوقود ومواجهة الأحداث المفاجئة فرضت على الجميع سرعة التحرك والتصرف والإيثار والتضحية ولقد تطلبت ضرورة العمل أن يكون جهاز التموين موجودا بالمدينة بالكامل رغم نظام إجازات الطوارئ منذ السادس من أكتوبر كما كانوا جميعا موجودين أيضا خلال فترة الحصار وباشروا مهام عملهم تحت ظروف بالغة الصعوبة وأدوا واجبهم رغم كل الصعوبات والعقبات.

بدأت أجهزة التموين فى المدينة فى إعلان حالة التعبئة الكاملة منذ أن بدأت المعركة لجميع إمكانياتها البشرية والمادية لزيادة المخزون السلعى خاصة من المعلبات المحفوظة وزيادة المقررات التموينية المخصصة للأفراد فى المدينة وكذلك إحكام الرقابة على الأسعار وتمثلت بداية المشاكل التى واجهناها فى الآتى:

أولا: الزيادة المفاجئة فى عدد السكان:

كانت مشكلة ضخمة أن يفد إلى المدينة أكثر من ١٢ ألف مواطن فوق سكانها الأصليين البالغ عددهم خمسة آلاف وكانت هذه زيادة سريعة ومفاجئة على أثر تقدم العدو من الثغرة وبدأت هذه الطفرة منذ أيام ٢٢، ٢٣ أكتوبر وكان هذا عبئا أضيف إلى خطة الطوارئ التى لم تحسب لها أى حساب.

وكانت المشكلة الأخرى أن المحلات التجارية لم تتمكن من مباشرة نشاطها بسبب استمرار الضرب ولا بد من توفير الغذاء لهذه الأعداد الهائلة من الجنود والمدنيين محافظة

على صحتهم وصمودهم وتقرر صرف حصة من المعلبات والمواد التموينية المقررة وتم صرف ثلاث معلبات من اللحم والسمك والخضار المحفوظ مع نصف كيلو سكر و٥٠ جرام شاى وتم الصرف بموجب البطاقة الشخصية وبطاقات الإقامة.

ثانيا: احتراق المخازن:

من ٢٤ إلى ٢٩ أكتوبر بدأت مواجهة المواقف الخطيرة فقد احترق أحد مخازن الشركة المصرية لتجارة السلع الغذائية بالجملة وبه كميات من الأرز والسكر والخردوات.

مخزن الدقيق الوحيد الباقى للمدينة شبت فيه النيران وهو مخزن شركة مطاحن شرق الدلتا وباقى المخازن أصبحت تحت سيطرة العدو.

وبدأ الموقف يتهدده خطر بالغ.. أخذت أتصل بكل الجهات والمسئولين لطلب النجدة وأسرعت إلى مسجد الشهداء وأوضحت للحاضرين خطورة الموقف وما قد يتهدد المدينة من مجاعة خاصة أن الموقف يتدهور بسرعة.

واستجاب لندائى عدد من المواطنين وحضر عدد من جنود المطافئ والأهالى لإنقاذ الدقيق وتمكنا من إنقاذ كميات كبيرة من المخزون وزعت على المخابز يومى ٢٥، ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣.

وكانت الحصيلة أن أصبح هناك عجز فى مخزون الدقيق وليس هناك من سبيل إلا توحيد وزن الرغيف بحيث يصبح ٢٣٥ جم ليباع بسعر ١٠ مليمات مع تحديد نصيب الفرد برغيفين فى اليوم للمدنيين ورغيفين بالمجان للعسكريين ثم بدأنا فى نقل باقى الدقيق الذى تم إنقاذه إلى أحد المخازن فى حى الأربعين.

ثالثا: نقص الوقود:

ظهرت مشكلة أخرى فقد توقفت المخابز بسبب نقص السولار واستولى العدو على معظم المواد البترولية بدائرة المحافظة الموجودة بمنطقة الجناين والزيتية وتوقف أيضا وابور النور وانقطعت الكهرباء وأمكن بمعاونة بعض الجنود توفير بعض الوقود ولكن بكميات ضئيلة لا تكفى.

وبدأ البحث عن بدائل للوقود السائل، وبدأت الإدارات الهندسية متعاونة مع جهاز التموين فى إمداد الأفران بهذه البدائل فقد عثر على كميات من الفحم الحجرى فى مدرسة الصناعات البحرية ببور توفيق وزعت على المخابز.

أخشاب منطقة بور توفيق.. كانت الأشجار الموجودة فى بور توفيق تقطع فروعها فى أماكنها وتنتقل الجذوع بواسطة سيارات المحافظة ثم تقطع إلى قطع تتناسب مع غرض الاستعمال وتوزع على المساكن والأفران.

فلنكات السكة الحديد القديمة التى نزعت من أماكنها استخدمت أيضا بعد تقطيعها كبديل للوقود.

ثم وصلت الإمدادات

بدأ وصول إمدادات التموين من القاهرة بعد الاتفاق الذى تم عن طريق قوة الطوارئ الدولية يوم ١٩٧٣/١١/١٥ واستمر فى الوصول يوميا حتى أوائل شهر فبراير ٧٤ وكان متوسط القول من ٢٢-٣٢ سيارة يوميا، وقامت مديرية التموين بتخزينات بمخازن كثيرة بلغت ٣٧ مخزنا سلم كل منها بعد جرده إلى أمين مخزن بواسطة لجان فرعية.

ولقد كانت قولات التموين مجالا لاحتكاكات كثيرة بين القائمين على استقبالها واستلامها من المسئولين والأفراد وبين العدو الذى لم يحترم فى كثير من الأحيان الاتفاقات التى أقرتها قوات الطوارئ الدولية.

ولقد شهدت غرفة العمليات التى أقامتها محافظة السويس فى مقرها المؤقت بمدينة نصر كأقرب موقع للمدينة الصامدة عملا مكثفا ومستمرا على مدى أربع وعشرين ساعة يوميا لتلقى التقارير عن الحالة فى المدينة واحتياجاتها يعاونها فى هذا الأجهزة المختلفة لوزارتى الحربية والداخلية.

وكانت كمية ونوعية المواد المطلوبة والموقف المحدد للتنفيذ يتطلب تصرفا سريعا ومباشرا وجادا تنهار أمامه كل ما تعارفت عليه اللوائح والروتين واضطرت الغرفة فى سبيل تحقيق هذا الهدف أن توقظ المسئولين فى جوف الليل لفتح المخازن ثم لشحن السيارات المطلوبة ليلا.

وأذكر للحقيقة والتاريخ أن هذه الليلة تجلت فيها روح مصر وشهامة أبنائها وتضامنهم وتعاطفهم.. وهب الجميع دون كلل أو ملل لتلبية نداء السويس، ولم تستطع القاهرة وحدها الوفاء باحتياجات المدينة المحاصرة فشاركتها أقاليم كثيرة وبدأت محافظات مصر تتسابق فى العطاء حتى بما لم تطلبه السويس.

وقبل العاشرة صباحا كانت القافلة مكتملة تقف أمام مبنى المحافظة فى انتظار إشارة السير ولكن العدو ماطل وراوغ فى عدد السيارات فأحضرت شاحنات كبيرة لتدمج فيها حمولات السيارات الصغيرة ومرة أخرى فى نوعية السيارات فاستبدلت بالنوعيات المطلوبة. واستمرت المماطلة واستمر إنزال الحمولات وإعادة تحميلها خمسة عشر يوما حتى ١١/١٥ اليوم الذى وصلت فيه أول قافلة للمدينة.

مع أول قافلة تصل إلى المدينة المحاصرة

طلب الضابط المسئول عن قوة الطوارئ الدولية تجهيز عدد من السيارات وضعفه من الأفراد وبعد تعقيدات عديدة من العدو بخصوص نوعية السيارات واشتراط أن تكون سيارات مدنية صرفة وأن جميع العاملين فى الشحن والتفريغ من المدنيين تمت الموافقة على رفع جميع العلامات المميزة للسيارات التابعة للقوات المسلحة والسماح لها بعملية النقل ونظرا لهذه التعقيدات فقد اقتصر الأمر على ثلاثين متطوعا من الدفاع المدنى وثمانية من قوة البحث الجنائى.

وفى الساعة الثامنة من صباح يوم ١٥ نوفمبر ٧٣ وصلت سيارات القوات المسلحة يقودها سائقون بالملابس المدنية وفى حوالى الثامنة والنصف وصل إلى مكان التجمع ضابط برتبة رائد من قوة الطوارئ الدولية وطلب تجهيز ٢٥ سيارة وخمسين فردا لمرافقتها على أن تنزع جميع الأرقام والعلامات الخاصة بالقوات المسلحة وأن ترفع جميع الأغطية الموجودة فوق السيارات وأن تكون مستعدة للتحرك فى الساعة العاشرة صباحا.

وفى الساعة التاسعة عاد الضابط وطلب إحلال سيارات مدنية محل السيارات العسكرية وقد أفهم بتعذر توفير مثل هذا العدد إلا أنه أخبرنا أن العدو يرفض الموافقة على تحميل سيارات القوات المسلحة ولما لم نستطع توفير غير ثمانى سيارات عاد الضابط واتصل بقيادته وانتهت المشكلة بالموافقة على سيارات القوات المسلحة بشرط نزع علاماتها المميزة.

تدخل العدو فأحدث موقفا طريفا

توجه العميد أحمد العمروسى ومعه النقيب صالح عيسى بالملابس المدنية والمهندس محمد علاء الدين الخولى مدير التموين ليكونوا فى استقبال أول قافلة تفد إلى المدينة ومعهم عدد من المسئولين بالإضافة إلى ثلاثين متطوعا وثمانية أفراد من قوة البحث الجنائى وسمح للسيارتين اللتين تقلان الأفراد والقوات بالعبور الى المنطقة المتواجد بها قوات العدو، وعند نقطة تقاطع طريق الإسماعيلية السويس من شارع الجيش عند مدخل المدينة حيث تتواجد السيارات القادمة من القاهرة تدخل العدو بأن يخصص لكل سيارة من السيارات الـ٢٥ فردان من الموجودين وتصادف أن عدد الموجودين جميعهم ٥٠ فردا بما فيهم الضباط والسائقين ومعهم مدير التموين ولم يستطع أحد منهم أن يكشف عن شخصيته حيث كان الجميع بالملابس المدنية وبدءوا فى صمت يزاولون مهنة الشحن والتفريغ ولم يعرف العدو وقتها أن بين العاملين قيادات يزاولون المهنة لأول وآخر مرة فى حياتهم. وفى الساعة السادسة مساء تركت السيارات بعد انتهاء شحنها وعبرت نقطة التفتيش حيث اتجهت إلى

مواقع التخزين السابق تحديدها وكان فى انتظارها مائة فرد لتفريغها وقامت لجان الجرد بتسليمها إلى أمناء المخازن الذين تم تعيينهم بمعرفة مديرية التموين.

نظام استقبال القوافل كما وضعه العدو

١- تتوجه السيارات المحملة بالأفراد إلى أول نقطة مصرية عند مدخل السويس بمنطقة المثلث.

٢- يترجل الأفراد ويدخلون إلى المنطقة التى يحتلها العدو بصحبة قوة من قوات الطوارئ الدولية حيث كان مكان تجميع السيارات القادمة من القاهرة، وهذه السيارات تصطف على هيئة طابور بجوار مكان محاط بالأسلاك الشائكة ومعد للتفريغ ويحرسه من الخارج جنود العدو ومن الداخل أفراد من قوة الطوارئ الدولية.

٣- يقوم كل فردين بتفريغ حمولة كل سيارة على الأرض بجوارها ثم عقب الانتهاء من تفريغ السيارات القادمة من القاهرة تغادر هذه السيارات السويس عائدة إلى القاهرة.

٤- بعد تمام انصراف السيارات القادمة من القاهرة يسمح بدخول السيارات القادمة من السويس حيث تقف بنفس نظام سيارات القاهرة.

٥- يتم تحميل السيارات وعند انتهاء التحميل تعود إلى السويس حيث يتم تفريغها وتخزينها.

٦- يحدد يوميا العدد المطلوب لليوم التالى من السيارات والأفراد الذى استقر أن يكون ضعف عدد السيارات باعتبار كل سيارة يتولى تفريغها وتحميلها فردان إن استمرت هذه العملية على هذا الوضع إلى أن أمكن التوصل إلى موافقة العدو على وجود ضابط اتصال بمنطقة المثلث عند التفريغ وإعادة الشحن لتلافى جميع الشكاوى التى كانت تصدر سواء من العاملين أو من قوة الطوارئ الدولية، وبهذا اختفت الشكوى من معاملة قوة الطوارئ الدولية كما اختفت شكاوى قوة الطوارئ أيضا بعد تعيين ضابط اتصال ممن يجيدون اللغة الإنجليزية.

رابعا: مشكلة المياه

لم تكن مشكلة الغذاء أو التموين هى التى فرضت نفسها فقط بل بدأت المشاكل فى كثير من المرافق نتيجة استيلاء العدو وتدميره لكثير من المنشآت والمرافق الحيوية وبدأت أخطر هذه المشاكل فى مرفق المياه.

رغم أنه قد تم إصلاح مأخذ المياه فى خطوط المواسير ورفع كفاءة المحطات خاصة محطات جنيفة وكبريت والكمامنتو لسد احتياجات القوات المسلحة فإن مشكلة المياه قد

طغت على السطح وأصبح لها أهمية وخطورة بالغة ولقد تمثل مخزون المياه سواء المرشحة أو العكرة فى الآتى:

٢٦ ألف متر مكعب مياه مرشحة مخزنة بمحطات مياه الإسكان ١و ٢ وجنيفة وكبريت وهيئة القناة.

٩٠ ألف متر مكعب مياه عكرة مخزنة بمناطق الشركات (السويس لتصنيع البترول - النصر للبترول - السماد - هيئة القناة).

احتل العدو محطتى جنيفة وكبريت ثم محطة ١و ٢ فى ٢٢ أكتوبر ونقص بذلك مخزون المياه.

احتل العدو منطقة الأدبية وسيطر بذلك على مخزن المياه بمنطقة الشركات فيما عدا محطة هيئة قناة السويس لوجودها داخل المدينة.

المياه العكرة والمالحة كبدائل مع لتر ماء للفرد

إزاء هذا الموقف تم إيقاف ضخ المياه بشبكة المدينة واتباع أسلوب التوزيع حتى يمكن الاستفادة من المياه لأطول فترة ممكنة.

وتم استعمال المياه العكرة فى التبريد واستعمال المياه المالحة فى غير أغراض الشرب فى قطاعات المدينة المختلفة، وقد تحددت كميات المياه بعد قطع الطريق فى المصادر الآتية:

١- مخزون المياه بمحطة هيئة القناة بالمدينة.

٢- كمية المياه المحجوزة بالترعة ما بين مأخذ المحطة والسد الترابى الذى أقامه العدو على ترعة الإسماعيلية على مسافة ٥٠٠م ونظرا لضآلة كميات المياه الصالحة للشرب، ونظرا للظروف الحرجة فقد تقرر صرف خمسة أمتار مكعبة يوميا للمخابز كل بنسبة إنتاجه وثلاثة أمتار للمستشفى.

ونظرا لقرب محطة المياه الرئيسية من العدو واحتمال تعرضها للقصف مما يهدد بفقد مصدر المياه الوحيد فقد تم نقل جزء كبير من مخزون المياه لتخزينه فى أماكن أخرى بقصد التحفظ على جزء منه يمكن الاعتماد عليه عند الحاجة وأثناء عمليات نقل المياه تبين أن النقل بالسيارات يسبب فاقدا يقدر بنسبة عشرة فى المائة، ونظرا لأن كل نقطة مياه لها قيمتها فى هذا الوقت العصيب فكان أن تكفلت جهود هيئة القناة والقوات المسلحة بإصلاح الخزان العلوى وعمل غرابين خارج سور المحطة متصلين بالخزان العلوى وباستخدام الغرابين فى ملء عبوات المياه أمكن توفير الفاقد من المياه.. وزعت كميات من المياه على القوات المسلحة بالجيش الثالث ووضع نظام خاص بتوزيع المياه يقضى بإعطاء كل فرد لتر

واحد من المياه يوميا، كما تم فك فناطيس المياه المركبة على شبكة المياه وسلمت إلى الجيش الثالث لاستخدامها فى تخزين المياه، هذا بالإضافة إلى إنشاء خط ميدانى للمياه نظرا لتعرض السيارات المحملة بالمياه للقصف واستهلاكها للوقود.

المياه العكرة

ولقد اعتمد على المياه العكرة المخزنة بقاع ترعة المغربى المتفرعة من ترعة الإسماعيلية فى تزويد خزانات التبريد بمحطات القوى الكهربائية توفيرا للمياه النقية التى كانت تزود بها هذه المحطات عن طريق شبكة مياه المدينة، وحين وجد أن طريقة نقل هذه المياه مكلفة حيث تحتاج إلى وقود للسيارات وكذلك لطلبمات المطافئ وتقرر البحث عن وسيلة أخرى لتوفير الوقود- كانت سواعد الرجال هى البديل حيث استعملوا الفوارغ الصفيح فى نزع المياه من قاع الترعة.

المياه المالحة

تم تحديد مجالات استخدام المياه المالحة فى أعمال النظافة وطرد المخلفات بدورات المياه والمساجد والمستشفيات والمحافظة وأماكن التجمع الأخرى وتنقل بواسطة عربات الرش التى تجرها البغال توفيرا للوقود ويتم ملئها بسواعد الرجال.

مياه الآبار

أرشد بعض المواطنين عن بئر قديمة وهى بئر سيدى عبد الله الغريب وقد تم تحليل مياهه فوجدت صالحة للاستعمال الآدمى وكان التصرف بمعدل لترين فى الدقيقة وتم التصريح للمواطنين باستخدامه فى كافة الأغراض.

وقد تم حفر عدة آبار بالمدينة ولكنها لم تحقق ما كان مرجوا منها وكان لا بد من العناية بمرفق المجارى وإصلاح الأعطال وتخصيص فرق لجمع القمامة وإحراقها وأخرى لإزالة الأنقاض وإفساح الطريق منعا لانتشار الأوبئة ولمواجهة متطلبات الموقف.

الكهرباء والقوى المحركة

دمرت أبراج شبكة الضغط العالى الموصل للتيار الكهربائى من القاهرة إلى السويس وبذلك فقدت المدينة المصدر الأساسى للتيار الكهربائى ولم يبق بالمدينة إلا بعض ماكينات الإنارة التى أقيمت سلفا للطوارئ ولم تكن من الكفاءة بحيث تغطى الاحتياجات الملحة فى المجالات الآتية:

أ- المستشفيات، لضمان استمرار تشغيل غرفة العمليات وأجهزة التعقيم والمعامل وثلاجات حفظ الدم والمشرحة بحيث تبقى المستشفيات قادرة على القيام بعملها فى رعاية

المقاتلين وحفظ أرواحهم.

ب- المخابز وذلك لتشغيل المعاجن الكهربائية بحيث يمكن تغطية احتياجات القوات المسلحة والمواطنين.

جـ- تشغيل الورش وأجهزة شحن البطاريات والسنترال الداخلى للمدينة واللاسلكى وطلمبات الوقود. وكان لا بد من تشغيل كافة مصادر توليد الكهرباء المتاحة فى إطار نوبات إدارة تتناسب وحالة كل مصدر بحيث تضمن فى النهاية استمرار التيار واستخدامه فى تشغيل المرافق الحيوية ووضعت خطة للتشغيل بحيث تعطى أهمية خاصة للمستشفى - السنترال - القوات المسلحة، وقد استخدمنا بدائل للوقود وتمثلت فى المصادر الآتية:

١- الفحم الحجرى الذى عثر عليه فى مدرسة الصناعات الثانوية البحرية.

٢- أخشاب أشجار منطقة بورتوفيق.

٣- خشب كسر مديرية التربية والتعليم.

٤- فلنكات السكة الحديدية وكانت تقطع وتوزع حسب أغراض الاستعمال.

ثانيا: شهادة من تقرير المرحوم د. محمد أيوب مدير الشئون الصحية، كلمة وفاء:

قبل استعراض الجهود التى بذلت فى مجال الرعاية الصحية لايستطيع الإنسان إلا أن يقف بكل تقدير واحترام وخشوع أمام جهد خارق وقيادة إنسانية واعية.. لشهيد الواجب الدكتور محمد أيوب مدير مديرية الشئون الصحية والذى تولى قيادة هذا القطاع قبل وأثناء حرب أكتوبر والذى شاء قدره أن يلقى ربه بعد أدائه لواجبه حتى آخر يوم فى الفترة العصيبة التى عاشتها السويس، وكان جثمانه أول مشهد حزين تقع عليه أنظار القادمين إلى السويس يوم فتح الطريق لأول مرة بين السويس والقاهرة بعد فترة الحصار. وكان رحمه الله خطيبا بليغا يتميز بالبلاغة والفصاحة وجمال اللفظ وفخامة العبارة. وسوف نبدأ الحديث هنا بالمقدمة التى بدأ بها رحمه الله تقرير الشئون الصحية تخليدا لذكراه واعترافا بفضله.

بقلم المرحوم د.محمد أيوب

منذ أن رفضت الجماهير العربية الهزيمة فى يونيو ٦٧ راحت تنظم صفوفها وتحشد طاقاتها وإمكانياتها لتصبح قادرة على المشاركة فى الزحف الكبير حين تعطى إشارة البدء لاسترداد الأرض المغتصبة واستعادة الحقوق المشروعة.

وكان طبيعيا أن تكون الوحدات الطبية المختلفة ضمن الهيئات التى تسعى للوصول إلى

المستوى الذى يمكنها من مواجهة كل الاحتمالات وهى التى ما وجدت فى المجتمع إلا لتخفيف آلام أفراده فى حالة السلم والحرب على السواء.

على الصفحات التالية جهود وحدات مديرية الصحة بالسويس وهى ثمار سنوات من الإعداد المتصل والسعى الدءوب نحو الأفضل والأكمل لا نريد بذلك زهوا ولا افتخارا لأننا نعلم أنه فى فترات النضال وحين يكون بذل الدماء والجود بالحياة ذاتها ليس فقط واجب كل مواطن بل أملا يرتجى وغاية يتنافس للوصول إليها المتنافسون.

فى هذه الفترات لا يصح الحديث عن أيام من الجهد أو حبات من العرق موضعا لزهو أو مباهاة بل لعله أن يكون باعثا على الخجل والحياء إن لم يكن لصاحبه دور سواه ولكننا نفرد هذه الصفحات إنصافا للإنسان المصرى فى كل مكان والذى كان هدفا للحرب النفسية على مدى سنوات طوال تصوب إليه أمضى أسلحتها وتحيطه بحملات تشكيك وتتهمه بعدم القدرة على مسايرة ركب التقدم والحضارة حتى أوشك البعض أن ينخدع بهذه الأكاذيب ولكن ها هى مجموعة من أبناء مصر وبناتها يستطيعون رغم قسوة الظروف وضراوتها أن يكتبوا هذه السطور المضيئة وأن يحققوا نتائج تفوق بكثير ما يمكن أن تحققه اية جماعة مماثلة فى ظروف أيسر وبإمكانيات أكبر وفى أماكن غير متهمة بالتخلف عن ركب الحضارة، وهذا خير حافز لنا لمواصلة السير حتى يتحقق الهدف لنضال امتنا العربية وهو النصر الشامل بإذن الله الذى يهب النصر لمن يشاء من عباده فى ظل قائد هذه المرحلة من نضال أمتنا العربية الرئيس محمد أنور السادات.

الأعمال العلاجية

شاءت أقدار مستشفى السويس العام والعاملين به باعتباره أقرب الوحدات الطبية بالسويس لأرض سيناء أن تحظى بشرف استقبال أبطالنا الجرحى العائدين.

ولم يكن الامر مفاجأة بل سبقته تجارب مستمرة ومحاولات متصلة للإعداد لهذا اليوم، وكان المستشفى قد هيئ لمواجهة شتى الاحتمالات فى مثل هذا اليوم فقد حول جناح الإدارة بمدخل المستشفى إلى قسم كامل للاستقبال يضم ثلاثة عنابر للمرضى وبنكا للدم وصيدلية وغرفة للعمليات الصغرى.

كما أعد قسم داخلى بالدور الأرضى لاستعماله عند الحاجة كبديل للأدوار العليا أو علاوة عليها.

أعد جناح آخر لعمليات الطوارئ بالدور الأرضى به أربع غرف عمليات كاملة التجهيز والمعدات وبها قسم كامل للتعقيم وملحق بها بنك للدم خلاف الموجود بالاستقبال.. حصنت

المستشفى بالسواتر وزودت بوسائل الدفاع المدنى المختلفة وأعدت أيضا بدائل الإنارة والمياه.

يوم ٦ أكتوبر استقبلت المستشفى الدفعة الأولى من أبطالنا الجرحى العائدين الذين كانوا أول من ادى ضريبة الجهاد والذين بدأ يرتفع عددهم مع اتساع مسرح العمليات العسكرية.

ورغم أن العاملين بالمستشفى كانوا قد تلقوا تدريبا كافيا على استقبال هذه الأعداد الغير عادية، خصصت مجموعة من العاملين المزودين بالنقالات والتروليات موجودة بصفة دائمة عند مدخل المستشفى انتظارا لاستقبال أية حالات، وعندما زادت أرقام المصابين والذين كانوا يصلون المستشفى في مجموعات كبيرة العدد دعمت قوة المستشفى بمجموعات من متطوعى الدفاع المدنى خصصت لحمل المصابين من مختلف أقسام المستشفى.

وبمجرد وصول المصابين كانوا ينقلون الى جناح الاستقبال حيث ينتظرهم فريق من الأطباء والممرضات والعاملين يتولون فحص إصاباتهم وإجراء الإسعافات الأولية وأعطاء كافة العلاجات المبدئية لتسكين آلام المصابين وإجراء عمليات نقل الدم والتحاليل لمن يحتاج منهم حتى تتحسن حالتهم وعندما يقرر أطباء الاستقبال الخطوة التالية لكل مصاب حيث يتم نقلهم إما إلى جناح الأشعة حيث ينتظرهم الفنيون طوال الأربع والعشرين ساعة لمزيد من الفحص وتحديد التشخيص وقد قام قسم الأشعة الذى يضم أربعة فنيين بعمل آلاف من صور الأشعة كما قام قسم نقل الدم بعمل آلاف من عمليات نقل الدم التى تمت بنجاح ودون مضاعفات، ومن أقسام الاستقبال أو الأشعة كان المرضى ينقلون إلى قسم العمليات بغرفه الأربع حيث تقاسم العمل فيها أخصائيو الجراحة بفروعها المختلفة، وبعد أيام قليلة اتضح عدم كفاية هذه الغرف الأربع فاستعملت علاوة عليها غرفتا العمليات الأصليتان بالمستشفى وواصلت الغرف الست عملها خلال الأربع والعشرين ساعة من كل يوم ملقية على العاملين أعباء تنوء بها العصبة أولو القوة وما نحسب أى مجموعة أخرى فى نفس العدد تعرضت لمثل هذا العبء فى أى مكان آخر، وحسبنا أن نعلم أن عدد الأطباء المعالجين سواء من قوة المستشفى الأصلية أو الذين خفوا لمساعدتهم من وزارة الصحة أو من الجامعة لم يزد على ثلاثين طبيبا لو قسموا إلى مجموعتين تعمل كل منهما اثنتى عشرة ساعة لكانت المجموعة خمسة عشر طبيبا وهو عدد لا يكاد يكفى لتشغيل غرف العمليات وحدها فضلا عن الاستقبال والأقسام الداخلية وغيرها، كذلك لم يزد عدد عضوات هيئة التمريض عن ٤٠ ممرضة ولم يكن من الممكن تقسيمهن إلى أكثر من مجموعة وهكذا

بالنسبة لباقى فئات العاملين، وكانت النتيجة أن نوبتجية العمل للجميع طالت إلى أن شملت الأربع والعشرين ساعة تقريبا أما الراحة فلم تزد عن إغفاءة قصيرة تختلس بين عمل وعمل. وأما كيف احتمل العاملون وهم من البشر هذه الأعباء فليس سرا أن نقر أنها عدوى البطولة التى انتقلت للجميع من الأبطال المصابين الذين كانوا رغم الجراح والآلام ينسون كل شىء ولا يؤرقهم إلا الشوق للعودة إلى أرض المعارك والذين رغما عنهم تتسرب أخبار عن تضحياتهم وقصص بطولاتهم تثير فى النفوس أنبل عواطفها وتقدم أمثلة غاية فى السمو تدفع الجميع لمحاولة الارتفاع إلى مستوى جوهرها النضير بمزيد من المشاركة الفعلية فى المعركة بحمل السلاح.

المستشفى العام

وقد ساعد على انتظام العمل بالمستشفى طيلة هذه الفترة وحتى ٧٣/١٠/٢٢ انتظام عمليات الإخلاء التى كانت تتم بعد إجراء كافة الخطوات الطبية من إسعاف وأشعة وعمليات وإنعاش وعلاج، ولما لم تتمكن سيارات الإسعاف وحدها من تنفيذ هذه المهمة الحقت بالمستشفى العام قوافل من سيارات إسعاف القوات المسلحة وسيارات اللورى لتغطية جميع متطلبات هذه الخطوة وبهذا التعاون أمكن إخلاء الأعداد الكبيرة من المصابين فى أماكن أكثر أمنا لضمان عدم تعرضهم للإصابة مرة اخرى.

اعتبارا من ٧٣/١٠/٢٣ بدأت مرحلة ثانية من مراحل العمل بمستشفى السويس العام مختلفة كل الاختلاف عن المرحلة السابقة حيث توقف إخلاء المصابين لخطورة الطريق نتيجة للاشتباكات المستمرة ثم إغلاقه نهائيا وبذلك أضيفت أعباء جديدة تتمثل فى ضرورة الاحتفاظ بجميع المصابين والنهوض بأعباء إقامتهم وعلاجهم وإعاشتهم ورقابتهم مع الاستمرار فى نفس الوقت فى استقبال المصابين الجدد والقيام بإجراءات إسعافهم وفحصهم وعلاجهم، وفى إيام قليلة وصل عدد المرضى إلى ١٤٠٠ مريض إمكن استيعاب ٣٠٠ بالمستشفى البديل بمدرسة الزينى ومستوصف رعاية الطفل بالأربعين الذى كان مخصصا لعزل حالات الأمراض المعدية منذ تدمير مبنى مستشفى الحميات الأصلى عام ١٩٧٠.

واستدعى هذا تدبير مكان جديد لعزل حالات الحميات وفعلا حولت قاعة السينما بالمستشفى العام إلى قسم للعزل وبقى بالمستشفى ١١٠٠ مصابا علما بأن سعتها الأصلية ٢٥٠ سريرا ولكن بعد عدوان يونيو ١٩٦٧، ونتيجة لإصابة بعض أجزاء منها ولخطورة الإقامة فى الأدوار العليا وإقامة جميع العاملين بالمستشفى تضاءل عدد الأسرة إلى ما لا

يزيد عن مائة سرير وبذلك يكون المستشفى قد اضطر لاستيعاب عدد يزيد على عشرة أمثال العدد المألوف فى الحالات العادية وقد جاءت هذه الزيادة الهائلة فى وقت تأثرت فيه صحة البيئة تأثرا شديدا نتيجة إغلاق الطريق وللظروف التى فرضت على المدينة حيث تناقصت كميات الوقود والمياه وانقطعت الإمدادات، وقد أدت هذه الزيادة فى الأعداد علاوة على التزاحم الشديد الذى لا يتصوره إلا من رآه إلى مزيد من الإساءة إلى البيئة الصحية فمثلا لم تكن دورات المياه كافية لهذا العدد مما دفع الكثيرين إلى استعمال الأفنية لقضاء الحاجات كما أن المخلفات لهذا العدد الكبير من غيارات وغيرها زادت اضعافا مضاعفة ولم تكن إمكانيات التخلص من مثل هذه الفضلات قادرة فى كل الأحيان على ملاحقتها.

كل هذا أوجد مناخا خاصا وصالحا لانتشار الإمراض مما القى إعباء متزايدة على الإقسام الوقائية والعلاجية على السواء لإمكان المضى فى تقديم الخدمات للمرضى دون حدوث مضاعفات والقضاء على الفرص المتاحة لانتشار أى تسمم جراحى أو مرض وبائى وقد تم ذلك فعلا والحمدد لله وبقى هذا العدد الكبير بالمستشفى إلى أن تقرر إخلاء المرضى عن طريق الصليب الأحمر وقد بدأ هذا الإخلاء يوم ٧٣/١١/١٧ واستمر يومى ١٨و ٧٣/١١/١٩ ثم استؤنف يوم ٧٣/١١/٢٧ حيث تم اخلاء ١٣٨٤ حالة كما أن الظروف الصحية المشار إليها وأهمها نقص المياه أدت إلى ظهور حالات إصابة بأمراض جلدية. ورغبة فى عدم انتشار العدوى فقد خصص مبنى المستشفى البديل بمدرسة الزينى مكانا لعزل هذه الحالات وقد نتج عن توقف حالات الإخلاء إلى الاحتفاظ بجميع المصابين من الظروف الصحية الغير عادية التى سادت المدينة مما اضطر المسئولون إلى انشاء أقسام جديدة لم تكن بالمستشفى منذ عام ٦٧ مثل قسم الأمراض النفسية نتيجة ظهور عدد من هذه الحالات أفرد لهم قسم خاص بالمستشفى.

وليس أدل على الجهد الخارق والمجهود المضنى الذى بذله العاملون سواء المستشفى أو فى جميع مرافق الرعاية الصحية من أنه لم يحدث أى مرض وبائى، كان المناخ مهيأ لتفريخه وانتشاره كما لم تحدث حالة غرغرينا واحدة بالمستشفى العام.. إن كل من عمل داخل جهاز من أجهزة الخدمات الصحية يستحق وساما ويستحق أن نقف له تحية وإكبارا.

شهادة رجل غائب(٨)

محمد بدوى الخولى محافظ السويس فى ذلك الوقت هو الذى أحاطت به الشائعات وانتقد البعض سلوكه ولم يسلم من ألسنة الكثيرين إلا أنه فى كل الأحوال كان يتصرف

كمسئول ولم يكن وحده بل كان يرافقه مدير الأمن اللواء محيي الدين خفاجي في كل خطواته والعميد عادل إسلام المستشار العسكري له والقائد العسكري للمدينة، ولم تسمح الظروف أو لم يتسع العمر أمامه ليرد على كل الكتابات التي وجهت له بالنقد وحيث إن الرجل قد انتقل إلى رحمة الله فقد أصبح من الواجب ومن الأمانة أن نبحث عن رد ورأي للرجل كدفاع عن نفسه وعلى لسانه.

وقد اهتديت بعد بحث طويل إلى أحد محاضر مجلس تنفيذي المحافظة بتاريخ ٧٤/٧/٢٠ ومرفق مع ملاحق هذا الفصل وكان قد حضر هذا الاجتماع محافظ القليوبية ومعه وفد يمثل المحافظة من الأجهزة التنفيذية والشعبية كما حضر الاجتماع ٢٣ عضوا من أعضاء مجلس المحافظة بالسويس برئاسة المحافظ الذي عرض الموقف كاملا، وتعتبر كلمة المحافظ وما جاء فيها من وقائع وأحداث هي رده على كل ما قيل ضده وأعتقد أنني بهذا أكون قد أديت حقا لإنسان قد فارق دنيانا إلى رحاب الله.

شهادة واقعية من ملازم أول عبد الرحمن غنيمة

«وحدة الدورية اللاسلكية»

اتصل بنا عبد الهادي «المحافظ» شخصيا الساعة ٩.٣٠ صباحا وطلب منا أن يحضر إلى موقع وحدة الدورية اللاسلكية للإتصال بالقاهرة لأمر عاجل قلنا له إن الموقع في منتهى الخطورة وهناك استحالة في الوصول إلينا فطلب مني الاتصال بالقاهرة لأمر عاجل وهو إبلاغهم بنص إشارته:

أنذرني اليهود بالتسليم في ظرف نصف ساعة وإلا سنضرب بالطيران وليس عندي مياه ولا ذخيرة ولا أسيطر على أي قوات ودقيقي يحترق... أوامركم.

ردت علينا القاهرة بإشارة في الساعة ٩.٥: لا تسليم. المقاومة حتى آخر فرد... الله معكم.

أعاد المحافظ الاتصال للاستفسار عن الموقف بالنسبة له وأين يعمل فجاء الرد: القيادات تنتشر بين الجماهير.

طلب المحافظ إبلاغ الرئيس السادات الإشارة التالية:

سنستمر في المقاومة وإن دماءنا الطاهرة ستروي أرض السويس العزيزة فداء لمصر.. وكان ذلك حوالي الساعة العاشرة والربع صباحا.

شهادة الحاج مصطفى محمد علي[٩]

الحاج مصطفى محمد علي هو تاجر البقالة الذي استضاف المحافظ بمنزله في منطقة شميس يقول:

إن المحافظ حين ذهب إليه بادره على الفور بمجرد أن رآه: يا حاج أنا مش جاى هربان أنا جاى عشان أدير المعركة من عندك.

ويستطرد الحاج مصطفى: الحقيقة إن المحافظ كان محظوظا إنه حضر عندى لأنى كنت أديه الجاز من المحل عشان ينور لمبة الجاز وأيضا السبرتو عشان يعمل الشاى هو والقادة الموجودين معه، وكان يتولى هذا أمباشى اسمه عم على أثناء المعركة، كان الراجل فى غاية الشجاعة ولو كان عايز يسلم أو خايف ماكنش جه عندى لأنه كان دايما فى وسط الناس وعيب أن أحد يقول أى كلام يمس الراجل وأنا كلامى كلام حق وكلنا رايحين نقابل ربنا وأنا كنت عايش معاه لحظة بلحظة من يوم ٢٤ أكتوبر ولمدة عشرة أيام ولم يظهر عليه أى ضعف أو خوف، وكان بسيطا يجلس يأكل على الأرض وسط الناس وأثناء وجوده عندى حصل ضرب فى المنطقة بالمدفعية وكان قلبه زى الحديد.

الهوامش

(١) من سجلات مديرية الأمن بالسويس.

(٢) جريدة الأهرام ١٩٧٨/١١/١٧.

(٣) صمود السويس. وزارة الإعلام- الهيئة العامة للاستعلامات.

(٤) مكانها الآن بنك الإسكندرية.

(٥) جريدة الأهرام فى ١٩٨٧/١١/٧ – الحلقة الثالثة عشرة من أمن مصر القومى.

(٦) من كتاب التقصير الذى ألفه سبعة من الصحفيين الإسرائيليين.

(٧) جاسوس فوق الجبل – عبدالرءوف زيادة.

(٨) ملحق محضر المجلس التنفيذى للمحافظة ١٩٧٤/٢/٢٠.

(٩) من كتاب خفايا حصار السويس.

ملاحق الفصل الثالث

١- محضر اجتماعات مجلس المحافظة بتاريخ ١٩٧٤/٢/٢٠.

٢- صور الشهداء والفدائيين.

محضر اجتماع المجلس التنفيذى بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٤/٢/٢٠:

فى تمام الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء الموافق ١٩٧٤/٢/٢٠ عقد مجلس تنفيذى المحافظة اجتماعا بقاعة الاجتماعات بالسويس.

برئاسة السيد/ محمد بدوى الخولى محافظ السويس

وحضر الاجتماع السادة:

١- اللواء محيى الدين السيد خفاجي - مدير مديرية أمن السويس.

٢- المهندس عبد الله أحمد بازرعة - السكرتير العام وأمين المجلس.

٣- المهندس عبد السلام محمود القاضى - مدير عام مديرية الإسكان والتشييد.

٤- المهندس محمد عبد الباسط عياد - مدير عام مديرية القوى العاملة.

٥- محمد جمال محمد فهمى - مدير عام المديرية المالية.

٦- المهندس صموئيل غبريال عبد الملك - مدير مديرية الزراعة.

٧- المهندس عبد المنعم محمد على - مدير محطة قوى السويس الحرارية.

٨- حامد محمد حسب - مدير قصر الثقافة.

٩- المهندس حسن عبد الرحمن شحاته - وكيل الأشغال بهيئة القناة.
١٠- سعد الدين متولى الغبارى - رئيس المجلس المحلى للرياضة والشباب.
١١- وليام فؤاد بشارة - مدير منطقة القناة لأتوبيس شرق الدلتا.
١٢- المهندس خطاب حسن خطاب - مفتش الإصلاح الزراعى.
١٣- صلاح الدين محمد الدالى - مدير عام الموانىء والمطارات بالسياحة.
١٤- صلاح الدين أحمد عرفة - مدير مديرية الشئون الاجتماعية.
١٥- عبد الجليل محمد تهامى - مدير مديرية أوقاف السويس.
١٦- المهندس محمود محمد عامر - مدير قسم تليفونات السويس.
١٧- دكتور جبرائيل محمد كامل - مدير الطب البيطرى المساعد.
١٨- السيد اليمانى - مدير عام ميناء السويس والأدبية.
١٩- يحيى عواد سلامة - رئيس مكتب الإعلام بالمحافظة.
٢٠- المهندس حمدى السيد الغزاوى - مدير بنك التسليف الزراعى.
٢١- المهندس محمد على السقا - مفتش قناة السويس.
٢٢- عبد المحسن إبراهيم الكرداوى - مدير مديرية التربية والتعليم.
٢٣- دكتور محمد فؤاد عبد الخالق - مدير مديرية الشئون الصحية.

كما حضر الاجتماع السادة:

١- المهندس حسن عبدالفتاح - محافظ القليوبية.
٢- أمين لجنة الاتحاد الاشتراكى بمحافظة القليوبية.
٣- أمين لجنة الاتحاد الاشتراكى بمحافظة السويس.
٤- اللواء محمد متولى شاهين - وكيل وزارة التعمير.
٥- محمد الأمين عبد الرحمن - السكرتير العام المساعد.

بالإضافة إلى وفد كبير من السادة مسئولى محافظة القليوبية

وتولى أعمال السكرتارية السادة:

١- على حسن على أيوب - مدير سكرتارية المجلس والمؤتمرات.
٢- عبد الفتاح السيد وهبة - وكيل سكرتارية المجلس والمؤتمرات.
٣- فاروق محمد على - عضو سكرتارية المجلس والمؤتمرات.
٤- حسن فرغلى حسن - عضو سكرتارية المجلس والمؤتمرات.

ولما كان الاجتماع قانونيا، فقد أعلن السيد المحافظ افتتاح الجلسة باسم الله وباسم الشعب.

فقرات من كلمة محافظ السويس:

بسم الله الرحمن الرحيم.. {إن ينصركم الله فلا غالب لكم}.

الأخ المهندس حسن عبد الفتاح – محافظ القليوبية

الإخوة رؤساء مجالس إدارة الشركات

الإخوة أعضاء مجلس الشعب وأعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى

الإخوة رؤساء مجالس المدن

الإخوة الزملاء.. يطيب لى ويشرفنى، ويشرف أبناء السويس أن نلتقى بإخوة لنا كرام بررة جاءونا من محافظة القليوبية.

فى يوم ٢٤ من الساعة السادسة صباحا كان ضرب الطيران فى منتهى الشدة على البلد، وقررت أن أترك غرفة المحافظة، لأن العدو كان قد وصل إلى منطقة الزيتيات، وكانت الغرفة على مرمى نيران العدو، وعلى مرمى أسلحته الصغيرة، وذهبت مع السيد مدير الأمن إلى وسط البلد فى المنطقة التى ستحدث فيها المعركة، معركة الأربعين، دون أن ندرى.

وهنا تدخلت رحمة الله سبحانه وتعالى، لأننا خرجنا برغم المحاذير والأخطار التى كانت تحيط بنا، وفى أثناء قصف الطائرات، توجهنا إلى مقر اخترناه كغرفة عمليات مؤقتة.

وأثناء ذهابنا انضربت علينا دانات من الدبابات، ورقدنا وزحفنا وربنا سلم، حتى وصلنا إلى هذا المقر الجديد، واتصلت من هناك بمختلف المرافق الموجودة بالمحافظة ووجدت أن الموقف سيئ.

مخازن الدقيق التى كانت موجودة انضربت ، المرافق انضربت، المياه والكهرباء توقفت، وعلى الفور كلفت مدير التموين بجمع جزء من المدنيين من أبناء السويس مع رجال الشرطة والمطافئ ورجال الدفاع المدنى وذهبوا إلى مخازن الدقيق لإطفائها.

بعض هؤلاء الرجال أصيبوا بحروق حتى الدرجة الأولى، لأنهم كانوا يطفئون بأيديهم الأجوال المحترقة ولأن وابور المياه فى هذا الوقت كان قد انضرب هو الآخر.

وهؤلاء الرجال هم سبب صمودنا إذ لم يكن لدينا دقيق على الإطلاق سوى هذه الكمية.

لم تكن هناك سيطرة على القوات الموجودة فى المدينة، ولم يكن هناك تصور على الإطلاق لدخول اليهود فيها لأن قواتنا كانت فى الشرق، وكان الجيش مستكملا، وبعدته، وأسلحته ومعنوياته مرتفعة جدا فى سيناء.

حاول اليهود فى الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم دخول المدينة بالدبابات، ووجدت نفسى ومعى مدير الأمن كما قلت لكم ودون أن ندرى فى قلب المعركة، رغم تعرضنا للإصابة والمخاطر وتحذيرنا بأن ذلك سوف تكون له عواقب وخيمة على المدينة باعتبارنا قيادات، إنما ربنا سلم ونزع من قلوبنا الخوف والرهبة، ووضع فيها الإيمان والقوة، ولا أستطيع أن أصور لكم شعورنا فى هذا الوقت لأننا وجدنا كل أبنائنا فى الميدان سواء أبنائنا فى القوات المسلحة أو من المدنيين وبدءوا فى إطلاق النار بكثافة مما كان له أثره على معنويات العدو.

فى يوم «٢٥» الساعة التاسعة صباحا، كنت موجودا فى غرفة الدفاع المدنى وكان معى مدير الأمن والحكمدار وقائد الدفاع المدنى ومساعده واثنان نقباء من الشرطة مع بعض المدنيين، وفوجئت بتليفون من أحد المسئولين المصريين الذين كانوا تحت سيطرة العدو فى شركة السويس لتصنيع البترول وهو الأخ سعد الهاكع، يطلب المحافظ.

فى هذا الوقت كان اليهود على بعد ٧٥٠ مترا فقط من غرفة الدفاع المدنى ولو عرفوا ذلك لدكوا الغرفة بمن فيها.

ولما سألته لماذا تطلبون المحافظة؟ قال: ليسلم البلد بعد هذا فوجئت بالتليفون يؤخذ منه، ويعطى لأحد الضباط اليهود الذى هدد ووعد وقال: إذا لم تبحثوا عن المحافظ ويسلم البلد بنفسه ومعه مدير الأمن والقائد العسكرى، بعد أن يركبوا سيارة عليها علم أبيض ومعهم كل المواطنين فى الاستاد الموجود خارج البلد سندمر البلد بمن فيها بعد نصف ساعة، وسنحاكم بعد دخولنا المدينة جميع المسئولين فيها وعلى رأسهم المحافظ.

ماذا يعنى هذا؟ معنى هذا ببساطة أنهم يريدون أخذنا كالنعاج وطبعا رفضت هذا الإنذار ، وشعرت بأن كل مصرى كان يرفض معى هذا الإنذار ويهمس فى أذنى إياك أن تسلم البلد.

هذا تم رغم الظروف القاسية التى كانت موجودة فى البلد، والتى شرحتها لحضراتكم من قبل، ليس هناك دقيق، ليست هناك كهرباء، ليست هناك مياه، ليست هناك مرافق، ليس هناك خبز ولا تعيينات، ومع ذلك رفضت الإنذار.

يا إخوانى الله سبحانه وتعالى هو الذى أنطق على لسانى رفض هذا الإنذار بل وقلت لهم: بالأمس دخلتم المدينة واليوم تستطيعون تجربة دخولها من جديد.

كان بجوارى فى هذا الوقت السيد مدير الأمن وقال: لى: {قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا}. وخرجنا معا من الغرفة لنبدأ العمل مع المقاومة وطلبت من أحد ضباط الشرطة

وأحد أعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى باعتباره التنظيم السياسى فى المحافظة أن يذيعوا عن طريق مكبرات الصوت فى البلد أنه لا تسليم وأن اليهود يهددون ويطلبون التسليم، وأنهم أنذروا المحافظ ورفض التسليم ورفض الإنذار، ثم أرسلت إشارة للقاهرة.

فى الواقع أنا أردت بهذه الإشارة أن أشرك القاهرة معى فى هذا القرار الخطير لأن رفض الإنذار معناه التضحية بعشرين ألف مواطن موجودين فى البلد، وجاء فى رد القاهرة قرار وأعتبر أنه لا يقل خطورة عن قرار السادس من أكتوبر، لأنه ضحى بعشرين ألف مواطن كانوا موجودين فى السويس.

سيادة الرئيس أرسل لى يقول: الصمود ولا تسليم على الإطلاق للمدينة. استمرت المقاومة، وكنا قد قوينا من الاستحكامات حول المدينة وحاولوا الدخول ثلاث مرات ولم يتمكنوا ودمرنا لهم كما قلت «٣٢» دبابة وقتلنا لهم ما بين ٧٠و٨٠ قتيلا وجريحا آخرين سحبوها.

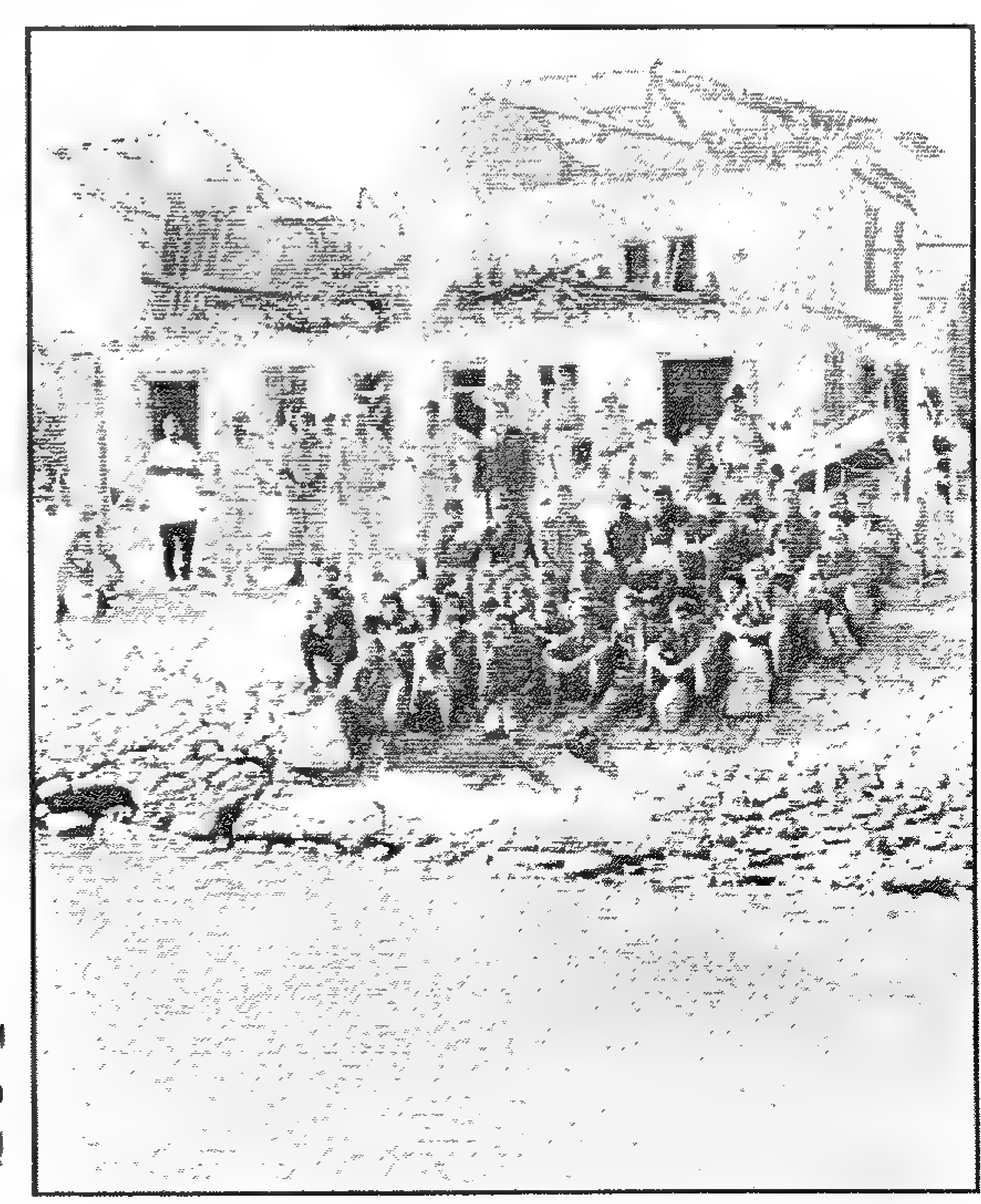
اليهود بعد هذا أذاعوا عن طريق مكبرات للصوت كانت محمولة على عربات مدرعة أن المحافظ سلم المدينة ويا أهالى السويس نرجوكم عدم المقاومة والتسليم.

لكن الأهالى كانوا قد سمعوا بآذانهم أن لا تسليم، واستمروا فى المقاومة والقتال وتحملوا عنف الطائرات فى المدة من «٢٢» أكتوبر حتى ٢٨ أكتوبر وحتى وصلت قوة البوليس الدولى.

بعد هذا انتهت المعركة العسكرية فى السويس، المعركة التى شرفت اسم السويس وشرفت اسم مصر وشرفت أبناء السويس فى كل مكان وبدأت معارك الحياة.



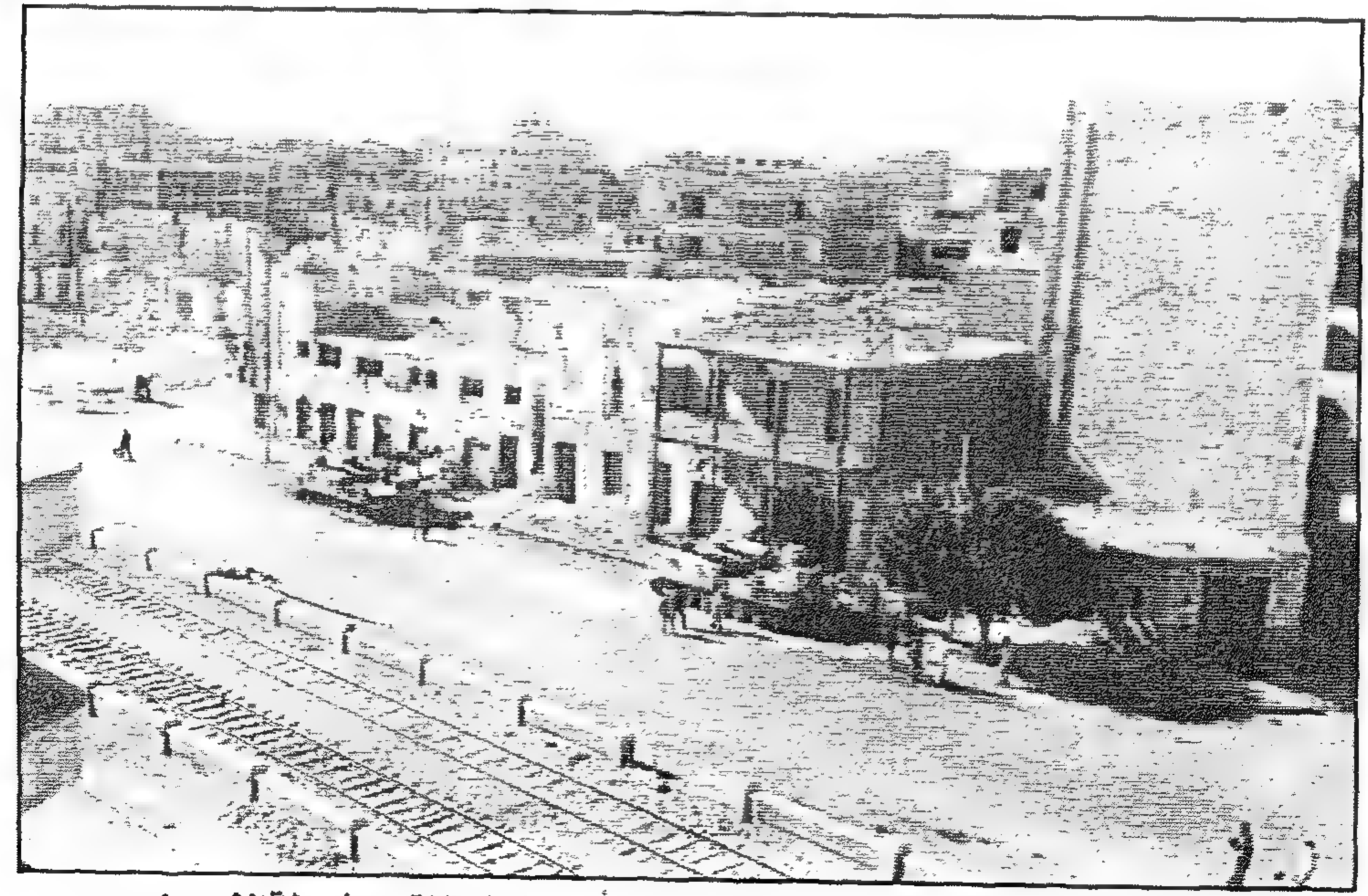
استلام موقع لسان بورتوفيق حيث الضابط الإسرائيلى الملازم أول شلوموا أردينست قائد موقع لسان بورتوفيق احد حصون خط بارليف وهو يسلم الموقع إلى النقيب زغلول فتحى من الفرقة ١٩ مشاة من الجيش الثالث التى داهمت الموقع وهو يسلم العلم الإسرائيلى بعد انزاله منكسا بتسليم الموقع وجنوده ويظهر فى الصورة محمد بدرى محافظ السويس والعقيد فتحى عباس قائد المخابرات .



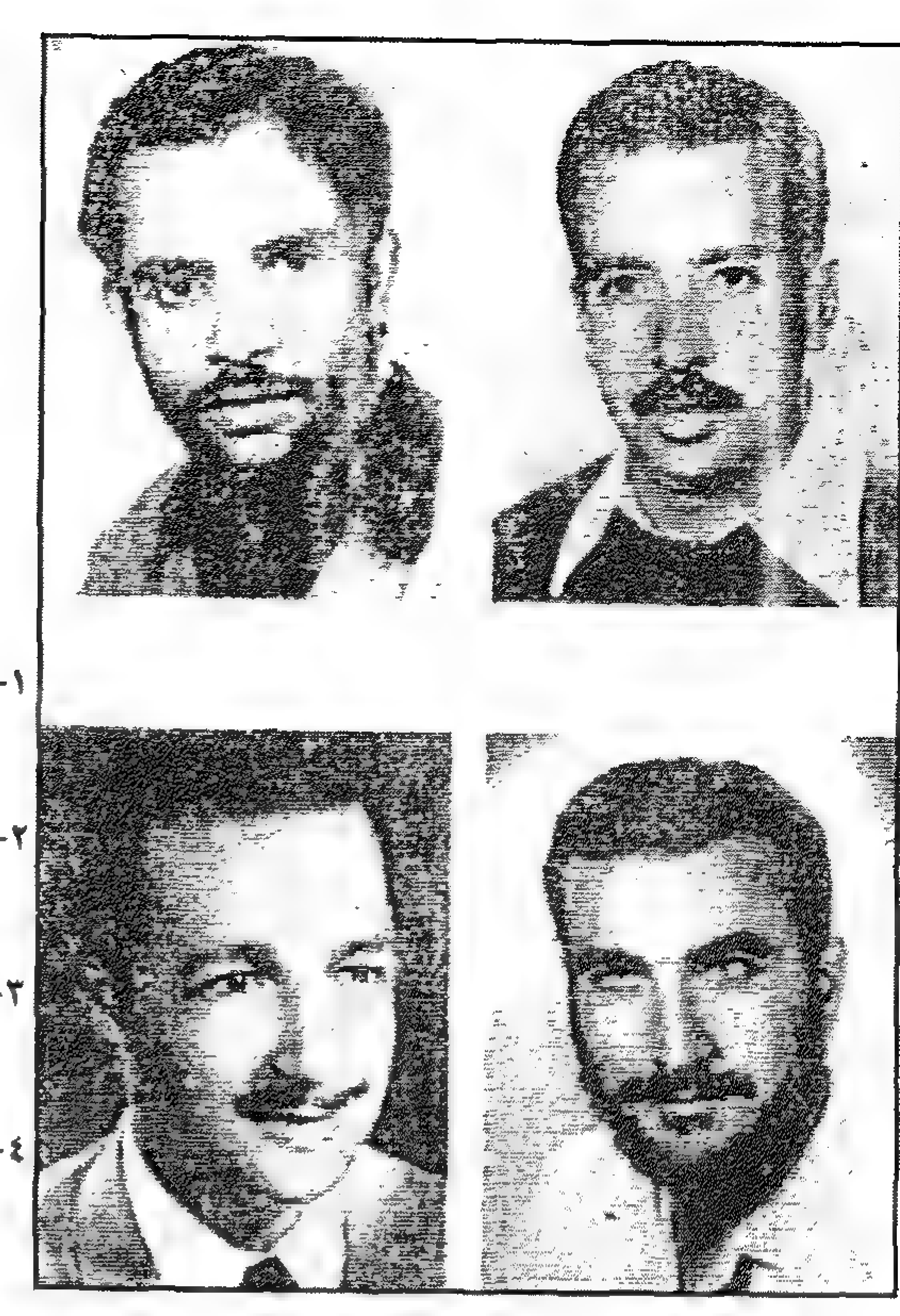
اسرى جنود العدو من موقع لسان بورتوفيق وقد تجمعوا تمهيدا لنقلهم إلى الضفة الغربية .



إخلاء جرحى العدو من موقع لسان بورتوفيق بعد استلامه بحضور الصليب الأحمر



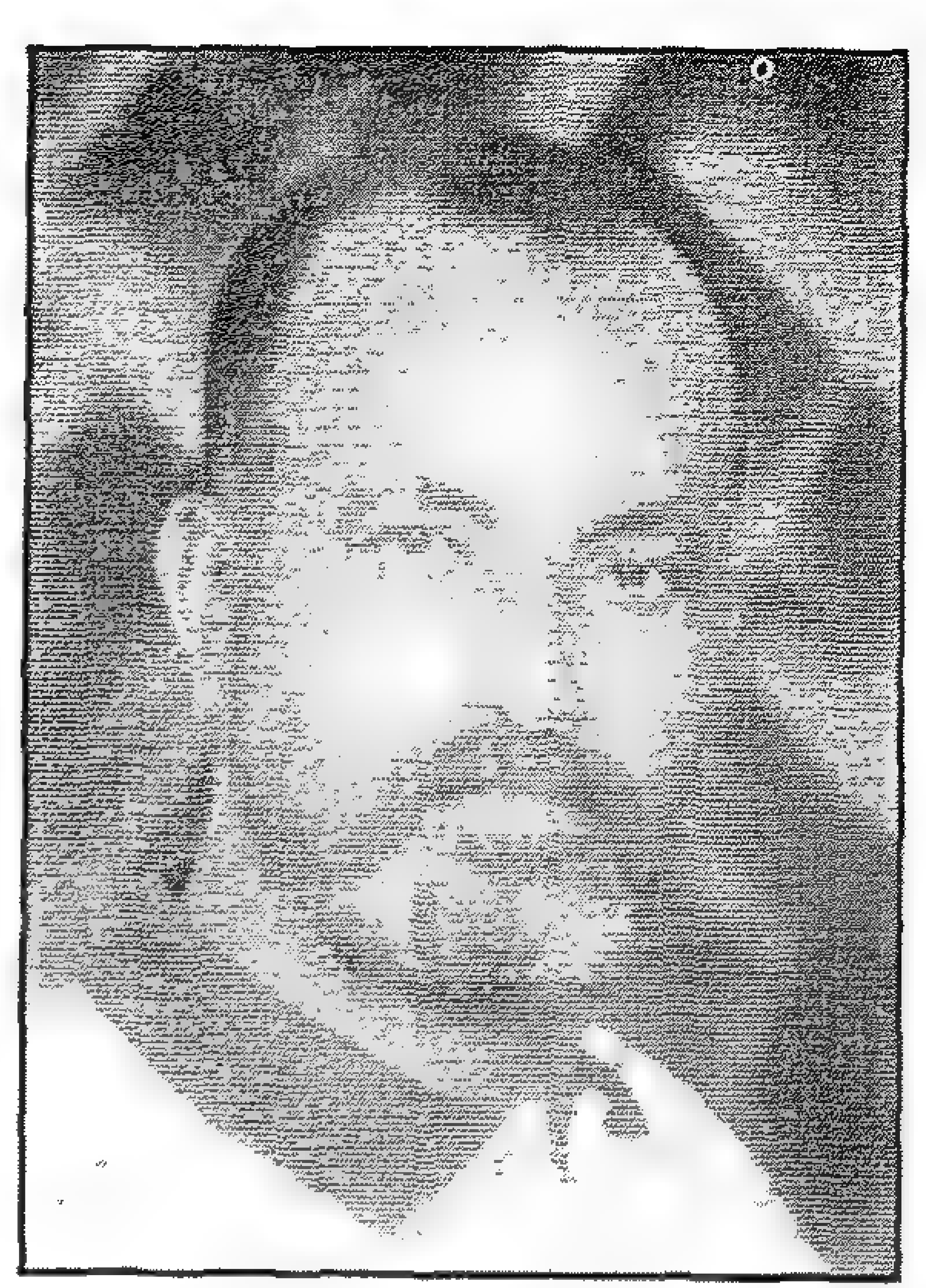
دبابات العدو ومدرعاته وقد تركها مذعورا ولجأ إلى المجاورة لقسم شرطة الاربعين



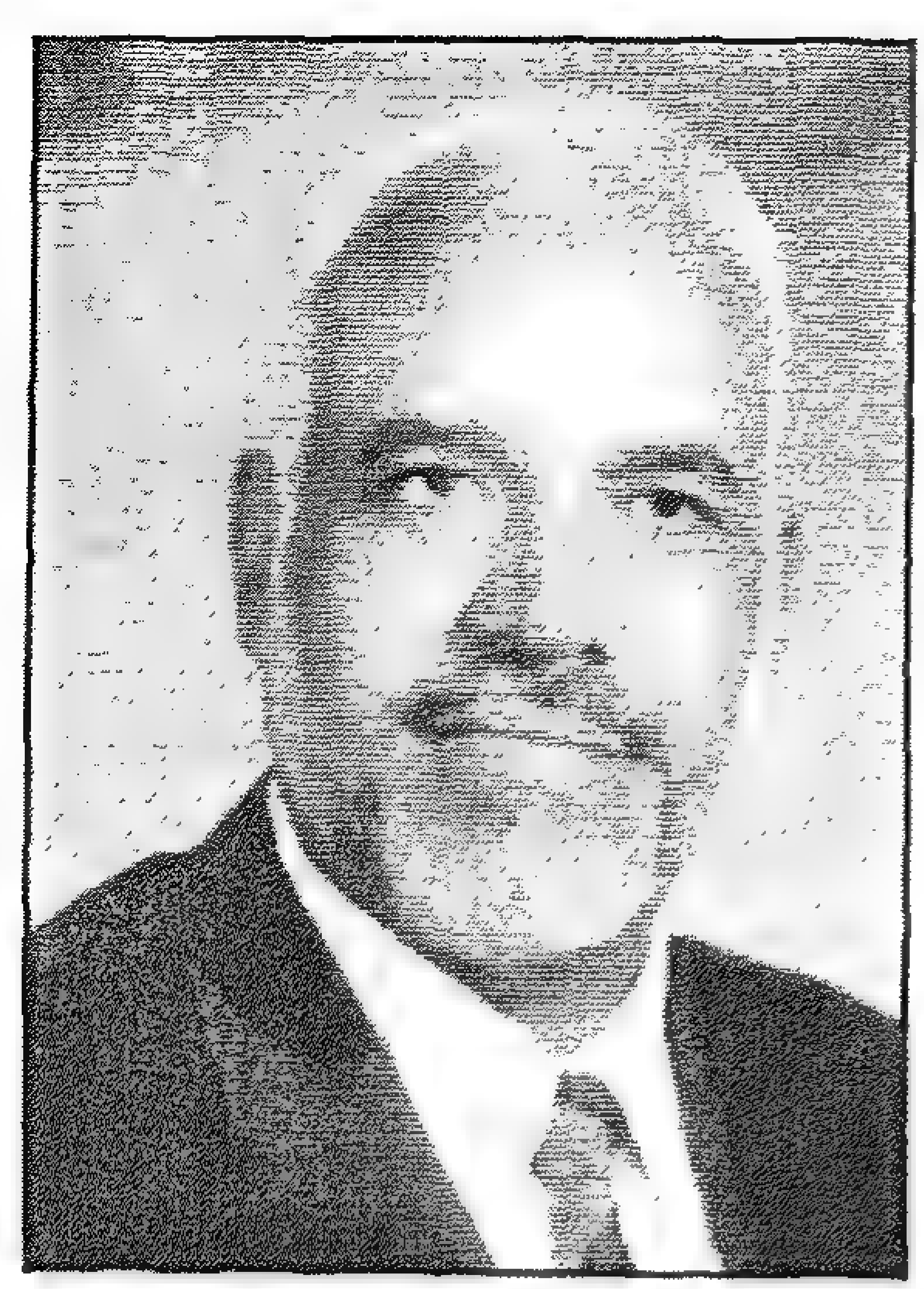
١- الشهيد أشرف عبد الدايم منظمة سيناء العربية استشهد فى ٢٤ اكتوبر ١٩٧٣ فى معركة قسم شرطة الأربعين .
٢- الشهيد أحمد أبو هاشم منظمة سيناء العربية استشهد فى ٢٤ اكتوبر ١٩٧٣ عقب تدمير آخر دبابة .
٣- الشهيد فايز حافظ أمين منظمة سيناء العربى استشهد فى ٢٤ اكتوبر ١٩٧٣ فى معركة قسم شرطة الأربعين .
٤- الشهيد إبراهيم محمد السيد سليمان منظمة سيناء العربية استشهد فى ٢٤ اكتوبر فى معركة قسم شرطة الأربعين .



العقيد فتحى عباس قائد المخابرات فى موقع لسان بورتوفيق وقد لعب دورا أساسيا فى قيادة منظمة سيناء العربية التى تصدرت للعدو فى ٢٤ اكتوبر ١٩٧٣



الفدائى عبد المنعم قناوى قضى ١٠٠ يوم فى جبال سيناء وعتاقة تكشف تحركات العدو



الفدائى أحمد العطيفى قضى على أحد جنود العدو حين اراد الاختباء فى مدخل سينارويال



المحافظ محمد بدرى الخولى ومدير الأمن محى الدين خفاجة مع الحاج إبراهيم عبد العظيم المقاول فى المقر البديل بمنزل الحاج مصطفى محمد على



تسليم جثث قتلى العدو بحضور الصليب الأحمر

يوميات مدينة السويس.. من الهزيمة إلى النصر

نشرت بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٩ مايو ٢٠٠١

خطوة توثيقية مهمة يقدمها حامد حسب فى كتابه «السويس تجربة مدينة» يسجل فيها تجربة السويس ابتداء من أحداث الخامس من يونيو ١٩٦٧ وحتى ٢٩ يناير ١٩٧٤ بعد انتهاء الحصار.

ويعتمد المؤلف فى كتابه على مجموعة من الكتب والوثائق ومنها: مذكرات المحافظ حامد محمود فى كتابه «السويس والمعركة» وكتاب «السويس» الذى يعتبر أول وثيقة علمية عام ١٩٥٦ عن شخصية المنطقة، شارك فيه سبعة من أساتذة الجامعات المصرية، بالإضافة إلى مساهمات على شحاتة فى كتابه «السويس وحرب الأيام الستة» وغيرها، كما يعتمد على حوارات مع بعض العناصر القيادية والتى أدت أدوارا فى هذه المعركة والاطلاع على يوميات المعركة بمديرية أمن السويس.

وينطلق حامد حسب من استعدادات مدينة السويس وتنظيم أعمال المقاومة ومراكز التدريب لشباب المتطوعين، وتوفير مصادر بديلة للطاقة فى المراكز الإنتاجية والمصانع فى حالة تعرضها للضرب واتخاذ الترتيبات الطبية المناسبة، ويورد يوميات الأحداث بدءا من ١ يونيو ١٩٦٧ يوما بيوم حتى يوم ١٠ يونيو اليوم اللاحق لقرار تنحى الزعيم الراحل عبد الناصر.

ثم يورد المؤلف تفاصيل عملية تهجير السكان التى بدأت فى سبتمبر ١٩٦٧ تطبيقا لقرار اللجنة الوزارية للأمن القومى فى ٦٧/٩/٥ بتهجير السكان والاحتفاظ فقط بالحد الأدنى للعاملين فى الحكومة والقطاع العام اللازمين لاستمرار العمل فى القطاعات المختلفة.

وتحويل تلاميذ المدارس فى أكتوبر من نفس العام وبلغ عددهم نحو ٦٠ ألف طالب وطالبة ثم قرار نقل مصانع السويس التى كانت تعتبر المعقل الرئيسى والوحيد لصناعة البترول فى مصر. وهو ما ساهم فى تخفيف عدد السكان من ٢٦٠ ألف نسمة إلى ١٥ ألف نسمة.

ويتناول المؤلف أيضا اشتباكات عام ١٩٦٨ فى منطقة القناة فى إطار مرحلة ما سمى «الردع» أو «الدفاع النشيط».

ثم يورد تفاصيل نشأة خط بارليف، وفى الفصل الثانى من الكتاب يقدم المؤلف مجموعة من الشهادات لكبار العسكريين حول حرب الاستنزاف ومنها شهادة الرئيس حسنى مبارك وهى متقطعة من حديث مبارك المنشور فى ٣ أكتوبر بالأهرام بمناسبة مرور ٢٥ عاما على حرب أكتوبر، بالإضافة إلى شهادات اللواء أ.ح.م عبد المنعم خليل.

وفى مواجهة الحرب النفسية التى شنها العدو كان هناك دور للفن بالأغانى والأشعار المعروفة للكابتن غزالى والتى يوردها الكاتب فى الكتاب بعد أن يتعرض لتجربة الحصار، ودور أهل السويس فى إيثار الجيش الثالث وإمداده بالمياه التى كانت شحيحة واكتفاء الأفراد بنصيب محدود من الغذاء والمياه.

الكتاب فى مجمله يقدم تجربة لشعب عانى وقاسى الكثير ودفع الكثير من أهله ودمائهم لأجل تحرير الوطن وتحقيق كرامته.

أما المؤلف حامد حسب فهو واحد من أبناء السويس ويعمل مديرا وكيلاً السويس التعليمية وكان مديرا لقصر ثقافة السويس بعد العدوان وعمل فى أكثر من موقع وظيفى قيادى فى مجالات التربية والتعليم. وكان أمينا للدعوة والفكر بالمكتب التنفيذي للاتحاد الاشتراكي. الكتاب صادر عن دار الموقف العربى.

كتاب جديد يخلد كفاح السويس
فى حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣

ترجمة: كامل عيد رمضان

نشرت بجريدة الإجيبشيان جازيت الاثنين ١٥ أكتوبر ٢٠٠١

فى الثانية بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ قام سلاح المدفعية المصرى بقصف ودك المواقع الإسرائيلية فى سيناء فى الجانب الشرقى لقناة السويس.

ولقد كان هذا هو بداية الهجوم العسكرى الرائع الذى أصبح منذ ذلك اليوم مخلدا فى الفن والأدب والأفلام. ولقد بدد هذا النصر المصرى على إسرائيل أسطورة الجيش الذى لا يقهر، ومهد الطريق إلى معاهدة السلام عام ١٩٧٩ وعودة سيناء إلى مصر.

وباقتراب موعد احتفالات السادس من أكتوبر، نشرت إحدى الصحف القاهرية استعراضًا عامًا للكتاب عن المعركة التاريخية لكاتبه المؤلف المصرى حامد محمد حسب مدير إدارة جنوب السويس التعليمية فى ذلك الوقت.

ويلقى الكتاب الضوء على نضال وكفاح شعب السويس خلال محاولات الإسرائيليين حصار واقتحام مدينتهم، كما يستعرض حامد حسب الأحداث التى أدت إلى حرب السادس من أكتوبر وكذلك حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧، عندما احتلت إسرائيل سيناء وواجه كل من الجيشين بعضهما على جانبى قناة السويس حيث كانت المدارس والنوادى قد تحولت بشكل مؤقت إلى مستشفيات لعلاج الجنود المصريين المصابين فى المعركة، ولقد ساعد مواطنو السويس فى استعادة الجنود المفقودين فى صحراء سيناء، بل وتسلل

بعضهم خلف خطوط العدو الإسرائيلى لإنقاذ الجنود المصريين المصابين. وفى ١٤و ١٥ يوليو ١٩٦٧ حاولت القوات الإسرائيلية إرسال قوارب إلى الجانب الغربى من قناة السويس ولكن المصريين بالمدينة قاموا بصد المهاجمين وأسر أطقم هذه القوارب، وكان رد فعل الإسرائيليين القيام بهجمات عنيفة سافرة على مدينة السويس بهدف تدمير المدينة ومصانع تكرير البترول.

ومع تكرار العدوان على مصانع البترول والأسمدة كان من المحتم الضرورى إعادة نشر ونقل هذه المصانع إلى مسطرد والقليوبية والاسكندرية، كما تم تهجير ١٨٦٠٠٠ من المواطنين، كما أوضح الكتاب أيضا تهجير ٥٦١٣ من الفلاحين المقيمين بالقطاع الريفى إلى المحافظات الأخرى، بينما بقى بالمدينة عدد غير قليل من المواطنين والذين عاشوا غالبا فى المخابئ غير عابئين بالهجمات الإسرائيلية. ويتحدث حامد حسب بأنهم حاولوا التكيف على هذه الحياة فى داخل مواقع العمل حيث قامت الثقافة بعرض الأفلام على المواطنيين بالمخابيء وهو ما يسمى بسينما الخندق.

وفى أعقاب حرب ١٩٦٧ قامت إسرائيل بإنشاء خط بارليف، هذا الحائط البرجى الذى تحصن خلفه الإسرائيليون لتفادى قنابل سلاح المدفعية المصرية، كما قاموا أيضا ببناء خمس قلاع عسكرية على امتداد خط القناة والتى بلغ ارتفاعها فى بعض النقاط ١٨٠ مترا.

ولقد أوضح حسب فى كتابه بأن حرب أكتوبر ١٩٧٣ تعتبر نقطة تحول واضحة فى تاريخ المصريين وأنها محت إلى الأبد وصمة الهزيمة التى عانى منها المصريون لمدة ست سنوات، ففى الثالث عشر من أكتوبر ١٩٧٣ احتفل المصريون بعودة لسان بور توفيق وهى النقطة المنيعة التى استعادوها بعد سبعة أيام من القتال العنيف، حيث يعتبر هذا الجزء من الارض ذا قيمة كبيرة واستراتيجية إذ كان الإسرائيليون يستعملونه كنقطة انطلاق لغاراتهم على مدينة السويس ولاستعادة هذه النقطة الحصينة. قامت القوات المصرية بتدمير عدد كبير من دبابات العدو وقامت كذلك بأسر ٣٧ جنديًا من قوات العدو الإسرائيلى المتحصنة بهذا الموقع.

وكان هدف الإسرائيليون من الهجوم المضاد فى ١٦ أكتوبر هو عزل القوات المصرية شرق القناة. ويبين الكتاب أيضا بأن مجلس الأمن أصدر القرار رقم ٣٣٨ طالبا من القوات المتحاربة وقف إطلاق النار والإذعان للقرار ٢٤٢.

وبعد ساعات قليلة من بداية وقف إطلاق النار قامت إسرائيل بخرق هذا القرار وعبرت

قناة السويس إلا أن القوات المصرية بمساعدة المدنيين الشجعان من أهل المدينة قاوموا هذا الهجوم الشرس.

ولقد استخدم الإسرائيليون طائرات الهليكوبتر والدبابات وحاملات الجنود فى موجة الهجوم الأولى، إلا أن مواطنى السويس نجحوا فى تدمير ٣٢ دبابة وقتلوا ما يقرب من ٨٠ جنديا إسرائيليا خلال الهجمات التالية، ولقد انتهت المعركة عندما وصلت قوات الطوارئ الدولية فى ٢٨ أكتوبر حيث كانت مفاوضات فض الاشتباك التى عقدت عند الكيلو ١٠١.

home news — The Egyptian Gazette
Page 2 — Monday, October 15, 2001

New book immortalises struggle of Suez in October War

AT two o'clock on the afternoon of October 6, 1973 Egyptian artillery pounded Israeli installments on the Sinai side of the Suez Canal. It was the start of a brilliant military offensive that has since been immortalised in art, literature and film. Egypt's initial victory over Israel in the October War dispelled the myth of the 'invincible army' and paved the way to a peace treaty in 1979 and the return of Sinai to Egypt.

As annual 6th of October celebrations draw to a close, a Cairo magazine has published a review of a book on the historic battle written by Egyptian author Hamid Mohammed Hassab, director of the South Suez Educational Department. The book focuses on the struggle of citizens in Suez during Israel's attempts to capture their cities.

Hassab reviews the events that led up to the October War, including the war in June 1967 when Israel occupied Sinai and the two armies faced one another on opposite sides of the Suez Canal. Schools and clubs in Suez became makeshift hospitals for Egyptian soldiers injured in the battle. The citizens of Suez helped in the recovery of soldiers lost in the desert and some even sneaked behind enemy lines to rescue injured Egyptian soldiers.

On July14-15, 1967, Israeli forces attempted to send torpedo boats to the other side of the canal near Suez, but Egyptians repulsed the assault and captured the boat's crew. Israel responded with a devastating attack on Suez, destroying the city and its oil factories. With more assaults on oil and fertiliser factories in the canal city inevitable, many of these facilities were relocated to Mostorod, Qalioubeya and Alexandria.

Over 186,000 civilians were forced to evacuate Suez, along with 5,613 farmers, the book points out. Those that remained, which were not few in number, lived mostly underground out of fear of Israeli attacks. They tried to continue their life inside the city's network of trenches, even going so far as to have nightly film screenings.

Following the 1967 War, Israel erected the Bar-Lev line, a towering wall of sand that protected fortifications from artillery bombardment. Israel also built five military forts along the canal, which does not exceed 180 metres at some points.

The 1973 October War marked a turning point in Egyptian history, Hassab writes, and effaced the stigma of defeat the Egyptians had suffered for six years. On October 13, Egyptians celebrated the return of the Egyptian city Port Tawfik, which they captured after seven days of heavy fighting. The value of this city was enormous, as Israelis had used it as staging point for raids on other canal cities. In the battle to recapture it, Egyptian forces destroyed numerous Israeli tanks and took 37 Israeli soldiers prisoner.

An Israeli counterattack on October 16 aimed at isolating Egyptian forces east of the canal. The UN Security Council issued Resolution 338, urging the two parties to implement a ceasefire and comply with Resolution 242. Yet, just hours after the ceasefire began, Israel broke it and crossed the canal toward Suez. Egyptian military forces responded and with the help of brave citizens resisted the onslaught, the book notes.

In the first wave of the attack, the Israelis used helicopter gunships and tanks. The people of Suez succeeded in destroying 32 Israeli tanks and killing up to 80 Israeli soldiers during the week that followed. The battle ended when international forces arrived on October 28 to broker a permanent ceasefire at Kilometre 101.

صفحة متخصصة بإشراف: ماجدة الجندى ■ ٢٩ مايو ٢٠٠١ ■ ٢٩



يوميات مدينة السويس.. من الهزيمة إلى النصر



حصل يوميات مهمة يقدمها حامد حسب في كتابه السويس. تجربة مدينة يسجل فيها تجربة السويس ابتداء من أحداث الخامس من يونيو ١٩٦٧ وحتى ٢٩ يناير ١٩٧٤ بعد انتهاء الحصار.

ويعتمد المؤلف في كتابه على مجموعة من الكتب والوثائق ومنها: مذكرات المحافظ حامد محمود في كتابه السويس والمعركة، وكتاب «السويس» الذي يعتبر أول وثيقة علمية عام ١٩٥٦ عن شخصية المنطقة شارك فيه سبعة من أساتذة الجامعات المصرية، بالإضافة الى مساهمات على شماخ في كتابه «السويس وحرب الأيام الستة» وغيرها. كما يعتمد على حوارات مع بعض العناصر القيادية والتي أدت أدوارا في هذه المعركة والاطلاع على يوميات المعركة بمديرية أمن السويس.

وينطلق حامد حسب من استعدادات مدينة السويس وتنظيم أعمال المقاومة ومراكز التدريب لشباب المتطوعين وتوفير مصادر بديلة للطاقة في المراكز الانتاجية والمصانع في حالة تعرضها للضرب واتخاذ الترتيبات الطبية المناسبة. ويورد يوميات الأحداث بدءا من ١ يونيو ١٩٦٧ يوما بيوم حتى يوم ١٠ يونيو اليوم اللاحق لقرار تنحي الزعيم الراحل عبد الناصر.

ثم يورد المؤلف تفاصيل عملية تهجير السكان التي بدأت في سبتمبر ١٩٦٧ تطبيقا لقرار اللجنة الوزارية للأمن القومي في ٦٧/٩/٥ بتهجير السكان والاحتفاظ فقط بالحد الأدنى للعاملين في الحكومة والقطاع العام اللازمين لاستمرار العمل في القطاعات المختلفة.

وتحويل تلاميذ المدارس في أكتوبر من نفس العام ويبلغ عددهم نحو ٦٠ ألف طالب وطالبة ثم قرار نقل مصانع السويس التي كانت تعتبر المعقل الرئيسي والوحيد لصناعة البترول في مصر. وهو ما ساهم في تخفيف عدد السكان من ٢٦٠ ألف نسمة الى ١٥ ألف نسمة.

ويتناول المؤلف أيضا اشتباكات عام ١٩٦٨ في منطقة القناة في إطار مرحلة ما سمي «الردع» أو «الدفاع النشيط».

السويس..
تجربة مدينة
حامد حسب

ثم يورد تفاصيل نشأة خط بارليف.

وفي الفصل الثاني من الكتاب يقدم المؤلف مجموعة من الشهادات لكبار العسكريين حول حرب الاستنزاف ومنها شهادة الرئيس حسني مبارك وهي مقتطفة من حديث مبارك المنشور في ٣ اكتوبر بالأهرام بمناسبة مرور ٢٥ عاما على حرب أكتوبر، بالإضافة الى شهادات اللواء أ. ح.م عبد المنعم خليل.

وفي مواجهة الحرب النفسية التي شنها العدو كان هناك دور للفن بالأغاني والأشعار المعروفة للكابتن غزالي والتي يوردها الكاتب في الكتاب بعد أن يتعرض لتجربة الحصار، ودور أهل السويس في ايثار الجيش الثالث وامداده بالمياه التي كانت شحيحة واكتفاء الأفراد بنصيب محدود من الغذاء والمياه.

الكتاب في مجمله يقدم تجربة لشعب عانى وقاسى الكثير ودفع الكثير من أهله وممتلكاتهم لأجل تحرير الوطن وتحقيق كرامته.

أما المؤلف حامد حسب فهو واحد من أبناء السويس ويعمل مديرا لمنطقة جنوب السويس التعليمية وكان مديرا لقصر ثقافة السويس بعد العدوان وعمل في أكثر من موقع وظيفي قيادي في مجالات التربية والتعليم.

الكتاب صادر عن «دار الموقف العربي».

رقم الإيداع: ١٦٤٠٧/ ٢٠١٠
الترقيم الدولي: 978-977-704-244-4

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)



تجربة السويس تجربة ثرية على مدى التاريخ وما من بلد ارتبط اسمه بالأحداث كما ارتبط اسم السويس، فقد كان اسمها علمًا على أروع المعارك الوطنية فى تاريخنا الحديث عام 56 والمعروفة باسم حرب السويس والتى خرج منها الأسد البريطانى جريحًا وهو يلفظ أنفاسه مع أنفاس الإمبراطورية التى كانت لا تغرب عنها الشمس،وهذا الكتاب يسجل تجربة السويس من أحداث الخامس من يونيه 1967 حتى 29 يناير 1974 بعد انتهاء الحصار، كما يستعرض كيفية مواجهتها لهذا الحصار الخانق، وكيفية صمودها، وكيفية تحملها لهذه الظروف وهذا القصف المدمر، والقتال المتلاحم، إنها تجربة تحمل مفردات مثيرة من تاريخ هذه المدينة.





www.gocp.gov.eg
www.qatrelnada.com.eg
www.althaqafahalgadidah.com.eg
www.odabaaelaqaleem.com

الثمن : ستة جنيهات